#سيرة_حياة

تفريغ سلسلة

(ولكن كونوا ربانيين)

للشيخ أبي محمد المقدسي

التحايا للإعلام الجهادي
قسم التفريغ
1436 هـ 2015 م

بسم الله الرحمن الرحيم **تفريغ سلسلة**

"وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ"

للشيخ/ أبي محمد المقدسي (حفظه الله)

الصادرة عن مؤسسة التوحيد للإنتاج الإعلامي

مُؤسَّسَة التَّحَايَا
قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

1- الأسم والنسب والدراسة والتدين والالتزام مع جماعة سرور[1]

إن الحمد لله نحمده الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

[1] **أول [9] دروس تم تفريغها من قبل مؤسسة (فرسان البلاغ).**

اسـمي الـذي سـماني به والـدي "عصـام" ولكـني أحب أن أدعى بـ"عاصم" لأجل أنه اسم صحابي جليل وشهيد من شهداء الصحابة.

فأنا اسـمي عاصم بن محمد بن طـاهر بن محمـود بن سـليم الحـافي العتيـبي البرقـاوي مولـدًا وليس نسـبًا، والمقدسي نسـبة تشـريف، فالبرقاوي ليست اسم عشيرة وإنما هذا نسـبة إلى قرية الـتي ولـدت بها، وهي قرية من أعمال نابلس، قرية صغيرة من قرى نابلس ولدت بهـا؛ ولـذلك اختلط على البعض من استشـكل نسـبي أني كيف أكـون حافي وبرقاوي؟ لأنهم يعرفـون أن قبيلة عتيبة تتكـون من عشـيرتين، عشـيرة "برقة" وعشـيرة "رُوقة" يُـدعون "روَقة"، ونحن ننتسب إلى الثانية الـتي هي "الرُوقة"، ولا ننتسب إلى "برقة"، وذلك لأن الحـافي الـرُوقي العتيـبي هكـذا يقـال ولا يقـال إذا أردت أن أتكلم عن نسـبي الحافي البرقاوي العتيبي، لكن لما اشتهرت بـ"عصام البرقاوي" نسبة إلى قريتي وليس إلى عشـيرتي اختلط الأمر على البعض وهـذا لبيـان التفصيل أنني "برقاوي" مولدًا في هذه القرية، أما نسبةً فأنا "رُوقي" وليس برقاوي ثم العتيبي.

و"المقدسي" اشـتهرت بهـذا اللقب في بداية كتابـاتي عنـدما كنت أكتب، وأول ما كتبت كتاب (ملة إبراهيم)، رأيت أن أتخذ كنية من باب الاحتياطات الأمنيَّة في أول الأمر حتى لا أعكر على نفسي، ولا أشـدد على نفسـي، ولا أضـيق على نفسي في السـفر للجزيـرة وغيرهـا، فاتخـذت هـذه الكنية ابتـداءً ولم أكن أعـرف أنها سـتلازمني طـوال حيـاتي، فانتسـبت إلى بيت المقـدس تشـريفًا كما هي عـادة علمائنا ينتسبون إلى أشرف البقـاع وأقربها إليهم، فمثلاً ابن قدامة المقدسي هو لم يكن مسـقط رأسه بيت المقـدس ولكنه أصـلًا من "جمّاعيل"، وهي قرية قريبة من قريتنا "بُرقة" ولكن العلمـاء طـريقتهم أنهم ينتسبون إلى أقرب البقاع ما هو أشرف البقاع يكـون قريبًا إليهم، كما يقال "المكيّ" وربما كان من القرى القريبة من مكة وليس من نفس صميم مكة وهكذا.

فأنا انتسبت إلى بيت المقدس تشريفًا من باب أننا نتشرف بالانتساب إليهم، وهي أولى من أن نقول الفلسطيني مثلًا، فقلنا المقدسي كـان ذلك في مقدمة كتـاب (ملة إبـراهيم)، ثم ذهب هـذا اللقـاء ولم أعد أُعرف إلا به بسبب الكتابات.

طبعًا كـان تـاريخ ولادتي في قرية "بُرقة" سـنة (1378)ـ من هجـرة المصطفى –صلى الله عليه وسلم- الموافق لـ (3/7/1959).

وكان والدي آنـذاك شـأنه شـأن كثـير من أهل تلك البلاد يـذهبون إلى الخليج ليتكسبوا سعيًا وراء الرزق، فبعد أن صار عمـري ثلاث سـنوات تقريبًا أخذنا الوالد نحن والعائلة، وأظن أنني لم يكن عنـدي من إخـوة ذلك الوقت إلا أنا وأخت ووالدتي.

فالتحقنا بوالدي في الكويت وهناك نشـأت نشـأتي في صـغري وبداية شبابي وتعليمي الابتدائي والمتوسط والثانوي كان في الكويت، وخلال هذه المراحل أو في آخر هـذه المراحل تحديـدًا في الثانية ثـانوي قبل التوجيهي الذي يسمي توجيه عندنا هنا، قبل التـوجيهي بسـنتين بـدأت مرحلة الالتزام والتدين عندي.

وشأن والدي كشأن سائر الناس في هـذا الزمـان يحبـون لأولادهم أن يكمّلـوا الدراسة الأكاديمية ويتمنـون أن يكـون أولادهم مهندسـين أو أطبـاء، فكـانت أمنيته -رحمه الله- أني أكمل الهندسة ونحوهـا، فبعد التـــوجيهي ذهبت إلى أول أمـــري إلى يوغســـلافيا؛ لإكمـــال الدراسة الجامعية هناك أنا واثـنين من الشـباب الـذين كـانوا من جماعة محمد سرور، تقريبًا كنا في مرحلة دراسية واحدة، وكان معنا الشـاب الـذي كان سـببًا بفضل الله -عز وجل- بهـدايتي، وشـاب آخر أيضًـا كـان من نفس الأسـرة الـتي كنا فيها في الجامعة كما سـيأتي الكلام عليه بعد ذلك.

فذهبنا إلى يوغسلافيا للدراسة بنـاءً على توجيهـات محمد سـرور؛ لأنه كان له هنـاك بعض الأفـراد والأصـدقاء والأتبـاع لجماعتـه، فـدلنا على مكان نجد فيه أصدقاء، فذهبنا بالفعل إلى اليونان وتقابلنا بهؤلاء، وهم

الـذين أرشـدونا حـتى وصـلنا إلى سـراييفو ولم يكن آنـذاك التقسـيم الحــالي هــذا موجــود "صــربيا" و"البوســنة والهرسك"، وإنما كــانت جمهورية يوغسلافيا، فـذهبنا إليها وبالفعل كـانت أحسن من غيرها من حيث أن فيها مساجد وفيها مسلمون، ولكن الأجـواء بالنسـبة لشـباب ملـتزمين حـدثاء عهد في الالـتزام والتـدين لا شك أنها أجـواء أوروبية تبقى، فرأينا مظاهر الانحلال والفساد وكـذا شـأنها شـأن أوروبا كلهـا، فانزعجنا جدًا من هذا الأمر وبدأنا الدراسة بالفعل وسـجلنا في معاهد لكي ندرس الدراسة اليوغسلافية وشرعنا في ذلك، ولأن الدراسة في يوغسلافيا كـانت معقـدة بطريقة ليست كسـائر الجامعـات، فلا بد أن تعيد كل برمجتك على الطريقة اليوغسـلافية، فــأنت أولًا لن تــدرس باللغة الإنجليزية وهــذه عقبــة، أنت درست طـــوال مرحلة الثانوية والمتوســـــطة اللغة الإنجليزية تمهيـــــدًا للدراسة الأكاديمية باللغة الإنجليزية، فتتفاجأ هناك أنك تحتاج إلى دراسة اللغة اليوغسلافية؛ لأن الجماعـات هنـاك لا تـدرس إلا باللغة اليوغسـلافية، فهـذه أول عقبـة، ولذلك سـجلنا في المعاهد الـتي تـدرس اللغة اليوغسـلافية، وكنت أنا طبعًا ذاهب إلى هناك بنـاءً على رغبة والـدي، كـانت أمنيته أني أدرس الهندسة أو شـيء نحوهـا، فكنت نـازلًا على طلبـه، ولكن فوجئنا بـأن طريقة الدراسة معقــدة، ولا يكــترثوا بمعــدلاتك الــتي جئت بها في الثانوية أو التوجيهي أو غـير ذلـك، وإنما في كل جامعة تريد أن تتقـدم لها تعطيها كتب في التخصص الـذي تريد أن تـدخل فيه وتـدرس هـذه الكتب وتمتحن فيها فــإن جبت معــدل يناسب في الجامعة فســتقبل بهذا التخصص الذي جئت تدرسـه، فنحن في البداية لما رأينا المسـألة تحتــاج إلى دراسة اللغة اليوغسـلافية، ورأينا أنــاس صــار لهم ثمــان ســنوات وتسع ســنوات وعشر ســنوات في تخصصــاتهم، ورأينا أن الطريق طويلة في هذه البلد وأن الدراسة لا تناسبنا في هذا المكــان، فضلًا عن الأمر الذي أزعجنا أكثر وأكثر وهو الفسـاد المنتشر والتـبرج والانحلال والاختلاط، فكان أجرؤنا وأولنا قطعًا لهذا الأمر الشاب الذي تأثرنا فيه وتــديَّنا على يديه فرجع من هنـــاك إلى الأردن، وأنا مكثت قليلًا اسـتخرت الله وقــررت أيضًــا بعــده الانســحاب من تلك البلاد

ورجعت إلى الأردن كــذلك، ثم لحق بنا الثــالث، يعــني كلنا الثلاثة لم تناسـبنا الدراسة لأنها كـانت محاولـة، فلما رجعت للأردن وجـدت أنه ينتظـرني قبـول في العـراق في جامعة الموصـل، في كلية العلـوم، فالوالد كـان لا يريد هـذا، يريد هندسة أو شـيء نحوهـا، فأنا حـاولت أقنعه أن هــذا المكــان قــريب وتكاليفه أقل والدراسة كلها دراســة، والعلوم وغيرها ليس بها بأس، فذهبت واسترضيته في هذا الأمر على أنه أقرب وأسـهل، وذهبت إلى جامعة الموصل والْتحقت بهـا، وبـدأت أدرس علــوم بيولــوجي هنــاك، تخصص بيولــوجي درست فيها تقريبًا سنتين.

وفي السـنة الثالثة -كما سـيأتي- عنـدما بـدأت يقـوى تـأثري بجماعة جهيمان وكانوا ينكرون عليّ، كيف تدرس في جامعة مختلطــة؟ وكيف تجلس بين النســاء؟ وكيف يدرّسك النســاء؟ فــاخترت الخــروج من الجامعة على خلاف بيـني وبين جماعة سـرور، فكـانوا يقولـوا: لا، ابق نحن كل مشــايخنا درســوا في الجامعــات، فلان درس في ســورية، وفلان درس في كذا، هل أنت خـير منهم وغـير ذلك من أمـور... كـان بدأ الاحتكاك لأجل هذا الأمر، وقالوا وأنت لا يجوز أن تخرج بدون إذن.

فأنا بدأت أراسل المشـايخ وأكتب في هذ الأمر لأقنعهم بـأني أنا هـذه وجهة نظري الشرعيّة، وأنا لا يجوز لي أن أدرس بهذا إذا كنت إنســان مسلم وداعية وطالب علم، فكيف أبقى أجلس بين النساء؟ كـان هـذا تأثري بجماعة جهيمان في ذلك الوقت ظاهرًا، فاخترت هـذا الأمر بعد أن راسـلت المشـايخ الألبـاني وابن بـاز وغـيرهم وأتيت بفتـاوى بـأن الجامعات المختلطة محرمة.

حتى ما زالت عندي حـتى الآن برقية من الشـيخ ابن بـاز يجيبـني فيها على سـؤالي بأنه لا يجــوز لك البقــاء في جامعة مختلطــة، ثم قــال: ونحن مستعدين للشـفاعة لك لتكميل دراسـتك في إحـدى الجامعـات السعودية، فلما جاءتني هذه الرسالة وقتها كـانت تقريبًا أثنـاء الحـرب العراقية الإيرانية، وكنا نرى الطائرات تقصف والحرب مشتعلة.

فأخــذت أوراقي وعلامــاتي الــتي درســتها ورجعت إلى الكــويت أقنع الوالد تحت دعوى الحرب مشتعلة؛ لأني عرفت أنه سينصدم الآن

رجعت من يوغســـــلافيا ثم الآن أرجع من العــــراق! حقيقة كــــانت طموحاتي وآمالي منذ أن انتهيت التوجيهي وأمنيـتي كـانت أني أدرس في المدينة المنـــورة، كنت أتمـــنى أن أدرس في المدينة المنـــورة دراسة شرعية ليس لأجل الدراسة الأكاديمية ولكن لأجل المكوث في المدينة المنورة وطلب العلم على المشـايخ، فقد كـان آنـذاك موجـود ولا زال الشيخ الشنقيطي صاحب (أضواء البيـان) وكـان فيه مجموعة من المشـايخ الـذين يتمـنى كل إنسـان أن يطلب العلم عليهم، فكنت أتمـنى لو أني ألتحق بالجامعة الإسـلامية كمـبرر للإقامة في المدينـة، وكنت أعزم وأحدث بعض الأصدقاء أقـول: لو حصل هـذا لي سـأجعل السـنة سـنتين في الجامعــة، سـأؤخر نفسي لأجل أطـول مـدة في الجامعة الإسـلامية، هكـذا كنت أحلم وهكـذا كنت أخطـط، فلـذلك لما جاءتني هذه البرقية من الشـيخ ابن بـاز بـادرت مباشـرة إلى الرجـوع إلى الكويت وأقنت والدي أن السبب هو الحـرب؛ لأنه صـعب جـدًا أن تقنع أبوك أنك تركت الجامعة لأجل الاختلاط وكذا وهذا أمر صعب عند أهالينا كما هو كان صعب عند الجماعة نفسها التي أنا كنت معها.

جماعة واعية جماعة محمد بن ســرور واستصــعبوا هــذا وعارضــوه، فكانت هذه المرحلة تقريبًا مرحلة الدراسة لأنني بعد ذلك أخذت هـذه الأوراق -علامــاتي- وأخــذت برقية الشـيخ بن بــاز وذهبت إلى المدينة وقـــابلت الشـــيخ بن بـــاز وكتب لي تزكية إلى الجامعة وأرفقت فيها علاماتي وكذا حتى أقـدمها، وهـذه كـانت هي المرحلة الـتي اسـتفدت منها كثيرًا بمكوثي في المدينة المنورة مدد كانت طيبة.

وأنا منذ جئت إلى المدينة المنـورة ذهبت مع طلبة الجامعة الإسـلامية فبـدأت أداوم في الجامعة رغم أني لم أسـجل فيها بعـد، فكنت أداوم مع الطلبة وحضــرت لهم دروسًــا داخل الجامعـــة، وكنت أبـــات في السـكن، سـكن الطلبة في عمـارة تسـمى "عمـارة السـبيعي" قـرب

البقيع، وفي السكن الذي كان داخل الجامعة تعـرفت على طلبة كثـير هناك بعضـهم من مصـر، بعضـهم من الكـويت، بعضـهم من الجزيـرة، كنت أبــات معهم في ســكنهم كنت أحضر محاضــرات في الجامعة معهم أداوم وأنتظر قبولًا.

لم يتيسر لي بعد ذلك القبول الرسمي ولكن هذا المكوث هذه المــدة مكثت فيها في الحـــرم مـــدة طويلة عكفت فيها على الدراسة على المشايخ الرسميين وعلى المشايخ الذين يدرسـون في الجامعة وعلى مشايخ آخرين كانوا يُدرّسون الطلبة فوق عمارة السبيعي التي كــانت سـكن للطلبة هنــاك كــان يــدرّس الشــيخ المغــراوي الآن هو شــيخ المداخلة في المغـرب حضـرت له دروس في شـرح الترمـذي هنـاك وأيضًا حضرت لـ علي مشرف دروسًا وحضرت لكثير من المشايخ في الحرم المدني سواءً كــان أبو بكر الجزائـري سـواء كـان على مشـايخ مغمورين من يمنيين وغيرهم وأريتيريين وحضرت للشـيخ بن بـاز كلما كـان يـأتي إلى هنـاك، وأيضا في مكة كنت أحضر له دروسًـا، وعكفت على مكتبة الحــرم المــدني الــتي تعـرفت عليها من خلال مكـوثي في الحرم وعلى مكتبة الجامعة الإسلامية وكانت تكـثر فيها المخطوطـات كنت أتردد بين المكتبتين وأول ما رأيت كتاب (الــدرر الســنية) لعلمـاء نجد وجدته بنســخة وطبعة قديمة في مكتبة الحــرم المــدني فلفت انتباهي وبدأت أطالعه وعكفت عليه هـذه الفـترة فكـانت أول اتصـال لي مع كتب أئمة الــدعوة النجدية هو هـذا الكتـاب، فـرحت فيه كثـيرًا وجدت أنه يرد على كثير من المسائل القريبة من عصرنا، انتبهت إلى كلامهم على عســـاكر الدولة المصـــرية لما هجمـــوا على الدرعية واســتعان بهم بعض آل ســعود على أخيه وكيف أفتــوا بالفتـاوى الــتي تكفر هــذا الجيش وكل من اســتعان به واطلعت على فتــوى الشــيخ ســليمان بن عبدالله بن الشـــيخ بن عبد الوهــاب في موضـــوع حكم موالاة أهل الإشراك وكتاب حمد بن عتيق وغير ذلك.

تقريبًا هـــذه مراحل الدراسة الـــتي درســـتها، أنا لم أكمل الدراسة الجامعية كنت حريصًـا على أن أتخذ الدراسة الجامعية وسـيلة للبقـاء

في المدينة أكبر مدة ما تيسر لي ذلك، كان يبدو أن العلامات والمواد التي درستها في العراق كانت مواد علمية وأنا جئت لأدرس دراسة شرعية وتعسر قبولي لكني استفدت من مكوثي في المدينة، على كل حال هذه هي تقريبًا مراحل النشأة من حيث الدراسة.

أما من حيث الالتزام والتدين فأنا بدأت أتوجه التوجه الديني تقريبًا تستطيع أن تقول ستة عشر سنة، فبدأت أتوجه التوجه الديني كنت قبل ذلك الصلاة شأني شأن أبناء عمري ربما أصلي وأقطع، والالتزام ليس بقوي، ولكني في هذه المرحلة تعرفت على بعض الشباب الذين كانوا ينتظمون مع جماعة محمد سرور وكان هناك شخص بارز فيهم هو أثر علينا في المدرسة كانت له وقفات في وجه المعلمين في بعض المسائل، كانت شخصيته مؤثرة وهو الذي تأثرنا بتدينه وكانت الجماعة -جماعة محمد سرور- جماعة ذكية تعرف كيف تنظم الشباب وكيف تختار الشباب وهي برزت في مرحلة كان وقتها شخص أو شيخ معروف في ذلك الوقت اسمه حسن أيوب، هذا الشيخ كان إمام وخطيب مسجد قريب من منزلي اسمه مسجد الشيخة بدرية، فكنا نذهب ونصلي الجمعة عند هذا الشيخ وكانت له نشاطات ودروس وكانت خطبه نراها نحن في ذلك الوقت أنها خطب حماسية تتكلم عن خيانات الحكام العرب ويتكلم على نصرة أهل فلسطين ويدعو إلى الجهاد وإلى القتال حتى أنه خرج كثير من الناس من مسجده إلى لبنان والتحقوا ببعض التنظيمات الفلسطينية العلمانية بسبب ما حمسهم به هذا الشيخ دون أن يعطيهم الحلول! ذهبوا وقاتلوا مع فتح وقاتلوا مع غيرها حماسًا من خطب الشيخ، وأنا أعرف أناس حصل معهم هذا وذهبوا إلى بيروت وإلى لبنان وشاركوا في القتال بناء على إلهاب هذا الشيخ لمشاعرهم، ولكن لم يكن عنده راية معينة إسلامية آنذاك يوجههم إليها.

على كل حال نحن نشأنا في هذا المسجد في هذه الأجواء كنا نصلي عند هذا الشيخ ونسمع خطبه وبالجهة الأخرى كان يؤثر علينا ذلك

الشاب الذي هو من منطقتنا أيضًا وكان في صفي تحديـدًا في الفصل الدراسي الذي كنت فيه فكان يؤثر علينا في الالتزام والتدين.

وجماعة محمد سـرور بـدأت انطلاقتها في الكـويت تقريبًا آنـذاك في هــذه الفــترة؛ لأنه قبل ذلك كــان محمد ســرور في الســعودية في الجزيرة وكانت له نشاطاته ودعوته وحركته ولأجل أنه إنسـان نشـيط بين صفوف أهل الجزيرة وغيرها قام الإخوان بالتضييق عليه حـتى أنه أخـبرني بـأن الـذين عملـوا على إخراجه وتسـفيره من السـعودية هم الإخوان المسلمون السعوديون وتحديدًا ذكر لي اسم منَّاع القَطَّان أنه هو الذي تسبب في تسفيره وأنه حذره من أن ينشط في التنظيم بين صـــفوف الســـعوديين، فلم يأبه به وبتحذيراته فعمل على تســـفيره بإخراجه هكـذا أذكر في ذاكـرتي سـمعت ذلك منه من محمد سـرور نفسه تقريبًا كــان قريبًا من هــذا العهد في تلك المرحلــة، فبــدأ هو وشــخص آخر اســمه غــازي التوبة أيضًــا له جماعة مشــابهة لجماعة محمد ســرور كــانوا ينشــطون في صــفوف الشــباب الــذين يــأتون ويتجمعون في مسجد حسن أيوب أو المسجد الذي فيه نشــاط حسن أيوب، حتى أنهم في مرحلة من المراحل عرضوا على حسن أيوب أن يعمل تنظيم فالرجل رفض وقال: أنا دعـوتي علنية وأنا لا يوجد عنـدي تنظيم ولا يوجد عنـدي سـرية، فلـذلك من تلك المرحلة أخذ كل واحد من هـذين الشـيخين مجموعة من الشـباب الـذين حـول حسن أيـوب وفي مســجد حسن أيــوب وجعل له تنظيمًا خاصًــا في تلك المرحلة تقريبًا فكنا نحن شـباب صـغار آنـذاك ولا نعـرف من هـذه التنظيمـات شيء، كنا نطلع رحلات ونأتي نشـاطات المسـاجد ونحو ذلك فكنا من نصـيب محمد سـرور بنـاء على أن أصـدقاءنا المقربـون إلينا هم من جماعة المقــربين إلى محمد ســرور، فأنا وبعض الشــباب كنا في تلك المرحلة نشـعر بالـذكاء لهـذه الجماعة الـتي أشـهد به لها من عملها التنظيمي أنهم لم يكونوا يتعاطون العمل التنظيمي كما يتعاطى كثــير من الشباب اليوم بسطحية ودروشة ما يأتيك ويقول لك: عندنا تنظيم وعندنا أمير تريد تبايعه؟!

حتى أنني أذكر جيدًا كنا في مراحل التنظيم وكان عندنا مسجد نصلي فيه وكان اسمه مسجد الخَلَف، اسم عائلة الذي بنى المسجد وكان هناك مسجد آخر اسمه مسجد الراس القديم على أساس منطقة في السالمية قديمة اسمها الراس، ولكننا لم نكن نسميه بهذا الاسم كنا نسميه مقابل الخلف كنا نسميه مسجد السلف كان عندنا مسجد السلف ومسجد الخلف، فكنا نصلي في مسجد الخلف وأذكر بيانًا إلى نفسيتنا أو إلى فهمنا للعمل الدعوي آنذاك، وكيف أننا كنا ننظر إلى الجماعات الأخرى الإخوان والسلفيين ننظر إليهم من علو، إن نحن أفهم منهم تنظيميًا ونحو ذلك.

لأنه كان يأتينا خالد مشعل من "حوَلِّي" وكان من سكان "حوَلِّي" وكنا نعرفه آنذاك كان طالبًا في الجامعة أظن كان يُعرف باسم خالد عبد الرحيم لم يكن يشتهر باسم مشعل، كان يأتينا هكذا يلبس الحطة البيضاء وكنا نعرف أنه من الإخوان المسلمين فأول مرة تعرفنا عليه جاءنا المسجد يسأل يقول: من أمير هذا المسجد يا شباب؟

فأخذنا نضحك عليه، أنه كيف يسأل عن أمير المسجد ونضحك على طريقة الإخوان أنه يكون هناك أمير معروف في المسجد، وهناك ناس يرون هذه الطريقة العلنية في العمل التنظيمي فأخذنا نضحك عليه ونتندر بطريقة سؤاله، يعني هل لو كان هناك أمير للمسجد سنقول لك من أمير المسجد؟!

يعني أننا كنا نظن أن جماعة محمد سرور في العمل التنظيمي أفقه وأفهم من هؤلاء هكذا كنا ننظر للأمور على كل حال، هم كانوا عندهم شيء من ذلك يعني مثلًا على سبيل المثال: نحن درجنا في هذه الجماعة وكنا نخرج رحلات ونحضر دروس في المسجد وينتقي الشاب الذي يعمل الدرس العام في المسجد ربما كان درس قرآن، قراءة قرآن فقط فينتقي من هذا المجلس العام ربما بعض الأفراد الذي هو ينتخبهم ويقدر أنهم يصلحون لأن ينقلهم إلى درس خاص في بيته ويعمل لنا درس يتفق معنا أن نحفظ جزء عم ويبدأ يفسر لنا

الآيـات الـتي نحفظها يسـتعين بتفسـير (الظلال) وتفسـير (ابن كثـير) ويقترح علينا كتاب مثلًا صفة صلاة النبي يدرسـنا إيـاه لنصـحح صـلاتنا ونحو ذلك، وحقيقة هذه الجلسة التي انتقلنا بها من المسـجد إلى بيته أنها جلسة تنظيمية وأنها بدأت تتبلور أسرة عند هـذا الشـاب، ونحن لا نرى خلف ما وراء هذا الشاب، هذا الشاب لا يشتغل على رأسه وإنما يوجه من شـخص آخر له يجلس هـذا الشـاب في أسـرة مماثلة معه هـذه الأسـرة كل شـاب منهم ينتقي خمسة من المسـجد ويدرسـهم وهكذا هذه الحقيقة وهـذا الأمـر، نحن كنا في ذلك المسـتوى لا نعرفه ولا نعرف به ولا يقال لنا أنتم في جماعة ويعـرض علينا: أنتم ما رأيكم أن تعملـوا معنا في هـذا التنظيم، وكما يفعل الآن كثـير من الشـباب الدراويش.

لا تجد نفسك تـــرتقي في المراحل التنظيمية وتـــذهب رحلات وتفاجأ بأشخاص لا تعرفهم، كنا نرى مرات محمد سـرور في بعض الـرحلات، نرى شخص اسمه الآن الدكتور سامي الدلال في بعض الرحلات، وهو من رؤوس جماعة محمد سـرور، تـراه قـدرًا هكـذا كيف رتب لهـذه الرحلة، نأتي معنا خيام ننصبها ونتعـاون ونـاس تطبخ ونـاس كـذا وبعد ذلك نمشي في برنامج وضع لنا، لعب بالصباح، سباحة بالعصر، الظهر فيه درس يدرسه هـذا الشـاب، ثم نفاجأ بهـذا الرجل الـذي بعد ذلك عرفنا أن اسـمه أبو عصـام، وبعد ذلك عرفنا أنه محمد سـرور ويأتينا ويعطينا درس ويذهب، ونحن أصلًا لا نخرج إلا للرحلة وإلا للهو وللعب، ولكن حقيقة كانت هذه مراحل تنظيمية يسار بنا فيها نتنقل بذكاء هذه الجماعة من خلالها حـــتى أصـــبحنا في مرحلة لاحقة نتعصب لهـــذه الجماعة وندعوا إليها ومسـكنا مسـؤوليات ومسـاجد وكُلفنا بتكـاليف، ولم يقل لنا في يـوم من الأيـام أن هـذه الجماعة وأميرها فلان وأنتم لمـاذا لا تنتظمـوا أو نحو ذلك مما يفعله كثـير من الشـباب البسـطاء الذين يتعاملون مع العمل التنظيمي بسطحية ودروشة.

هكذا كانت تقريبًا مرحلة جماعة محمد سرور أو بداية هذه المرحلة.

طبعًا كانت هذه الجماعـات تعمل بأريحية كاملة في الكـويت؛ لأنه في تلك المرحلة لم يكن هناك أي صـدام بين الجماعـات الإسـلامية وبين الحكومات، وكان المجال مفتوح تمامًا لأنشطة هـذه الجماعـات حـتى أن الإخـوان المسـلمين كـانت لهم جمعية رسـمية الـتي هي "جمعية الإصـلاح الاجتمـاعي للإخـوان المسـلمين" وكـانت لهم مجلة المجتمع ولهم نشـاطات ولهم تواجـد، وكـان هـذا الأمر في السـبعينات وكـانت بداية الصحوة ن كان بداية ما يعرف بالصـحوة لم يكن هنـاك ضـغوط من الحكومة بالعكس كان مثلًا حسن أيوب هذا يتكلم ويصدع بتخـوين الأنظمة العربية ويتكلم بالحكـام ونحو ذلـك، ولم يكن يُسـائل وكـان يحبه الناس ويمتلئ مسجده ويتميز عن سائر المساجد ولم يكن هناك ضـغوطات من الحكومة على الجماعة الإسـلامية آنـذاك؛ فلـذلك كـان هذا مما يسـهل عملهم التنظيمي، على كل حـال هـذه المرحلة تقريبًا كـانت بداية مرحلة التوجه ولم يكن الأهل في الـبيت الوالد والوالـدة، صـحيح أنهم لم يكونـوا يوجهوننا التوجيه الـديني المكثف ولكنهم في نفس الوقت لم يكونوا يمانعوا ولم يصـدونا عن الصـلاة ونحوهـا، ربما طبعًا الوالد ينزعج من التأخر في الليل أو مثلا الخروج بهـذه الـرحلات من التغيب عن البيت من الانشغال بالرحلات عن الدراسـة، هـذا كـان الأمر ربما ينزعج فيه لكن لم يكن هنـاك خـوف كما هو الآن عند كثـير من الناس بأنه إذا مشى ابنك في المسجد مع شـباب أنه تخشى عليه التنظيم وتخشى عليه الاعتقـال وتخشى أشـياء من هـذا، لم يكن هـذا موجودًا وهذا مما سهل اتصالنا بالجماعات الإسلامية آنذاك.

فكان لي معرفة في الشباب الذين في منطقتنا من السـلفيين، كـانوا آنذاك في منطقتنا سلفيين، هؤلاء المجموعة السلفية الـتي انتقتنا في مرحلة لاحقة الْتحقت بجماعة جهيمان، فهم الذين عرفتهم من صغري وآنـذاك في مرحلة متـأخرة عنـدما تـركت جماعة سـرور هم الـذين سـهلوا علي الالتقـاء ومجالسة ومصـاحبة جماعة جهيمـان لأنهم كـانوا أصحابي في الصغر.

في هذه المرحلة أيضًا اثناء الدراسة آخر سنتين في التوجيهي درست في المدرسة على شيخ من مشايخ السلفيين معروف مشهور آنذاك اسمه عبد الرحمن عبد الخالق، فكان هو مدرس مادة الدين وهذا كان من أعلام الدعوة السلفية بالكويت معروف وكان يدرسنا مادة الدين في المدرسة كنا نحب تلاوته وقراءته وكان هو يؤم بنا في المسجد في صلاة الجماعة في المدرسة وعندما نضجنا ونضج فكرنا كانت لنا جولات ومناقشات مع هذا الشيخ لاحقًا.

أيضًا في هذه المرحلة كان هناك احتكاك في جماعة القطبيين؛ لأنه كما قلت من قبل كنا نحن نصلي في مسجد اسمه مسجد خلف وكان أمام مسجد خلف في تلك المرحلة هو رجل نحن كنا نكن له إعجاب مع أنه لم يكن من جماعة محمد سرور لكن كنا ننظر إليه بنظرة الإعجاب كون هذا الشخص سجن مع سيد قطب وهو من المقربين لسيد قطب، قرأنا في رسالة صغيرة كتبها سيد قطب بعنوان (لماذا أعدموني؟) ذكر في رده على بعض الأسئلة عن بعض الأمور التي وردت في الظلال وفي كتابات الشيخ سيد قطب أنها ربما تعني تكفير المجتمعات والناس وكذا.

فلما رد على هذا السؤال قال: أنا أعرف من يفسر أقوالي أو أعرف الناس بمعاني كلامي أو مدلولات كلامي هم خمسة فذكر منهم هذا الرجل الذي كنا نصلي خلفه واسمه السيد يوسف عيد، وكان هذا الشيخ سيد عيد هو إمام المسجد هذا إمام مسجد الخلف في الفترة التي كنا نحن فيها مع محمد سرور، فهذان الشيخان تقريبًا كانوا محل إعجاب لنا نحن في مرحلة الشباب، محمد سرور الذي كنا نحن منتظمين في جماعته وبدأنا نتعرف عليه شيئًا فشيئًا كلما ارتقينا في التنظيم، ولسيد عيد الذي كنا نصلي خلفه كلا الرجلين كانت لهما صفات تجذبنا وتحببنا فيهم كشباب وذلك أن محمد سرور على سبيل المثال كان يتكلم في هذه الأنظمة وينتقد كل من يكون له علاقة مع هذه الأنظمة، وكان دائمًا يذكر أنه يجب على الدعاة أن يقطعوا جميع الوشائج والصلات مع هذه الأنظمة وكان يفتخر بنظافته من هذه

الجهة وأنه ليس له اتصـــــــال مع الأنظمة وأنه لا يتعامل مع الأنظمة وينتقد على كثير ممن يذكرون أمامنا بأنه فلان يشـتغل مسـؤول كبـير في وزارة معينة وفلان له اتصـــــال بالحكومة الفلانية وفلان أخذ من الحكومة الفلانية وهكـــذا، فكـــان يرسخ في ذهننا أن البعد عن هـــذه الأنظمة التي هو كان يكفرها من حيث الجملة ولكن التفاصيل لم تكن واضحة عنده، على سبيل المثال قضية الجيش والشرطة والبرلمانات لم تكن على الأقل -إذا أردنا ألا نظلمهم" في تلك المرحلة لم تكن واضحة، فأنا عنـدما كنت أتـأثر في جماعة جهيمـان أول مرحلة بـدأت أقـول أن الجيش حـرام والمشـاركة في الجيش حـرام، كـانت جماعة جهيمـان تحـرم المشـاركة في الجيش والشـرطة لأجل حلق اللحية ولأجل بعض المسـائل الفـروع ليس لأجل أنهم من أنصـار الطـواغيت ونحوهـــا، فأنا كنت أنكر على بعض أفـــراد الجماعة أنهم كـــانوا في الجيش وأيضًـا أقـول أن الجيش حـرام وكـذا، فهم هـذه المسـألة لم يكونـوا يسـتوعبوها فكيف لو طرحنا مسـألة التكفـير، تكفـير أنصـار الطواغيت، لم تكن هذه أصـلًا مطروحة عنـدهم، حـتى البرلمانـات لم تكن واضحة عندهم كانوا لا يشاركون في البرلمانات من باب أن هذه المشاركة لم تكن وسيلة النبي –صلى الله عليه وسـلم- في الـدعوة، وتفضح قواعــدنا، وتفضح أفرادنــا، وتكشف الــدعاة أثنــاء الانتخابــات والتصويت يمـيزون ويصـنفون ونحو ذلك من الأمـور التكتيكية وليست الأمور الشرعية.

فالشاهد رغم هذا القصـور نحن لم نكن قد نضـجنا آنـذاك لكن مجـرد تكفير هذين الشـيخين للأنظمة والكلام على الحكم بغـير ما أنـزل الله وذمه وبيان كلام سيد وكلام العلماء وكلام ابن كثير.

أيضًا محمد بن سرور كـان مثلًا وسـطًا محمد بن سـرور كـان يتوسط بين منهج الإخوان وبين منهج السـلفيين كـان يدرسـنا الكتب السـلفية مثلًا على سبيل المثال كان يحببنا في كتب الألباني، كـان عنـده مكتبة اسمها دار الأرقم، مكتبة دار الأرقم يـبيع الكتب فيها فكـان دائمًا يحثنا على شـراء السلسـلة الصـحيحة والضـعيفة وكل ما يكتب الالبـاني هو

الذي دفعنا وحببنا لقراءة كتب الألباني فكان توجيهنا منه هو توجيه سلفي، كان في الدروس يدرسنا صفة صلاة النبي، وهو بنفسه درسني كتاب (التوحيد) للشيخ محمد بن عبدالوهاب وكان يشرحه من كتاب (تيسير العزيز الحميد) هو الذي دلنا على هذه الكتب وعرفنا بها.

فتوجهه كان سلفي وإن كانت العقيدة سلفية ولكن من الناحية الحركية والتنظيمية كان لاشك أنه متأثر بالإخوان؛ لأنه أصلًا كان من طلبة مصطفى السباعي، وكان يذكره لنا وكان يذكر لنا أشياء عنه ويذكر قصص عنه وعن مروان حديد -رحمه الله- ومواجهته للنظام وتعذيبه وقتله فكان يحبب لنا هذه الأشياء وكنا شباب نحب هذه الأمور ولا نسمع بهذه الأسماء إلا جديد، هذا من جهة محمد سرور.

أما من جهة سيد عيد كونه سجن مع سيد قطب ومن المقربين لسيد قطب وممن زكاهم سيد قطب في كتابه الذي ذكرته، كان أيضًا تعلقنا فيه لكن لم يكن التعلق تنظيمي، لكن هو كان إمام مسجدنا وفي مراحل كنا نسمع له دروس في رمضان وفي غير رمضان، تجد كل كلامه ظلال يمشي على الأرض، كل كلامه يتكلم في الظلال.

وجماعة محمد سرور أيضًا لم يكونوا يفرطوا في هذا الجانب فهم إضافة إلى توجيهنا السلفي كانوا يدرسوننا كتب سيد، فعلى سبيل المثال من الكتب التي درسناها في الحلقات في أوائل توجهنا كتاب (معالم في الطريق) لسيد قطب وكان الشاب الذي يشرح لنا التفسير -عندما كنا نحفظ مثلًا في جزء عم وما بعده من الأجزاء- كان يشرح لنا التفسير بأن يستعين بتفسير ابن كثير أو كتاب الظلال فكان يجمع بين المعاني العصرية والتفسير المعروف.

فهذه تقريبًا كانت صورة نشأتنا مع الجماعة حتى أني أذكر أنا نرى أمثال سيد عيد والسلفيين وغيرهم ولكن احتكاكنا فيهم كان احتكاكا أخف من احتكاكنا وتعلقنا في التنظيم وكنت أذكر أنني سألت في مرة من المرات حتى محمد سرور سألته عن سيد عيد وقلت له: هذا

الرجل يقول عنه بعض الناس أنه تكفـيري؟ فقـال: لا، هـؤلاء الإخـوان يقولون عنه أنه تكفيري هو ليس بتكفـيري هـذا من تنظيم 65 تنظيم سـيد قطب، أذكر هــذا الكلام وكنت أراه أحيانًا يسـلم عليه ويتـودد بعضـهم إلى بعض؛ ولـذلك عجبت بعد ذلك عنـدما كتب محمد سـرور لاحقًا كتابه (الحكم بغير ما أنزل الله وأهل التوقف والتبين) أشـار إلى هذا الشيخ سيد عيد وأسـاء إليه ببعض الأمـور في كتابه فـرددت عليه في كتابي (الرد الميسور على الشيخ محمد سرور) كتاب غير منشور، هـذا من كتـبي المركونة القديمة فطبعًا هـذا الكتـاب أرسـلته لمحمد سرور بعثت له نسخة منه.

تقريبًا هـذه المرحلة الـتي الآن أتكلم فيها كـانت مرحلة بداية الالـتزام إلى ما قبيل ذهابي إلى الجامعة، فهذه المرحلة البدائية كان احتكـاكي فيها مع جماعة محمد سرور ومع سيد عيد ومع بعض السـلفيين حولنا وكان تأثري وتوجهي مثلًا قراءة كتب الألبـاني قـراءة كتب الشـيخ ابن باز قراءة بعض رسائل ابن عثيمين ومشايخ الجزيرة هـذا كـان توجهنا وهكذا كنا، فهذا ما كان يحـوط بنا من الأجـواء، وكنا نـتربى خلاله فلم ننشأ نشـأة والله مثلًا تحريرية كلامية أو ننشأ مثلًا نشـأة في جماعة بدائية لم ننشأ مع جماعة تقـول مثلًا بتأويل الأسـماء والصـفات، لا، نشأتنا كانت سلفية، فجماعة محمد سرور علمتنا العقيدة السلفية في باب الأسـماء والصـفات علمتنا ودرسـتنا كتـاب التوحيد عرفنا التوحيد منهم عرفنا أقسـام التوحيد منهم، المسـائل الـتي يدرسـها السـلفي درسونا إياها.

فحقيقة جماعة محمد سـرور أنها جماعة متوسـطة بين الإخـوان والسلفيين، تنظيمها وحركتها من الإخوان المسلمين، وعقيدتها ونهجها سلفي، العقيدة التي تدرسـها، فلـذلك حبب إلينا الشيخ محمد سـرور كما ذكـرت كتب الشـيخ ناصر الألبـاني وعلى ما أذكر أنه في مرحلة من المراحل جـاء إلى الأردن وقابل الشـيخ ناصر وعمل له مقابلة نُشـرت آن ذاك، وفـرغت في مجلة المجتمع الكويتية وحـتى لما زار الشـيخ الألبـاني الكـويت وعمل بعض الـدروس حضـرنا دروسه وجئنا

وحرصـنا عليها وكـذلك كـان كل من جـاء من المشـايخ نحـرص على حضـــوره وكـــان لنا نشـــاطات مع الشـــباب نحضر دروس المشـــايخ المشهورين المعروفين في الكـويت من كافة التيـارات، لكن هـذه لم تكن دروس تنظيمية كالمحاضــرات في المســاجد، حسن أيــوب في بداية توجهنا خطب أحمد القطَّان ربما تكـــون هنـــاك نشـــاطات في جمعية الإصلاح الاجتمـاعي، معـارض كتـاب، بعض المحاضـرات، بعض المهرجانات نحضر دروسها.

كانت هذه بداية الالـتزام، بداية التوجـه، بداية الصـحوة الـتي كـان كل الشباب في ذلك العمر تقريبًا متوجهين لها.

2- ترك جماعة سرور والالتحاق بجماعة جهيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

"سيد عيد" في مرحلة لاحقة التصقت فيه أكثر بعد ما تركت جماعة محمد سرور التصقت فيه أكثر، وحضرت له دروس أكثر، وجلست معه في بيته أكثر، بل كنت أعمل معه في مرحلة توقفي قبل الثانوية، قبل الدراسة الجامعية مرحلة انتظار للقبول كما يفعل الطلبة عادة؛ اشتغلت معه وكنت أساعده في بعض أعماله أذهب معه، اشتغلت مؤقتًا معه في تخليص الكتب من الجمارك، في بعض المسائل كنت أعرفها، كنت أرافقه وقريبًا منه كثيرًا، وأسمع منه، ويذكر لي بعض القصص وبعض الأشياء، كنت استنكر أحيانًا مثلاً ما يقوله بعض الكتّاب المصريين من الإخوان عن سيد قطب من دعاوى تأويل كلامه وأنه ما يقصد كذا أو يقصد كذا، وترقيق كلامه وتحريفه، فكان هو يردّ عليهم ويذكر لي بعض الأشياء التي سمعها بنفسه من سيد والتي يعرفها جيدًا، وكنت أفرح بهذا الأمر، حتى إني طمعت في مرحلة من المراحل أن يدرّسني كتاب من كتب سيد حتى يكون لي كسندٍ عالٍ أني درست عليه، ولكن أنا سمعت أكثر الظلال منه من كثر الجلسات التي جلستها في بيته، كثير من المسائل كان يذكرها لكن أحببت كتابًا مخصصًا لي، فعرضت عليه هذا الأمر ففوجئت مع تعلقي بهذا حيث كان في فترة الانقطاع عن جماعة محمد سرور فوجئت برده عليّ - رحمه الله، طبعًا توفي الرجل- وهذا الذي حسّسني بأن العلاقة مهما طالت بيني وبين الشخص ما لم تكن علاقة تنظيميّة فهناك يبقى حاجز وخصوصية للعلاقة التنظيميّة تميزها عن هذه العلاقة العامة.

فقال لي آنذاك: "أن الحاقات دِه ما تنفعش إلا داخل إطار تنظيمي".

يعني مسائل التدريس إنك تدرس عندي، وهذا الأمر أنا تضـايقت منـه آنذاك، لكن حقيقة تعذر هؤلاء الناس عندما تجرب في الحياة؛ فعنـدما أنت تأتي تدرّس مجموعة من الشباب خمسة ستة تدرسهم أي كتـاب من الكتب العلميّـة ثم يـأتي واحـد من هـؤلاء الشـباب بـدون إذنـك أو بدون تقدير لك يروح يعمل أي عمل مـادي غـير مـدروس ولا يطلعـك عليه ألا يجرجرك ويجرجر الخمسة الجالسين معك في هذا الدرس؟!

وهذا تكرّر مرارًا وتكرارًا أنّ أخًا تجده يدرس عندك، ويعمل عندك، ثم يقوم بـأيّ عمـل ليس فيـه فائـدة للإسـلام والمسـلمين دون مشـورة مشايخ، ودون الرجوع إلى إخوانه، والذين يعتبرهم رؤوسه ونحو ذلك، فلا شكّ أنّ هذا الأمر ضبط المسائل الـتي كـانت تحـرص عليهـا هـذه الجماعات وهـذه التنظيمـات، ولأننـا كنـا نحن شـبابًا صـغارًا نسـتغربه ونتعجب منه.

هذا الضبط لابدّ منه وإن كنّا نحن نستنكر الغلو فيه، ونستنكر التقفيـل على الشباب، وأنـه لا ينبغي أن تحتـك بأحـد خـارج التنظيم، ليس إلى هذا الحدّ، ولكن لابـدّ إذا كـان هنـاك بينـك وبين الشـباب عمـل، وكنت تحترم هذا العمل، وتريد أن تحقـق ثمـرات هـذا العمـل، مـا يصـلح أن يعمل الإنسان معك في جهـد ثم يقـوم هـو من خلفـك يعمـل بأعمـال أخرى ربما أنت لا ترتئيها في هذه المرحلة، هذا يعـني مـا فيـه إنسـان يحترم العمل التنظيمي، ويحترم المواثيق والعهود وكذا، يرضـى بمثـل هذا الأمر؛ أن تدرّس شباب ثم واحـد من هـؤلاء الشـباب يقـوم بعمـل أنت غير مرتضـيه، وهـو منتظم معـك في درس خـاص، أو في جلسـة خاصـة، أو في عمـل خـاص، لا شكّ أنـه سـيُلحق بـك تبعيـات، وهـذا يـذكرني بحـديث أو في قصة أبي بصـير الصـحابي الجليـل الـذي لم يتمكن من الهجرة بسبب ما كان من صـلح الحديبيـة بين النـبي صـلى الله عليه وسلم والكفار، وكان من الشروط أنّه من جـاء النـبي صـلى الله عليه وسلم من المسلمين ردّه إليهم، فكان أبـو بصـير من هـؤلاء الناس الـذين رُدّوا، ولم يسـتطيعوا أن يهـاجروا إلى النـبي صـلى اللـه عليه وسـلم بسـبب هـذه الشـروط الـتي كـانت في العهـد -في صـلح

الحديبية- فما كان من أبي بصير إلا أن استغلّ هذه الظروف؛ هـو الآن لا يـؤثّر على هـذه الجماعـة المسـلمة، ولا يـؤثّر على المسـلمين بـأيّ عمل سيقوم به لأنّه لا يتبع إلى ولايتهم السياسيّة، فهو غـير محسـوب عليهم الآن لأنّــه هــو لم يتمكن من الانحيــاز إلى الدولــة المســلمة، فاستغل هذا الظرف أنه لن يؤثّر وعمل له جماعـة، ولجـأ إلى الجبـل، وأخذ يُغِير على قوافل قريش، ويغنم منها، ويقتل ويقتل حـتى تنـازلت قريش عن ذلك الشرط الذي كان بعض المسلمين قـد تضـايقوا منـه، أو كانوا يظنون أنّ فيه ضيمًا لهم أو فيه تنازل منهم بالرضى به، تنازل المشركون عن هذا الشرط بسبب بركات فعل أبي بصير.

وكنت دائمًا أتدبّر أن من يريد أن يعمل عملاً ماديًّا باجتهاده الشخصـيّ فلتكن له مثل هذه الصورة؛ عمل ماديّ فرديّ نكـائيّ بحت خـارج عن مراحل العمل الذي يصبُّ في مرحلة التمكين، فلابدّ أن تكون له مثـل هـذه الصـورة أنّـه لا يضرّ الجماعــة الأم، ولا يضرّ بالمسـلمين الـذين يعملون لإقامة دين الله، فهذه صورة مشرقة من صور العمل النكائيّ الذي لم يتضرّر المسلمون بسببه.

فنحن للأسف ربما نستغرب عندما نقول أن الجماعـات عنـدها تنظيم، وتحرص على العمل التنظيميّ، وأنا مثلاً تضايقت جـدًا في مرحلـة من المراحل عندما كانت جماعة محمد سرور تنكـر عليّ ذهـابي لجماعــة جهيمان ودراستي عندهم، وذهابي إلى الشيخ "سـيد عيـد" وحضـوري لدروسه، كانت تنكر عليّ، لأنّه أيّ جماعة عندها عمل تنظيميّ لا تقبل لأفرادها أن يذهبوا إلى الجماعات الأخرى؛ ربما ليس بسبب ما نخشاه اليـوم ويتكـرر من أخطـاء إخواننـا أنّـه يقـوم بعمـل تنظيميّ دون إذن مشـايخه، أو يقــوم بعمــل مــاديّ دون إذن مشــايخه فيجــرّ الــويلات والابتلاءات على إخوانــه دون أن يعــرّفهم وهــو معهم لم ينحــاز عنهم عندما قام بذلك العمل، ليس لأجل هذه الأسباب كانت تلك الجماعات تمــانع من تردّدنــا على الجماعــات الأخــرى، وعلى دروس المشــايخ الآخرين؛ وإنما على ما أظن أنّ القضيّة قضيّة البوتقة التنظيميّـة الـتي كانوا يغلقونها على أفـرادهم حـتى لا يتـأثّر الإنسـان بأفكـار الآخـرين،

حتى لا تذهب لجماعة أخرى منافسة لجماعتك فتقول لك هـذا محمـد سـرور عنـده كـذا وعنـده كـذا فتسـمع أخبـار جماعتـك من آخـرين وانتقادات، أو تتأثّر مثلاً ببعض غلـو من يـرونهم غلاة، وبعض تشدّد من يـرونهم متشدّدين، أو أن تنتحـل أفكـارًا هم غـير راضـين عنهـا، فكـان يغلق عليك الإطار التنظيميّ، وأنا من أسباب فصلي من جماعة محمد سرور أني لم أكن أعبأ بهـذه التنبيهـات والتحـذيرات، لا تحضـر لسـيد عيد أو لا تذهب إلى جماعة جهيمـان، أنت لـك ترتيبـك ولـك دروسـك، وأنت تـذهب بـدون إذن، فكنت لا أأبـه لأنّي حقيقـة في تلـك المرحلـة كنت أستفيد؛ فكنت أسمع من سيد عيد، وأعجب بأنه كان قريبًا، كـان لصـيقًا بسـيد قطب، فكنت أحب أن أسـمع منـه يعـني أشـياء وأخبـار ومعلومات عن سيد قطب، أسمع من هذا الشخص المعني تمامًـا في الظلال وفي سيد، أسمع منه كلام سيد، وأسمع منه شرح كتب سيد.

وكـذلك جماعـة جهيمـان في ذلـك الـوقت أنـا تعلقت فيهم وأحببتهم لماذا؟

وهذا كان بعد حادث الحرم، الآن تقدّمنا قليلاً في مرحلـة رجـوعي من الجامعة، تقريبًا هذا الكلام الآن المرحلة التي فصلت فيهـا من جماعـة محمـد سـرور كـان لي احتكـاك قـوي في جماعـة جهيمـان، كـانوا هم الذين أثّروا عليّ في الخـروج من الجامعـة، هم الـذين بـدؤوا يـؤثّرون عليّ في قضـية تحـريم الجيش والشـرطة، كنت أنقـل هـذه الفكـرة لبعض أفـراد جماعـة سـرور، وأنتقـدهم لأجـل دخـولهم في الجيش ونحوها، فأنا كنت في تلك الفـترة أُعجب ومتعلـق في دروس جماعـة جهيمان؛ كـان عنـدهم من الـدروس والتركـيز على مصـطلح الحـديث والحـديث وتخـريج الأحـاديث والتعلـق بالسـنة ونحـو ذلـك مـا لم يكن موجودًا عند جماعة سرور.

ففي هذه المرحلة تقريبًا بدأت الاحتكاكات مـع جماعـة محمـد سـرور والمخالفات التي ممكن أن نسـميها: "المخالفـات التنظيميّـة" تظهـر، وإضـافة إلى خـروجي من الجامعـة، وكتـابتي بحث آنـذاك في حرمـة

الجامعـات المختلطـة -على قـدي- كـان بدايـة التوجـه وأول تجربـة بالكتابة، لكن أنا أردت أن أحشد فيـه أقـوال العلمـاء والأدلـة على أن الاختلاط حرام، وأنّه فتنة، ومسائل من هـذا القبيـل، واجهت الجماعـة بهذه المسألة.

والاحتكاك مع أفراد الجماعة كان في القضايا التي بدأت تظهر؛ تحريم العمـل في الجيش، إنكـاري على بعض أفـرادهم العمـل في الجيش، كـذلك إصـراري على حضـور دروس عنـد سـيد عيـد، وعنـد جماعـة جهيمـان، طبعًـا جماعـة محمـد سـرور بـدأت تضـيق بعـدم الـتزامي وانضـباطي بـأن لا أذهب للجماعـات الأخـرى، ولا أحضـر دروسًـا عنـد آخرين وكذا، وكان يلفت انتبـاهي لــهذا واأبى، لأنّي كنت أحـرص على ما ينفعني؛ أن هذه الدروس تنفعني، وأنا لم أجد ما يـروي غليلي عنـد الجماعة في مسائل؛ مثلاً أنـا كنت أرى عنـد هـؤلاء الشـباب "جماعـة جهيمـان" طلب علم، حـديث، تخـريج أحـاديث، مصـطلح حـديث هـذه العلوم ما كانوا يعطوني إيّاهـا الجماعـة -على الأقـل حـتى لا نظلمهم- في تلك المرحلة، ما كانوا يشـفوا غليلي، فكنت أحـرص على الـذهاب والدراسة هناك عند هؤلاء الشباب.

وممن درست عليهم أيضًا ودرست عنده "علـل الترمـذي" ولم أكملـه كاملاً لكن درست منه قطعة، ومن خلال ذلـك علّمنـا المصـطلح شـيخ كـان مـع جماعـة جهيمـان في فـترة وهم فرّغـوه وأعـانوه وهيّئـوا لـه التفـرغ لطلب العلم، معـروف مشـهور الآن اسـمه الشـيخ: "عبداللـه الجديع"، طبعًا اسمه كان: "يوسـف" هـو اسـمه الحقيقي أو "يعقـوب اليعقـوب" كمـا يقـول هـو، لكن هـو شـهرته الآن أصـبحت الشـيخ: "عبداللــه الجــديع"، ولــه مصــنّفات ومؤلفــات ومتمكّن في الحــديث والتخريج، وإني سمعت الآن بعد ما خرجت من السجن يقال إنه تغيّـر ووجـدت ردودًا لكثـير من المشـايخ عليـه في قضيّة الغنـاء ومسـائل أخرى، لكنّه كان متمكنًا في الحديث فدرسنا عنده الحديث.

ولذلك هذا كـان ممـا يجـذبني في تلـك المرحلـة؛ طلب العلم، وعـدم وجود من يدرسني في هذه الأبواب في الكويت تحديدًا، كان هو الأمـر الذي يجذبني لـهذه الجماعة.

الشاهد وصلنا إلى مرحلة أصبحت أوصف في الجماعة أنّـني فوضـوي أو متمرد أو غير ذلك، وهـذه عبـارات كـان محمـد سـرور لمـّـا كـان يدرّسنا قديمًا؛ كان ينتقـد عليهـا الإخـوان الـذين كـانوا يصـفون أمثـال "مروان حديد" بها، فأذكر مثلاً كنت أسأله عن "مـروان حديـد" فيـذكر لي أشياء طيّبـة عن مـروان حديـد، "مـروان حديـد" معـروف الداعيـة المجاهـد الـذي قتـل في سـوريا وكـان من المجاهـدين في فلسـطين وضدّ النظـام السـوريّ، فكـان يـذكر لي ثباتـه في السـجن وابتلاءه وتعذيبه حتى توفي، وأنه لمـّا توفي كتب رسالة على صـابونة بـأظفره هكذا حفرها يوصي أتباعه من بعده أن يواصلوا مسـيرة الجهـاد وغـير ذلك وذكر لي عنه أمورًا.

- فقلت له: هل كان من الإخوان؟
- فكـان يقـول: لي في مرحلـة من المراحـل كـان من الإخـوان ولكن الإخوان فصلوه.
- قلت: لماذا؟!
- قال لي: لأنهم كانوا يقولون عنه فوضوي.
- قلت: ايش فوضوي؟!
- قال: أي أنه يتعجّل الجهاد ويريـد الجهـاد وكـذا، وابتسـم هكـذا وقال: الله يكثر الفوضويين.

طبعًا لمـّا دارت الأيام والسـنون الآن رأيت شـيخي الـذي كنت أُعجب به وأراه قـدوة لي أصـبح يقـول المجاهـدين فوضـويين، ويقـول عنهم يضـعون فتـوى شـيخ الإسـلام في مكـان ليس مكانها، ويتكلم عليهم كثيرًا -أحزنني هذا جدًا- أنّه هو الذي كان ينتقد على الإخوان هذا أصبح يوجّه هذه التهمة إلى المجاهدين.

طبعًا في مرحلة من المراحل أصبحت أنا أيضًا فوضوي لسبب أنني لا ألـتزم بـأوامر الجماعة؛ أحضـر هـذه الـدروس الـتي تنفعـني، أتكلم

بحرمة الجامعات والجيش بين أفراد الجماعـة في تلـك المرحلـة رغم النهي والمنـع لي، هـذا كلـه كـان يتجـه بي إلى اتجـاه الفصـل من الجماعة، وأنا كنت أعـرف ذلـك وكنت أنتظـر منهم أن يفصلوني، هم كانوا ينتقدون على الإخوان؛ أن الإخوان يفصلون كـأن الـدعوة شـركة مساهمة تنفصل منها!!

فكنت أنتظـر أن يخـرج منهم قـرارًا مثـل قـرارات الإخـوان الـتي ينتقدونها، كثير من المسائل أنا كنت أذكرهم فيها بـالإخوان؛ أذكـر أنّـا كنا نـدرس في حلقـة في بيت الشـيخ "سـامي الـدلّال" كـان هـذا في فـترة من الفـترات مسـؤول الأسـرة الـتي كنت أدرس فيها، وكـان يدرّسنا عدّة أشياء منها كتاب للجماعـة نفسـها ينتقـد الإخـوان اسـمه: "دراسة وتقويم في حركـة الإخـوان المسـلمين"، يعـني نقـد للإخـوان المسلمين، كانوا يدرسونا إيّـاه في الحلقـات الداخليّـة للجماعـة لأنهم يعتبرون أنفسهم دعوة تصحيحيّة للإخوان المسلمين، فمرَرنـا في مرّة من المرّات على موضـوع من الانتقـادات على الإخـوان أن عنـدهم مرشد مجهول، وأن لهم في التنظيم الدوليّ مرشد لا يعترفون باسمه أو لا يذكرون اسـمه للنـاس، هـذا مرشـد مجهـول، وأنّ لـه بيعـة على الإخوان في العالم كله، هذا من الانتقادات، وذكروا أنّه لا يصـح البيعـة لمجهول و.. و.. و.. وأشياء من هذا القبيل، فأنا أذكر من الأشياء الـتي كانت تعدّ مشاغبات آنذاك أنّي عنـدما انتهى الـدرس وكنّـا منصـرفين، وكانت عادته أن يوصلنا في سيارته لأنّنا كنّا شباب مـدارس مـا عنـدنا سيارات، ففي السيارة قلت له: نحن درسـنا اليـوم أنّ من الانتقـادات على الإخوان المسلمين أنّ المرشد الذي يبايعونه مجهـولاً، ونحن الآن يا أستاذ أوجّه لك سؤالاً: من مرشدنا أو من المسؤول؟!

طبعًا هـذا السـؤال كـان محرجًا ليس لأجـل المقارنـة بين الإخـوان وبيننا، وإنّما بحدّ ذاته إثارة هذا السـؤال في جماعـة لا تُظهـر المعـاني التنظيميّة بين أتباعها.

أنـا قلت لكم أنّـه من ذكـائهم أنّهم كـانوا يرتقـون بالشـباب في المراحل التنظيميّة دون أن يقولوا له نحن تنظيم بايعنا، ونحن جماعـة كذا كما يفعله كثير من دراويش هـذا الزمـان، وإنّمـا كـان يـرتقى بك، وتحبّب للجماعة، بل تصل إلى مرحلة التعصّب لها والدفاع عنهـا وأنت لا تعرف أنّ هذا تنظيم، ولم يطلب منـك في يـوم من الأيـام أن تبـايع

هذا التنظيم، لكن من حبك لهم والدروس، والكتب، والرحلات والكـذا، وتُسلِّم بعض الأعمــال في بعض المســاجد، ورعايــة بعض الشــباب وتحضر وهكذا، تصبح تتعصَّب للإهانـة لهـذا التجمـع دون أن تعـرف أن هذه جماعة أو تنظيم.

ولكن مجرّد هذا السؤال فتح الأعين على أنّه نحن جماعة، فــانحرج هو، وبدأ يجيب إجابة هكذا يلف ويدور حول المعنى، وأنّه قد لا تقتضي المرحلة أن يكون هناك أميرًا، هذه الكلمات التي قالها ربما تحتــاج أن يكون مجلس شورى، وقـال بعض هـذه الكلمـات ثم ايش؟! بنشـرت[2] السيارة، فأنقذت الشـيخ من الإجابة، فنزلنـا نسـاعده ونصـلح العجل، وكذا وصّلنا ونسي أن يكمل، هذا ما أذكره، حتى واحد من الشباب مـا زال موجودًا، هذا الشاب قال مازحًا: كله من سؤالك يا عصام بنشرت السيارة، أو شي من هذا القبيل، فذهب السؤال والجواب.

هذه المشاكسات أحيانًا جعلت مسـؤول الأسـرة يضـيق بي، وليس شرطًا هذا الذي ذكرته الشيخ "سامي الدلّال" قد يكون غيره، وكــانت سـببًا في أن يتـولى تدريسـي في مرحلـة من المراحـل أنـا وآخـرين يتصفون بصفتي عند الجماعـة أن عنـدهم شـيء من الفوضـى وعـدم الانضباط، تولى في مرحلة من المراحل تدريسي محمد سرور نفسه، وهذه مــيزة قَــلَّ من حصّــلها في الجماعة، فدرســت عنــده كتــاب: "التوحيد"، وكنت أذهب لبيتـه في منطقـة بعيـدة: "الجهـراء" مـع أنّي كنت أسكن بـ"السالميّة"، أنا ومجموعة من الشباب نحضر عنـده هـذا الدرس أسبوعيًا.

وكـان يُظهـر مـودة ومحبـة لي ويقـول لي: أنت عصـام وأنـا أبـو عصـام؛ لأنّ ابنـه الكبـير الـذي تـوفي في حـادث سـير وكـان اسـمه: "عصام"، فكانت حقيقة علاقة مودة بيننا، وأنا لازلت أُكنّ لهذا الرجــل الاحترام لأجل قـول النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: (حُسنُ العَهدِ مِن الإِيمَانِ)، وأول ما التزم الإنسـان مـع هـذه الجماعة، بغض النظـر عن كل ما يقال في هذه الجماعة أو ما نخالفهم فيه، لكن يبقى كمـا قــال النبي صلى الله عليه وسلم: (حُسنُ العَهدِ مِنَ الإِيمَــانِ)؛ إن لهم فضلاً علينا في بداية الالـتزام، فهم بصـّرونا على الأقـل ولـو تبصـرة وتهيـأة وتأسيســًا إلى هــؤلاء الحكــام، وأنّهم كفــرة، وأنه لا ينبغي أن تكــون

[2] (بنشرت) كلمة انجليزية الأصل (puncher) وتعني ثقب في إطار السيارة.

علاقات بيننا وبينهم وغير ذلك من الأمور البدائيّة الـتي هيّـأت إلى هـذا التوجّه.

طبعًـا في مرحلـة بعـد ذلـك طُلبت للجماعـة لمـّــا كـثرت هـذه المخالفـات في عـرف الجماعة؛ أنّـك تـدرس عنـد غـيرهم، وتحضـر لغيرهم، وتتكلم فيما منعت منـه؛ من الكلام في الجامعـات المختلطة، والجيش وحرمته ونحو ذلك، طُلبت أنا، طلبني الشيخ "سامي الدّلال" وأخبرني بأنّني الآن لست من الجماعة، وأنّـني أُمثّـل نفسي، ولم أعُـد في الجماعة، أخبرني بذلك رسميًا، وكنت أنتظر هذا اليوم، فأنا خلاص كنت معتبرًا نفسي خـارج الجماعة، وكنت غـير منضـبط في المسـائل هذه، وكنت قد وصلت إلى مرحلة أنا بدأت أنتقـد الجماعـة بيـني وبين نفسي، وأخالفها في أشياء، وأحس أنّي خلاص ما عنـد هـذه الجماعـة أخذته وأنا أبحث عن شيء آخر أعلى مستوى منها، فلذلك لم أنصــدم بهذا الخبر، وإنما حقّقت منه، ولم أتفاجأ فيه، بل أنا كنت أعتبر نفسي خـارج الجماعة، لكن هم أخـبروني بـذلك رسـميًا، فوقعـوا بمـا كـانوا ينتقدون به الإخوان من أنهم كانوا يقولـون أنّ هذه كشـركة مسـاهمة تفصل ونحو ذلك.

ولابدّ إذا كان يوجد عمل تنظيميّ، وكان الإنسان غير مرتبط وغير منضبط تنظيميًا ما تستطيع تستوعبه تنظيميًا لابد إمّا أن تتركه ويبحث لـه عن جماعـة أخـرى، وإلا فـإن العمـل التنظيميّ يقتضـي الضـبط والربط، وإن كـان فيـه ملاحظـات على قضيّة الدراسـة وطلب العلم، وإذا ما وجدت ما يشفي غليلك عندهم فاذهب إلى آخرين، فالأصل إذا كنت أنت تثق بنفسك وتثق بعقيدتك ومنهجك وما تطرحه لجماعتـك لا تخـاف على شـاب يـذهب يحضـر درس مصـطلح حـديث عنـد جماعـة أخرى.

على كل حال طوينا هذه الصفحة، وبدأت علاقتي الآن بأريحيّـة مـع جماعة جهيمـان، طبعًـا جماعـة جهيمـان الفـترة الـتي أنـا كنت أحتك فيهم، وأحضر دروسهم، وتأثّرت في طلب العلم معهم كانت هذه بعـد حادث الحـرم، أمّـا هـذا الكلام الـذي أتكملـه بهـذه المرحلـة المبكـرة فكانوا مـا زالـوا حـتى تـوجههم مـع جماعـة جهيمـان لم يظهـر، كـانوا سلفيين لكن بعد خروجي من الجامعة وتركي للجماعة ومراحل أخرى تزوجت وسكنت قريبًا من منطقـة، كـانوا هم عنـدهم بيت تركـوا فيـه

مكتبة الشيخ "علي الجعفان" -رحمه الله- جعلوها وقفًا بعد ما أُعدم في الحرم مع جهيمان، هذا من مشايخهم البارزين، كان يماني، فمكتبته كانوا أهله محتاجين، اشتروها هم منهم فجعلوها وقفًا، فكانت بالنسبة لي في ذلك الوقت مكتبة شبه متكاملة؛ فيها كتب السنة كاملة، فيها المراجع التي تحتاجها لعمل أي بحث، فكنت أتردّد على هذا البيت، كانوا يسمونه ملحقًا بالكويت، تعرف الملحق؛ توجد العمارة وجنبها يكون ملحقًا، فكنا نتردد عليه ونطلب العلم فيه ونقرأ أحيانًا معًا في بعض الكتب، وإذا كنت أريد أن أعمل بحثًا أو شيئًا أستعين بهذه المراجع التي كانت متوفرة، وبالنسبة لي كانت مكتبة كبيرة.

كانت هذه تقريبًا المراحل الأولى في التوجه بعد ترك الجماعة، وكما ذكرت آنفًا -باختصار في كلامي على مراحل الدراسة- أنّي عندما ذهبت إلى المدينة بدأت المرحلة الحقيقيّة للتوجّه باتجاه تبنّي هذه المسائل التي خالفنا فيها كثير من الناس التي هي مثلًا: تكفير الجيش والشرطة، تكفير الأنظمة، تكفير البرلمانات، القول في أن الديمقراطية كفر، المسائل التي جهرنا بها، وكتبنا فيها، وصنّفنا فيها في تلك المرحلة؛ مرحلة مكوثي في المدينة المنورة ليس هذا تأثرًا بمشايخ الجزيرة، لا، بل كان ذلك تأثرًا في كتب علماء أئمّة الدعوة النجديّة وربط هذه الكتب في الواقع؛ فعلى سبيل المثال عندما كنت أقرأ في "الدرر السنّية" عن تكفير علماء نجد لعساكر الدولة التي هي دولة "محمد علي باشا" الدولة المصريّة، التي كانت في مرحلة من المراحل تابعة للدولة العثمانيّة، عندما غزوا "الدرعيّة" لمّا استعان بهم أحد "آل سعود" على أخيه واستنصر بهم، خرجت كتب آنذاك الذي هو كتاب: "الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك"، وكتاب: "سبيل النجاة والفكاك"، قرأت أنا خلال تقليبي لكتب علماء نجد أنّ هذين الكتابين صنّفا في تكفير عساكر الدولة الذين استعان بهم من استعان ضدّ المسلمين في نجد، فبدأت أفكر؛ عساكر الدولة؟! من الدولة هذه؟! الدولة العثمانيّة أو من يتبع الدولة العثمانيّة؟! الدولة المصريّة كانت تابعة للدولة العثمانيّة قبل أن يخرج عليها "محمد علي باشا" أو في مراحل.

الآن دولة "محمد علي باشا" ما الفرق بينها الآن وبين هذه الدول؟! كان يُحكِّم القانون في مرحلة من المراحل، كفروا الجيش،

وتقـرأ في العبـارات "عسـاكر القـوانين"، لا، هـذه قليلـة مـا قـالوا: "عسـاكر"، قـالوا: "أسـباب التكفـير أنّهم يُحكِّمـون القـوانين" هـذه اللفظة لا، لكن قالوا: "عساكر القباب"، فهذا ذكـر الأدلـة الـتي يكفّـر فيها العلماء من تولى اليهود والنصـارى وتنزيلهـا على من تـولى هـذه الدولـة الـتي تحكم بـالقوانين، ذكـر كفـر من استنصـر فيهم على الموحدين في نجد، ذكر هـذا أول مـا لفت انتبـاهي في المسـألة هـذه بدأت أنظر وأقارن وأقول حسنًا؛ نحن هذا هو واقعنا، ما فيه إلا شـيء بسـيط جـدًا أحتـاج بعض أدوات العلم، بعض مسـائل العلم، التبصر، الجرأة أنّك تسحب هـذه الفتـوى وتنزلهـا على حكومـات هـذا الزمـان وعسـاكرها، لن آتِ ببـدع من القـول إن فعلت ذلك، فهـذه المسـألة أخذت تـدور في خلـدي وأن أقـرأ وأطـالع في كتـاب "الـدرر السـنّية" وكتب علماء نجد.

وفي ذلك الوقت ما رأيت كتابًا من كتب علمـاء نجـد تقريبًـا أكـاد أجزم ما أريد أقول كـل كتب علمـاء نجـد قرأتها، ولكن لم أرَ أنـا كتابًا من كتب علماء نجد في ذلك الوقت وأحفادهم وأحفاد الشـيخ "محمـد بن عبد الوهاب" وطلبته إلا واقتنيته واشتريته وقرأتـه وجردتـه، وكنت ألخص بعض الفوائد التي تمرّ عليّ في مثل هذه المسـائل الـتي كـان تركيزي وذهني منكب عليها، فلذلك حقيقة كـانت اسـتفادتي كلهـا في بداية التوجه من هذه الكتب.

ولذلك إذا طـالعت كتـاب "ملـة إبـراهيم" الـذي كـان ثمـرة هـذه المطالعة أو أول ما كتبت في هذا الاتجـاه سـتجد أنّـني ملّلتُ القـارئ من الكم الهائل الذي استشهدت به من أقوال علماء نجد، قال الشيخ "محمد بن عبد الوهاب"، قال الشـيخ "عبـد اللـه بن سـليمان بن عبـد الوهـاب"، قـال الشـيخ "عبـد الـرحمن بن حسـن ابن الشـيخ عبـد الوهاب"، قال الشيخ "أبابطين"، قال الشـيخ "سـليمان بن سـحمان"، قال "محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ"، قال...، أكرّر.

حتى أنا بعد ذلك بدأ يستقيم أمـر التصـنيف والكتابـة عنـدي كلمـا أراجع كتاب "ملة إبراهيم" وأنظـر إلى الحشـد الهائـل الـذي أنـا أرصّ فيه هذه النقولات، وحريص على تكرارها، فلا يُحمد أنّك تأتي بــ: (15، 16،ــ 17،ــ 20) مقالة بنفس المعنى لمشايخ متكرّرين بنفس المعـنى تكرّره وربما لو كانت هذه الدراسـة وهـذا المؤلـف يعـرض على بعض

الأكاديميين في الجامعات وينتقد عند بعض المشرفين الذين يشرفون على الدراسات وعلى الرسائل ويقول لك لا داعي لتكـرار هذا، خلاص يكفيك أن تنتقل نقلين مهمين ما دام متشابهات، وتقول: قال كثـير من علمـاء نجـد أو من أتبـاع الـدعوة الوهابيـة يقولـون مثـل هـذا القـول، وخلاص وتذكر في الهامش إذا أردت أن تعـزو إلى المواضـع بأرقامها، أما تكرّر وتكرّر وتكرّر!

وكان ذلك حرص مني على تأكيد هذه المعاني التي ربمـا سـيقال لي أنت ابتــدعتها أو أنت اخترعتهــا تأكيــد أنّــه ليس من عنــدي هــذا الحكي، انظــروا فلان يقــول، وفلان يقــول، وفلان كلهم أئمّــة وأعلام الدعوة النجديّة، ليس الشـيخ عبـد الوهـاب وحده، وليس الشـيخ عبـد الرحمن بن حسن وحده، وإنما اسمع، خذ، اسمع، خذ.

فأنت لمـّا تقرأ تجـد الحشـد والكم الهائل، هذا كلـه كأنّمـا تمهيـد لمــّا سـأقوله، ولمــّــا سـأقرره وأنّي لم آتِ ببـدع من القـول، وكـان عنــدي حساسيّة من الهجمــة الشرســة الــتي أتوقعها، فتجــدني في الهوامش في بعض الإطلاقات التي أطلقها أئمّة الدعوة النجديّـة الـتي قد توهم التكفير في بعض المسائل الـتي لا تسـتحق التكفـير، تجـدني علّقت وأثبت هــذه التعليقــات في موضــع أو موضــعين، وجئت ربمــا بتعليقات بعض أئمّة الدعوة النجديّة أنفسهم عليها، فكان هذا هــو أوّل التوجّه، وكان كتاب "ملة إبراهيم" هو باكورة المؤلّفات في هذا الباب، ويبدو تأثّري فيه ظاهرًا بكتب أئمة الدعوة النجديّة.

طبعًا البعض قال أنّ هذا كتاب "ملة إبراهيم" هو مثل لمــّا سُئِل هــذا الــذي يحضــر رســالة الــدكتوراه عنّي، مسمّي نفسه بــالعربي: "عطية الله"، "أبو داؤود عطيـة اللـه الهولنـدي"، هـذا بـاحث هولنـدي يعمل رسالة دكتوراه عنّي اسمه: "يو اص فو" بالاسم الهولندي، قــال لي: "أنّه هو سأل عن كتاب "ملـة إبـراهيم" بعض النـاس السـعوديين وغــيرهم، عن أثــري أنــا في الجزيــرة، فقــال له البعض، ذكــر منهم "مشــاري الذايــدي" -هــذا عــدويّ يكتب عنّي دائمًــا، يسمّيني شــيخ الإرهاب- قال: "إنّ عقيدة الولاء والبراء كانت نائمة فجاء هـذا الرجـل –يعنيني، أنا أنقل عن هذا الباحث الهولندي- يقـول: فجـاء هـذا الرجـل وهزّها هزًا عنيفًا"، هو هكـذا يؤشّـر هـذا الهولنـدي، يقـول: "جـاء هـذا الرجــل –يعنيــني- وجــاء فهزّهــا هزًا" يعــني أيقضــها، هــذا "مشــاري

الذايدي" يقول هذه العبارة لهذا الهولندي، ينقـل هـذه الهولنـدي، هـذا يقول أنّـك أنت -في كتـاب الـولاء والـبراء- أنت نفضـت هـذه العقيـدة نفضًا، وأحييتها إحياءً، ووجّهتها إلى الحكام وأنصارهم، عرفت كيف؟

كان ربـّما في الجزيرة الولاء والبراء عن اليهود والنصـارى فتـأتي توجّه هذه العقيدة إلى نفس الحكام وأنصارهم وأجنادهم، فهكـذا كـان تصوّرهم عن هـذا الكتـاب، وأنـا الـذي جعلـني أهزّهـا هزًا ليس مقالـة العبد الضعيف ولكن هذا الشحن الهائل من أقاويـل علمـاء نجـد أردت بـه تعزيـز هـذه المعـاني الـتي كتبتهـا بالكتـاب، فأنـا كنت أعيش في الكويت وأتردّد على الجزيـرة، فأنـا أخـاطب آنـذاك من يحـترم هـؤلاء المشايخ، ومن هؤلاء المشـايخ هم قـدوتهم، من أبا محمّـد المقدسـي آنذاك؟ لا أحد يعرف أبا محمد.

فـإذًا قلت لهم: قـال الشـيخ "عبـد الوهـاب"، قـال الشـيخ "عبـد الرحمن بن حسن"، قال الشيخ "سـليمان بن سـحمان"، قـال الشـيخ "حمد بن عتيق"، وقال وقال وقال، هذا كلام وأنا ما جئت بشيءٍ من عندي، فلذلك حقيقة لقي الكتاب قبـولاً في أول أمـره لمـّا طبـع وتداولوه الشباب تصويرًا، كنت أروح لمناطق البـدو في الصـحراء في الجزيرة أجد الكتاب مصورًا، وموجـودًا عنـدهم، حـتى مرّة زرنـا بعض إخواننا البدو، موحدين في وسط الصحراء، وكانوا يعيشـون في بيـوت شـعر، فوجـدت الكتـاب عنـدهم على الأرض ومنزوعـة منـه الصـفحة الأولى.

- فقلت: ما شاء الله وصل عندكم كتاب "ملة إبراهيم" هنا؟
- قال: نعم.
- قلت: وإيش الذي نزع الصفحة الأولى؟
- قـال: والله، يـا شـيخ نحن مـا عنـدنا هنا مكتبـات، ولا عنـدنا رفـوف، والكتـاب مرّات نضـعه على المسـند، فـدخلت العـنز أكلت منه الصفحة الأولى.
- قلت: ما شاء الله، عنزكم طالبة علم! حتى عنزكم طالبة علم فكيف أنتم ما شاء الله؟!

فعلى كل حال؛ كان انتشر الكتاب انتشار النار بالهشيم، وصور، وطبع طبعات كثيرة؛ بعضها في لبنان، حتى طبع داخل فلسطين في مناطق الثمانية والأربعين، وطبع طبعات لا أعـرف عـددها، ولا أعـرف مكانها،

وترجم ترجمـات حـتى بالروسيّة، تـرجم حـتى بالبنغاليّـة، بالإنجليزيّـة، بالفرنسيّة، كثير من الإخوة يأتون يقولون ترجمناه.

لكن الطبعة الأولى كانت لهذا الكتاب في باكسـتان عنـدما ذهبت أول مرّة إلى أفغانستان أخذت معي نسخة من الكتاب فطبع هنـاك، وهـذا له حديثه سيأتي لاحقًا عندما نتكلم عن مرحلة أفغانستان.

وأذكر أنه في مرحلة من المراحل قبل أن أطبع كتاب "ملة إبـراهيم"، وقبـل أن أنشـره كـان هنـاك نشـاط مشـترك بيننـا في موضـوع البرلمانات، كان يوجد انتخابات للبرلمـان الـتي حصـلت في فـترة من الفـترات، أردنـا أن نكتب شـيئًا منشـورًا نوزعـه عن أنّـه لا يجـوز للمسلمين أن يشاركوا في هذه الانتخابات، فكـان يوجد كتـاب للشـيخ "سـيد الغُباشي" عن حكم البرلمـان المصـري، مجلس الشـعب المصري، كانت موجودة عندنا، فهذبناها واختصرناها وحـذفنا مـا يتكلم فيه عن مصر وجعلناها مهيأة ومناسبة للكويت، وقتها أنا كتبت مقدمة بنفسي لهذا الكتـاب كـانت مستخلصـة مـمّا كنت كاتبـه ومجهـزه من "ملـة إبـراهيم"، ولم يكن الكتـاب مطبوعًا بعد، عن الـولاء والـبراء، والكفر والشرك ومفارقة أهله وإظهار العداوة لهم، هذه المعـاني في مقدمـة الكتـاب كتبتها، وكـان عنـوان الكتـاب -اختصـرناه للكتـاب وسمّيناه- باسم: "القـول السـديد في أنّ المشـاركة في المجلس منافية للتوحيد"، كان هـذا مـا سـميناه بـه، مـع أنّ هـذا عنـد التحقيـق والتفصيل بعد ذلك مع خصومتي مع هذه الجماعة ومع أفراد من هـذه الجماعة؛ يعـني من الانتقـادات الـتي انتقـدوها عليّ تكفـيري الجيش والشرطة، وقولي بتكفير أعضاء البرلمان.

وكنت أنـاقش بعضـهم فـأقول له: حسـنًا؛ نحن طبعنـا مـع بعض هـذا الكتاب!

قال: كنّا مخطئين.

بعضـهم قـال: كنّـا مخطـئين عنـدما طبعنـا هـذا الكتـاب معك، بسـبب العنوان لاحظ، كنت أقول ماذا يعني هـذا العنـوان عنـدكم؟! وإن كـان التفصـيل في الـداخل نحن اختصـرنا كلام الشـيخ ووضـعنا بعض الهوامش فيه، وضبطناها على واقع الكويت، والمقدمـة لي والعنـوان، فـالعنوان واضح: "القـول السـديد في أنّ المشـاركة في المجلس -

مجلس الأمة- منافية للتوحيد"، حسنًا كيف ارتضيتم هذا الأمـر منـافي للتوحيد؟!

هذا الكتاب الأصلي الذي اختصرناه كان كتاب للسيد الغباشي، عنوانـه الأصـلي: "إبلاغ الحـق إلى الخلق"، فنحن اختصـرناه، حـتى هـذه الإشارات الـتي تراهـا واضحة على النسخة كـانت هي الأجـزاء الـتي أخذناها، اقتطعناها، وعلقنا عليها، وأخرجنا منها ذلك الكتاب الذي طبع آنـذاك تحت عنـوان: "القـول السـديد في أنّ المشـاركة في المجلس منافية للتوحيد"، ووزّعناها آنذاك، وكان هـذا أول نشـاط مشـترك مـع الشباب بجماعة جهيمان، وحتى أنّها كانت ظاهرة جديدة على الكويت أن يخـرج أنـاس ينـافون ويخـالفون المشـاركة في الانتخابـات، كـان أسمى أمانيّ الكويتيين آنذاك أن يكون هناك برلمانًا وأن يكـون هنـاك ديمقراطية و.. و.. و..، فتخرج أنت تسبح عكس التيار، وتـبيّن أنّ هـذا ليس من التوحيد، وأنّه لا يجوز المشاركة في هذه الانتخابات!

هذا أمر غريب ومستغرب، لـذلك كتبت الجرائـد عن هـذا الأمر، أذكـر بعض المقـالات حـتى سمّوا الكتـاب باسـمه ووزّع في بعض المقرّات الانتخابيّة، كانوا يعملون خيمًا ويذبحون ويعزمـون المنتخـبين، مثـل مـا يحصل في كل بلد.

فهـذا كـان شـيئًا من الأنشـطة الـتي جـرت مـع الجماعة، كـذلك كنّـا نتدارس -في هـذا الملحـق أو هـذه المكتبة- بعض الكتب، ونقـرأ بعـد صلاة الفجر بعض الكتب، وكـان عنـدهم أيضـًا مكـان في الـبرّ يسمّى: "جـاخور" في عـرف الكويتـيين؛ "جـاخور" عبـارة عن مكـان في الـبرّ يجعلـون فيـه غنمًا ربما، ويجعلـون فيـه خيلاً، فـالخروج إلى الـبرّ في الربيع كان من الأمور المحببة عند الكويتيين.

أمّا هؤلاء فكان دائمًا عنـدهم هـذا "الجـاخور"، ربّـما يكـون الخميس، الجمعـة يطلعون، يسـهرون، يبـاتون فيه، يتعشون، فتحصـل بعض الـدروس، وتحصـل بعض الجلسـات الـتي تثـار فيهـا بعض المواضـيع، فكان في هذه الفـترة أيضـًا بعض أفـراد جماعـة جهيمـان بعـد حـادث الحرم كانوا يجالسون أناسًا جديـدين، فكـان ينتقـد بعضـهم على بعض أنّهم يـدخلون أولادهم مـدارس الحكومـة بمـا فيهـا من مفاسد، وأنـا أعـرف أنّ جماعـة جهيمـان كـانوا يـتركون مـدارس الحكومة، وكـانوا يتركون حتى الجامعات لمجرد أنّه ما تدخل الجامعة إلا بصورة، ولأجل

ذلــك هم أصــلاً أنكــروا عليّ الجامعة، يقــال هم يــتركون الجامعــة الإسلاميّة لأجـل أنّـه لا تقبـل في الجامعـة إلا أن تصوّر صـورة، وفيهـا مدرسون حليقـون، فكيـف أنت تـدرس في جامعة فيهـا نسـاء، وفيهـا مدرسات، وفيها، وفيها...؟!

في هذه المرحلة تقريبًا كتبت كتـابي: "إعـداد القـادة الفـوارس بهجـر فساد المدارس"، شجّعني على الكتابة في هذا الموضوع؛

- أولاً: كنت متأثرًا في الجماعة هذه ومرافقها.
- وكانوا متـألمين؛ أنّه كثـير من بعض أفـرادهم الحـديثين الـذين يجالسونهم ويدخلون أولادهم المدارس.

فكتبت هذه الرسالة وفرحوا فيهـا لأنّــها جـاءت موافقـة لهم، وكتبتها، وهذه مطبوعة منشورة إلى اليوم.

3- الحديث عن جماعة جهيمان وحادثة الحرم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آلــه وأصحابه أجمعين.

بقيت مـع هـؤلاء الشـباب مـدة أتـردّد عليهم، حـتى عنـدما ذهبت إلى أفغانستان أول مرة، وطبعت كتـاب "ملـة إبـراهيم" وكنت أرجـع،كنت أسكن قريبًا منهم، وكانت تطوراتي؛ تطـورات تـوجّهي واسـتبانتي في سبيل المجرمين وبعض المسائل التي كنت أطرحهـا دائمًـا تزيـد حـدّة الخلاف بيــني وبين بعض هــؤلاء الأفــراد، حــتى أنــه في مرحلــة من المراحل لـمّــا ظهـر كتـاب "ملـة إبـراهيم" حصـلت بسـببه جلسـات، وظهر الخلاف بيني وبين مجموعة منهم، واختلفت نفس الجماعة إلى مجموعتين؛ مجموعة تؤيّد الكتاب، ومجموعة تعارض الكتـاب، وتصـدّر لذلك بعض شبابهم.

وحاســبوني على المقدمــة الــتي فيهــا بــرآءة من الطــواغيت ومن

جيوشهم ونحو ذلك وعساكرهم، وأخذوا يشـدّدون، وأنت تكفـر هـؤلاء ومسائل، لأنه كان فيهم أفراد بعضهم من الجيش وكـان مختلطًـا أمـر جهيمـان بعـد حـادث الحـرم، دخـل فيهم أنـاس حـدثاء، كـان بعضـهم بالجيش، وكان بعضهم سلفيين، وكان بعضهم يتردّد على المشايخ في عنيزة "بن عثيمين" وغيره، فكانت مختلطة، كـان هـذا التجمـع وضـعه مختلطًا ليس كوضعه قبل حـادث الحـرم، ولـذلك وُجِـدت فيـه طائفـة عارضت مـا كنت أطرحـه من مسـائل واختصـموا، وكـانت هـذه أيضًـا مرحلة من المراحل الـتي حصـل فيهـا بيننـا خلاف مـع هـذه الجماعـة لبدايــة تبلــور هــذه المســائل؛ تكفــير الجيش والشــرطة، تكفــير البرلمانات، بعضهم لـمـّـا كنت أحاججـه -نحن طبعنـا هـذا الكتـاب مـع بعض- يقـول: "نحن كنّـا مخطـئين" -هكـذا صـرّح لي أحـدهم- قـال: "عندما وافقنا على هذه التسمية وطبعناه".

مسألة تكفير الجيش والشـرطة في مرحلـة من المراحـل لأنـه يسـير عكس التيار، كان بعض الشباب السـعوديين الـذين يناصـروني يقـول لي: "يا شيخ لا تقل لهم أني أُكفّر".

- أقول لهم: "كيف أنا أبرأ؟! الـبراءة هـذه }إِنَّا بُـرَآَءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُـدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ{(الممتحنـة/4)، أوجّههـا في بداية المقدمة إلى الجيش والشرطة والقضـاة والإعلام و.. و.. و.. كلها".
- فقال لي: "يا شيخ استدل لهم بحديث عبد اللـه بن عمـر لـمّا ذُكِر له فلان وفلان يقولـون بالقـدر قـال: "أخـبرهم أني بـريء منهم"، فهو ما كان يكفرهم ومع ذلك تبرأ منهم".

لأن التيار كان شديدًا جدًا في تلك المرحلة ضدّ طـرح هـذه المسـائل، فكان بعض المحبين لنا يختلقون لنا المعاذير الـتي تجعلنـا نخـرج ممـا يظنّونه مأزقًا.

وحقيقة؛ كانت هذه المسائل، وهذا الخلاف في تلك المرحلة ربما كان من ثمراته أن أكّدنا هذه المعاني، واحتجنا في تلك المرحلة أن نبحث،

ونقرأ، ونؤصّل لهذا الأمر، حتى لمّا نطرحه فيما بعد عند أُناس يتقبلونه نطرحه بأدلته الشرعيّة، وليس القضيّة قضيّة أنني كنت متأثرًا بأقاويل بعض علماء نجد، أو مثلًا تابعتهم على بعض فتاويهم في الدولة المصريّة ونحو ذلك، لا، أصّلت له تأصيلًا أكثر، واستدللت باستدلالات لم أقرأها لعلماء نجد، وهذا كلّه من توفيق الله عزّ وجل وتيسيره، كنت دائمًا أدعو: "اللهم ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"، كنت دائمًا أدعو بهذا الدعاء وأسأل الله أن يهديني إلى الحق الذي اختلف فيه.

والله عز وجل سدّد ويسّر بأنّ -سبحان الله- الذي شجعني أكثر وأكثر أنني في مرحلة من مراحل هذا التوجّه ذهبت إلى أفغانستان وتعرّفت على جماعة الجهاد ففوجئت بأنّ ما كنت أسير باتجاهه هو ما هم يسيرون إلى اتجاهه، وكانت الخلافات فقهيّة في مسائل معدودة؛ في قضيّة المشاركة في الجيوش لقلب نظام الحكم هذه من التفصيلات الدقيقة، أما التأصيل لتكفير الجيوش والأنظمة والبرلمانات فكان -سبحان الله- الله عز وجل هداني إلى ما كانوا هم -بطلبة علم عندهم، طلبة علم متقدمين ومشايخ- أصّلوا لهذا وكتبوه، وجدت أنّ ما كنت أسير باتجاهه هو ما كانوا هم قد أصّلوه ولم أكن قد قرأته بعد.

ولذلك لمّا دخلت إلى معسكرات القاعدة، ودرّست داخل المعسكرات، وكان أغلبهم من جماعات الجهاد كانت المفاجأة بأن فرح بعضًا من الشباب عندما تفاجؤوا -وهذه لها قصة بعد ذلك إذا جئنا لأفغانستان- بتقارب الأفكار وتقارب الطرح.

طبعًا كلّ هذه العلاقة مع جماعة جهيمان كانت بعد حادث الحرم؛ علاقتي، وتعرّفي عليهم، وجلوسي في مكتبتهم، وهذه الأحداث التي ذكرتها كانت كلّها بعد حادث الحرم، ولم يكن قبل حادث الحرم لي

علاقـة بالجماعـة، وإنمـا كـانت علاقـة بسـيطة مـع بعض الأفـراد في منطقتنا.

حدثت حادث الحرم وأنا مـا زلت أدرس في الجامعـة في العـراق، ثم بعد ذلك رجعت إلى الكويت في إجازة، في عطلة، ثم بعـد ذلـك؛ بعـد ما خرجت من الجامعة، وتركت جماعة محمد سرور توطّـدت العلاقـة مع جماعة جهيمان، وكان ذلك بعد حـادث الحـرم لم يكن قبـل حـادث الحرم.

لابدّ من وقفـة مـع حـادث الحـرم هنـا لأنّ كثـيرًا من النـاس مشـوّش فكرهم أو فكرتهم عن حادث الحرم بسبب تشويش المشايخ؛ مشـايخ الحكومـات لهـذه الحادثـة، والتشـويش حولهـا، وحـرص الدولـة على تشويه هذه المجموعة، أنا ذكرت قبل قليل أنّ هؤلاء الشباب -جماعـة جهيمان- كـانوا طلبـة علم، يحرصـون على كتب السـنة وتعلّم السـنة، وهكذا جهيمان كان -رحمه الله تعـالى-، فقـد أخـبرني هـؤلاء الشـباب بأنّه كان حريصًا على تعليم البـدو، وربمـا بـاع سـيارة أو قطعـة أرض، واشترى "جمسًا"، وشحنه بكتب السـنة، وبعض طلبـة العلم أعطـاهم الكتب والسـيارة، وقـال لهم: "اذهب إلى القبيلـة الفلانيّـة وتفـرّغ عنـدهم"، فيجلسـون مـدّة؛ يعلّمهم السـنة، ويعلّمهم طلب الـدليل، ويعلّمهم التوحيد، فتجـد من البـدو أنفسـهم إذا تكلمت يقـول لـك: مـا دليلك؟ ما كذا؟ فعلّم النـاس التلقي عن اللـه والرسـول، علّم النـاس السنة.

كانت الجماعة نشطت نشاطًا طيّبًا وظاهرًا جدًا خصوصًا في الجزيرة، وكان أثرٌ لهم أيضًا داخل الكويت، وكـانت تطبـع كتابـاتهم في الكـويت وتهرّب إلى السعودية وتـوزّع، كـانوا أثنـاء فـترة الحج لهم نشـاط بين الحجاج، تشعر بالإخلاص في كثير من أفـرادهم، طلبـة علم نشـيطين، تأثّرنا بهم حتى أنّ منهم شبابًا تركـوا الجامعـة لبعض المنكـرات الـتي يستسهلها الناس، وتفرغـوا لطلب العلم، درسـت على بعضـهم، حـتى أذكر منهم واحدًا كان يطيل شـعره، ويتعمّـد أن يطبّـق سـنة الاحتفـاء

فيمشي محتفيًا، ودرسنا عنده في فترة من الفترات،كان يدرّسنا الفقه من كتاب: "عمدة الأحكام"، وهذا الرجل كان خطيبًا مفوّهًا، والآن لأجل أنّ أصول هذه الجماعة في المسائل المهمّة مسائل التوحيد التي تتعلق في المسائل المعاصرة؛ البرلمانات، وكفر الحكام، والأنظمة بتفاصيل المسائل هذه، كان هذا الجانب عندهم ضعيفًا، ممّا آل بهذا الرجل الحال بأن أصبح نائبًا في البرلمان، بعدما كان يمشي حافيًا أصبح يدخل ببشته في البرلمان ويتكلم، على كل حال هذه قصص مؤلمة حتى بعض من شاركنا في طباعة كتاب: "القول السديد"، وفي اختصاره الذي نزّلناه في البرلمانات بعد ذلك دخل كلية حقوق، ودرس المحاماة وأصبح محاميًا، هذه كلها أمور يتألم منها الإنسان، ولكن عند التحقيق ترجع إلى مسألة معيّنة وهي عدم استبانة -وحتى لا نظلم الجميع- نقول عدم استبانة بعض شباب هذه الجماعة لسبيل المجرمين حق الاستبانة، وإلا يوجد بعض هؤلاء الشباب الذين كانوا يتردّدون على "سيد عيد" كانت عندهم الأمور واضحة، ولكن كانوا قليلين، أما الباقون فقضيّة تكفير الحكومات، وتكفير أنصار الحكومات، والحكم على البرلمانات بأحكام شرعيّة دقيقة لم تكن واضحة عند كثير منهم، حتى مسألة الجهاد كانوا يعارضون قضيّة القتال والخروج على الأنظمة لأن جهيمان أصلًا لم يكن يكفّر هذه الأنظمة، وكان عنده رأي ويتمسّك به أتباعه من بعده وهو أنّه لا يكون القتال إلا بعد الهجرة ويستدلّون بقوله تعالى: }إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أُولَـئِكَ يَرجُونَ رَحمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{، فهذه الآية كانوا يستدلّون بها على أن للجهاد مراحلاً يسبقه الإيمان ثم الهجرة ثم القتال، ولا يكون القتال قبل الهجرة، لابدّ أن تهاجر إلى مكان وتأوي إليه، كالصورة التي قاتل فيها النبي صلى الله عليه وسلم؛ لم يقاتل إلا بعد أن هاجر إلى المدينة، ويستدلّون بهذه الأشياء حتى يجعلوا طريق نصر الدين لابدّ أن يكون هذا الطريق بحذافيره، ولذلك كانوا يخالفوننا عندما نطرح مسائل القتال ومسائل الجهاد.

فحادث الحرم أنا أعتقد أنه كان للنظام السعودي فرصة ذهبيّة لاستئصال هذه الجماعة, لأنهم ضاقوا ذرعًا بهذه الجماعة، حيث كانت الجماعة تتميّز عن سائر السلفيين بأنّ عندها جرأة في إنكار المنكر، تنكر كثيرًا من المنكرات التي يتوقف السلفيّون التقليديّون عن إنكارها بحجّة أنها يترتب عليها مفاسد، على سبيل المثال قضيّة طمس صورة الملك من الريال السعودي هذه مسألة هم سنّوها،كان يمسك الطمّاس الأسود هذا وتلاقيه يطمس وجه خالد آنذاك، يطمس وجهه بالأسود كاملاً، فيعطيه لواحد ربما هذاك ما رءاها فيأخذها، بعد ما يذهب ينتبه إليها ويعطيها الآخر فتحصل مشاكل، اشتغل لها علماء السوء هذه المسألة، وأنكروها إنكارًا، وحصلت مشاكل كثيرة وقتها، بعض العلماء الرسميين قالوا هذه الصورة غير معظّمة، وبعض المشايخ الذين لا تأخذهم بالله لومة لائم قالو لا هي معظّمة, وأذكر قصة ذكروها لي بعض شباب جماعة جهيمان أنّه كان يوجد شيخ -رحمه الله- الشيخ "بديع الدين السنديّ"، وهو من المشايخ الذين قتل أبناءهم في الحرم مع جهيمان، وكان من المشايخ الذين درس عليهم شباب جماعة جهيمان، يحبون الدراسة منه، وكان شيخًا لا تأخذه بالله لومة لائم، وكان عالمـًا من العلماء الذين يدرّسون في الحرمين، ولكنّه لمّا خالف المشايخ الرسميين في هذه المسألة سُفِّر من السعودية؛ ذكروا لي أنّه كان في مجلس حضره "حمّاد الأنصاري" وبعض المشايخ الذين يجادلون عن النظام، وأثيرت القضيّة، وكان في المجلس عدد من العوام والبدو، وأثيرت قضيّة هذه الصورة التي يطمسها جماعة جهيمان، وأنّه لا داعي لطمسها لأنّها ليست معظّمة، وهذه تترتّب عليها مفاسد و.. و..، وأخذ يتكلم بعض المشايخ منهم "حمّاد الأنصاري" أنّ هذه ليست معظّمة، ولا داعي لطمس هذه الصورة، فقام هذا الشيخ -رحمه الله- الشيخ "بديع الدين السنديّ"، وأخذ عشر ريالات، ووضعها على الأرض، ودعس عليها، فإذا بنصف المجلس من البدو -أنت تدعس على صورة الملك، أنت.. أنت..- قاموا وثاروا عليه، فقال هذه ليست معظّمة هاه؟! كيف لو كانت معظمة؟! ماذا كان سيحصل لي لو كانت معظّمة؟! طبعًا هو سُفِّر

وأُبعد, هذا من المشايخ الذين كانت جماعة جهيمان تدرس عليهم.

بل إنّ جماعة جهيمـان كـانت تحـرص على حضـور مجـالس "بن بـاز" وكثـير من العلمـاء الـذين بعـد حـادث الحـرم نكـؤوا جماعـة جهيمـان بفتاويهم الشديدة، وكانت جماعة جهيمان تحرص كلّ الحرص على أن لا يخرج كتاب من الكتب الـتي نشـرتها الجماعـة إلا بعـد قراءتـه على الشـيخ "بن بـاز"؛ فكـانوا يبعثـون بهـذه الرسـالة قبـل أن تطبـع من رسـائلهم إلى الشـيخ "بن بـاز"، شـخص منهم يـذهب ويقـرأ هـذه الرسالة، يا شيخ نريد رأيك في هذا الكتاب، فيقـرؤون عليـه، فإمّـا أن يثني عليـه فيطبعـوه، أو يعلّـق على مواضـع يسـيرة، فمـا علّـق عليـه الشيخ يغيّرونه، حتى أنـني أذكـر أنّ في رسـالة من الرسـائل أخـبرني الشباب هؤلاء -شباب جماعة جهيمان- أنّهـا طبعت قبـل أن تُقـرأ على الشيخ، ولا أعرف إيش السبب الذي أخّـر قراءتهـا على الشـيخ، فبعـد أن طُبعت قُرِئَت على الشيخ، فكان للشـيخ ملاحظـة، فمـا كـان منهم من حرصهم على أن لا يقال أنّ الشيخ خالفهم بشيء جاؤوا بملاحظـة الشيخ جعلوها على ختم، وختمـوا جميـع النسـخ بمـا قـال الشـيخ "بن باز"، قال الشيخ "بن باز" كذا وكذا، ختموها على كافّة النسخ قبـل أن يوزّعوها، فالذي لا يعرفه كثيرٌ من الناس أنّ كتب جماعة جهيمان كلّها قُرِئَت على الشيخ "بن باز"، وكلّها خرجت بعـد تأييـد الشـيخ "بن بـاز" لها، وهذا أنا أعرفه جيّدًا، وأخبرني به أفراد الجماعة بأنفسهم، وأروني ختمًا بكلام الشيخ "بن باز" أُلحق في رسالة من هذه الرسائل، ولعلـه يكون عندي، أبحث إن شاء الله.

فـبقيت الجماعة تسير بهذا الاتجاه، وكان جهيمان قد طُلِب من قَبْـل، من قِبَل السلطات السعودية في مراحل متقدمة؛ لأنّه كان يتكلّم على النظام، وكان لا يُكفِّر النظام، ولكنّه كان لا يرى لهم بيعة، كان يصفهم بالظلم، ويذكر المفاسد الموجودة عندهم في الحرمين وفي الجزيـرة والتي أدخلوها على الأمة, وألّف رسائله في الإمارة والبيعة ذكـر فيهـا بطلان بيعة هؤلاء، فكان مطلوبًـا أصـلاً, والجماعـة ضـاقت الدولـة بهـا لنشاطاتها؛ طمسها لصور الملك في الريال، لتغير المنكر باليـد، ربمـا

كسروا كثيرًا من صور الملـك، ويتكلمـون في الحـرمين، ويقفـون في المسجد الحرام وفي المسجد النبوي وفي كل المسـاجد، ويتكلمـون، وينكرون المنكر علنًا، ولا تأخذهم بالله لومة لائم، حتى إنّـه عنـدنا في الكـويت حصـلت مشـاكل كثـيرة من إصـرارهم على الصـلاة في المساجد بالنعال تطبيقًا لهذه السنة، ولا شـك أنّهـا سـنة، ولكن أقـول الناس لا تستوعب أنّك تدخل على السـجاد النظيـف المـرتب بنعالـك، المشكلة أنّ بعض الناس كانوا يمسكون عليهم أنّ الشـباب من شـدة تطبيقهم للسنة، وحرصهم على تطبيق السنة؛ كان في الخارج يمشي حافيًا، يرونه حافيًا تطبيقًا لسنة الاحتفاء، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان بعض أصحابه يحتفي، وكـان يـأمر بالاحتفـاء أحيانًـا، فيطبـق هـذه السـنة بالخـارج، ثم بعضـهم إذا دخـل المسـجد صـلّى بالنعـال على السجاد، فكان بعض الناس ينتقد عليهم هذه الأشياء.

وآنذاك "عبدالرحمن عبدالخالق" عمل جلسـات ودروس وخطب تكلّم فيها عليهم، وقال أنّ هؤلاء ما عندهم فقه، وتكلّم عليهم كلامًا كثيرًا.

أيضًـا كـان هنـاك تعـاون بين طائفـة منهم في المدينـة وبين أبي بكـر الجزائري في الدعوة، مشوا مدة في الدعوة مع أبي بكـر الجزائـري، ولكن في مرحلـة من المراحـل اختلفـوا واختصـموا وتركـوا أبـا بكـر الجزائـري، تركـوه ولم يسـتمروا معـه في التعـاون في الـدعوة في المدينة، ولما عوتبوا، وروجعوا، وذهب بعض الناس إلى جهيمان وقالوا له: لماذا أنتم تركتم أبا بكر الجزائـري ولم تعـودوا تتعـاونون معـه في الدعوة؟ فكان ردّ جهيمان بالحرف الواحد: "هناك مجالس سريّة تمّت بيننا بلغت الحكومة، من بلّغهـا؟!"، يعـني كأنّمـا جهيمـان كـان يشـكّك بأبي بكر الجزائري، وله أن يشكّك، فالرجل لاشكّ أنّه ذنبٌ من أذنـاب السلطان، ومن يقرأ كلامه في الدفاع عن الحكومة، وفي تقـديس آل سعود، وفي مدح ولاة الأمور والخمور؛ يجد أنّ الرجـل مفتـون في آل سعود.

فعلى كـل حـال؛ كـانوا هم حريصـون على طلب العلم من المشـايخ،

وهذه كانت فائدة من الفوائد التي نشروها بين شبابهم؛ أنّهم كانوا يدرسون على المشايخ، ويتلقون على المشايخ، درسوا عند "مقبل"، ودرسوا عند الشيخ "بديع الدين"، ودرسوا عند "بن باز"، و"بن عثيمين"، وعند كثير من المشايخ في المدينة، وفي مكة، وفي أماكن شتّى، وكانوا يحرصون على حضور دروس الشيخ الألباني لمّا كان يأتي إلى المدينة.

وهذا تعلّمناه منهم، هذه من المسائل التي تعلّمتها منهم، فكنت أحرص في بداية توجّهي، في بداية طلب العلم على تواصلي مع هؤلاء المشايخ رغم ما كان عندنا من تحفّظات على مواقفهم من الحكومات، كانت في بدايتها.

فكان النظام السعودي يتابع هذه الأحداث، ويتابع نمو هذه الجماعة، وانتشار دعوتها بين الناس، والناس احترموهم وأحبوهم لأنّهم كانوا متطوعين في الدعوة محتسبين لله عز وجل، لم يكونوا يعملون في الهيئات ونحو ذلك، وكانوا طلبة علم حريصين؛ تارةً تجدهم يدرسون عند الشيخ "مقبل"، تارةً عند الشيخ "بديع الدين السنديّ"، يحضرون مجالس "بن باز"، فحقيقةً برز منهم شباب ودعاة وطلبة علم، وكانت عندهم الجرأة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانتشرت دعوتهم انتشارًا طيبًا حتى بين البدو، وكانوا في الحج، وفي منى، وفي كل مكان تجدهم ينبهون الناس في أخطاء الحج، وما شاء الله كانت لهم دعوة طيّبة ومباركة، ووجدنا أثرها حتى بين البدو في وسط الصحراء، كان هناك من تأثّر بدعوتهم، وأصبحوا يعرفون كيف يتعاملون مع الأدلة، وبعضهم طلبة علم يدرس مصطلح الحديث، ويطالبك بالدليل إذا تحدّثت معه ونحو ذلك.

فالدولة ضاقت ذرعًا بهذه الجماعة، وكأنّما جاء حادث الحرم هديّة لها كانت تنتظره، ويقال أنّه كان قد تسرّب إلى النظام السعودي أنّ هناك شيئًا سيحصل في الحرم وأنَّ وأنَّ..، ولكنّهم تساهلوا في ذلك حتى يسقطوا الجماعة بهذا الفخّ، لأنّه قبل ذلك لو أنّهم اعتقلوا

جهيمـان أو غـير جهيمـان فــما الأسـباب والـذرائع الـتي سـيذكرونها لاستئصال هذه الجماعة؟ ما كان عنـدهم ذرائـع ظـاهرة، كـان النـاس يحبون هذه الجماعة، فـأمّا حـادث الحـرم فأعطـاهم الذريعـة الكاملـة لاستئصال هذه الجماعة.

وحادث الحـرم حينمـا حـدث لم يكن كمـا صـوَّره بعض الكتـاب الـذين كانوا بعيدين عن هـذه الجماعـة؛ صـوَّروه على أنّـه ثـورة ضـدّ النظـام السـعودي، لم يكن الأمـر كـذلك، فالجماعـة كـانت بسـيطة، ولم يكن عندها تفكير أصلاً في الخروج على النظام السـعودي لأجـل مـا قـدّمنا بأنّها لا تُكفِّر الأنظمة، وجهيمان صرّح في كتاباته أنّـه لا يُكفِّر الأنظمـة عمومًا فضلاً أن يُكفِّر النظام السعودي، ولكن الجماعـة دخلت الحـرم في ذلك الوقت، وتأوّلت في حمل السـلاح لأنّهـا كـانت تطبّـق مـا ورد في أحـاديث المهـديّ تطبيقًـا بحـذافيره، حـتى أنّهم ألّفـوا رسـالة في المهديّ، وفي أوصافه، وفي الأحاديث الـتي وردت فيـه، وكـانوا يـرون أنّ أحـدهم وهـو "محمـد بن عبداللـه القحطـانيّ" هـو المهـديّ، كـان حافظًــا لكتب أهل العلم، وطالبًــا للعلم، وكــان مهــديًا في ســيرته وسلوكه، حقيقـةً رجـل أثنـوا عليـه كثـيرًا، فكـانوا يـرون أنّـه هـو هـذا المهدي، وذلـك بسـبب أنّ هنـاك بعض الـرؤى رءاهـا بعضـهم أنّـه هـو المهدي، وأنّ المهدي سيخرج قريبًـا، وزادت الفتنـة بـأنّ بعض النـاس جاؤوا من أماكن بعيدة، لا أدري من مصر أو من المغـرب فـرأى رؤيـا أنّـه هـو المهـدي أيضًـا، فحبكت هـذه القصـة، وبـدأ الشـباب حـديث مجالسهم وكتاباتهم وبحثهم والمهدي والمهدي والمهدي، والرجل كمـا نقل لي من بعض شباب جهيمان أنّـه كـان يـأبى هـذه الفكـرة، وكـان يـرفض، يقـول للنـاس اتقـوا اللـه لا تقولـوا عـني هـذا، حـتى حبكت المسألة، وكـان الأمـر كمـا حـدث أنّهم دخلـوا الحـرم بأسـلحتهم، بـل بأولادهم ونسائهم وعوائلهم، ودخلوا وقاموا بعد صلاة الفجـر, وأخـذوا يتكلمـون بالأحـاديث الـتي بشّـر بها النـبي صـلى الله عليه وسـلم أنّه سـيخرج رجل في آخر الزمـان، يوافق اسـمه اسم النـبي صـلى الله عليه وسلم، وذكروا الأحاديث في المهدي, ودعوا الناس إلى بيعة هـذا

الرجـــل, وأرادوا أن يبـــايعوه بين الـــركن والمقـــام كما ورد ذلك في الحديث، أرادوا أن يطبّقوا الأحاديث عمليًا.

وإذا قيل: لماذا حملتم السلاح؟!

فلا تدري، إجاباتهم لا تجد فيها ما يشفي غليلك.

- **صوت أحد أتباع جهيمان العتيبي:**

"وإليكم حـديث الطائفة الـذين معـه؛ روى مسـلم في صـحيحه؛ عن عائشة رضي الله عنهـا: أنّ رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قـال: (سَيَعُوذُ بِهَذَا البَيتِ -يَعنِي الكَعبَة- قَـومٌ لَيسَـت لَهُم مَنَعَـةٌ وَلا عَـدَدٌ ولا عُـدَّةٌ، فَيُبعَثُ عَلَيهِم جَيْشٌ، حَتَّى إِذَا كَـانُوا بِبَيـدَاءَ مِنَ الأَرضِ خُسِـفَ بِهِم)، فتبيّن لنا من هذا الحديث أنّ هؤلاء القوم يعوذون، ومن الحديث المتقدّم سابقًا أنّه رجلٌ من قـريش يلجأ بـالبيت، وحينما يعـوذون إنّما هو لمطاردة الناس لهم، فاجتمعوا هم وإيّاه في هـذه الصـفة، وكـذلك في صفة أخرى؛ وهي أنّهم التقوا بالجيش الـذي يغـزوه ويغـزوهم، إذا تبيّن هذا فاعلموا أيّها المسـلمون أنّها إذا انطبقت هـذه الصـفات كلّها هذا المهدي الذي سوف نبايعه بعد لحظـات بين الـركن والمقـام، وهو موجـــود معنا الآن، وكـــذلك أخـــوكم "جهيمـــان بن محمد بن ســـيف العتيبي" وهو موجود أيضًا معنا الآن.

وقد كان الإخوان قبل في المدينة يدرسـون وينصـحون النـاس ثم بعد ذلك وقع الشرك فصرنا نصنع الرسـائل والكتب ونوزعها على النـاس، لنـبيّن للنـاس دينهم، فأخرجنا رسـالة: "أصل الإسـلام"، وبعـدها ثلاث رسائل، وبعدها سبع رسائل، وبعدها رسالة الإمارة، والتوحيـد، ودعـوة الإخوان، والميزان لحياة الإنسان.

وأما هذا الرجل الذي هو المهدي فقد صـار من الإخـوان منذ أكـثر من سنتين، ولم نجد لنا ملجأ في الأرض إلا هذا البيت العتيق لأنّنا نعلم أنّ الله يـــدافع عنه كما ردّ عنه الفيل وأصـــحابه، وقد كـــان الـــذي فيه مشـركين، فكيف ونحن ليس لنا ذنب عند النـاس إلا أنّنا نـدعوهم إلى

الرجوع إلى القرآن والحديث والعمل بهما ولو خالف الحكومة، ولو خالف المشايخ أهل الرواتب والمناصب، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله) رواه البخاري ومسلم، وهذا الرجل الذي سوف نبايعه اليوم اسمه "محمد بن عبد الله" وهو من قريش؛ إذ أبوه من الأشراف، وأمه من الأشراف من نسل "الحسين بن علي" من ولد فاطمة رضي الله عنهما، وجميع الصفات المقروءة في الأحاديث منطبقة عليه ولله الحمد والمنة، ومن أراد التثبّت في أيّ شيء من هذا فالمجال مفتوح، ونحن إخوانكم لا نفتخر عليكم بشيء إلا أن نقول فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ونبشركم أيضًا معاشر المسلمين أنّه قد رُئِي في المنام المرائي الكثيرة التي لا تحصر في خروج المهدي وفي بيان أنه هذا الرجل، وكذلك من أناس لا يعرفونه من قبل فلمّا رأوه عرفوه من رؤياهم إيّاه في المنام، ولعله قد بلغتكم بعضها.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (في آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب) رواه البخاري.

وقال صلى الله عليه وسلم أيضًا: (لم يبقَ من الوحي إلا المبشرات؛ الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له) رواه البخاري ومسلم".

- **الشيخ أبو محمد المقدسي:**

فكانت هذه فرصة ذهبيّة للنظام السعودي أن يحصر هذه الجماعة في الحرم، وحقيقة كان أغلب الجماعة قد جاء، لأنّ الأغلب كانوا يعتقدون بأنّ "محمد بن عبد الله القحطاني" هو المهدي.

وحصل صدام، حصل قتال، وإلى اليوم تجد أشرطة مسجلة تسمع فيها صوت جهيمان وهو يتلوا أحاديث المهدي، وتسمع إطلاق أعيرة ناريّة، وتسمعه وهو يوزّع الشباب؛ أبو فلان البوابة الشرقيّة، أبو فلان

البوابة الجنوبيّة، وتسمع الأسماء، ثم يقول لا تبدؤوهم في القتال، {فَإِن قَاتَلُوكُم فَاقتُلُوهُم}، وهذه آيات كلّها مسجلة لليوم موجودة، من ميكرفونات الحرم كانت مسجلة وبثّت في ذلك الوقت تحريضًا على الجماعة، ولكن المقتطفات هذه تدلّ على أنّهم لم يبدؤوا بالقتال، ولم ينووا القتال أصلاً.

- **صوت جهيمان العتيبي -رحمه الله-:**

"الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

"عيد بن إسماعيل" والجيش اسمعوا، "عيد بن إسماعيل" والجيش اسمعوا، تذهبون مع أحمد الزامل وتأخذون بعض الإخوان الذين ليس معهم أسلحة وتعطونهم أسلحة.

"عيد بن إسماعيل"، "عيد بن إسماعيل" والجيش تذهبون مع أحمد الزامل وتوزّعون الرشاشات وأسلحة كاملة لبعض الإخوان الذين دخلوا بدون أسلحة.

اجتمعوا بين الركن والمقام، اجتمعوا بين الركن والمقام، اذهب يا "عيد" إلى الركن والمقام، اذهب يا (***) إلى الركن والمقام، اذهب يا (***) إلى الركن والمقام، اجتمعوا في هذا الموضع (***).

رب العالمين يقول: {رَبَّنَا أَخرِجنَا مِن هَذِهِ القَريَةِ الظَّالِمِ أَهلُهَا} (النساء/75)، فإذا فهمنا هذا الشيء وهم فسقة (***) نرى بعد ذلك.

سيف بن (***) اسمع بارك الله فيك، واسمع يا أبو هلال إلى الركن والمقام، يا سيف بين الركن والمقام، يا (***) بين الركن والمقام، اذهبوا بين الركن والمقام، وأنتم يا جميع الإخوان، ولكن اجلسوا اجلسوا. "عباس بن جار الله" قوموا بتجميع الإخوان بين الركن والمقام كي يتهيأ الأمر، ولكن (***)[3] ليكونوا على بيّنة ويعلموا من نبايع".

---

[3]) كلام غير واضح من تسجيل أحداث الحرم عام 1400هـ.

- **الشيخ أبو محمد المقدسي:**

حـتى بعد حـادث الحـرم أذكر التـداعيات الـتي حصـلت، ومحـاولات النظام، وإذاعة النظام، وتلفاز النظام لتشويه هـذه الجماعـة، حصـلت بعض الأمور التي كانت تشفع للجماعـة، وتدافع عن الجماعـة، فـأذكر عملوا مقابلة مع الحجيج الذين خرجوا من الحرم أثناء الحصار، وأثنـاء أول الحادث، فأذكر مصرية حاجّة، قـالوا لهـا: يا حجة إيش رأيك بهـذه الفئة الباغية الخبيثة التي عطلت الطواف في الكعبة وروّعت الآمـنين و..و..؟

يلقنها الإجابة، فمسكينة هي، ببساطة المصـريين العـوام ما كـان منها إلا أن مـدحتهم فقـالت: "لا، واللـه، همَّا عيـال ظـريفين، أنا كـانت الشـنطايا بتعـتي بعيـدة، وخفت تضـيع، فواحد منهم قـالي يمه اطلعي بلاش تتأذي. ألتله الشنطاي بتعـتي جـوا، راح داخل وقـايب الشـنطاي بتعــتي وطلعها ليا وســاعدني، والله هُمَّا جماعة ظــريفين وكــذا .."، وعلى نيتها.

فهو الخبيث قال: لا شكّ أنّ هذه الفئة الخبيثة تتستر بعمل الخـير و... و...

فحقيقة كل من عاشر هــذه الجماعة كــان يعــرف أنّهم ما خرجــوا يحاربون الله ورسوله كما ادَّعى النظام، ولم يكونـوا ينتحلـون عقيـدة الخوارج، بل لم يكونوا يكفِّرون الأنظمة أصلاً، حتى يوصـفوا ويوسـموا بأنّهم خوارج يكفِّرون عموم النـاس، ولكن النظـام ما اتقى الله فيهم، وعدم اتَّقاء النظام الله في هؤلاء الناس أو في غيرهم أمر غير عجيب عندنا، لكن أن لا يتقي الله كثير من المشايخ الذين يشار إليهم بالبنان فيظلمون هؤلاء الشباب، ويتعدون حدود الله في وصفهم بأنّهم حاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فسادًا، ويُدجِّنون الفتاوى التي سوّغت للنظام استئصال هذه الجماعة، هذه هي الطامّة.

بيان بن باز	بيان هيئة كبار العلماء
قال العلامة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى: الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه . أما بعد : فإن الحادثة النكراء والجريمة الشنعاء التي قام بها جماعة من المسلمين بعد صلاة الفجر من يوم الثلاثاء الموافق ١ / ١ / من عام ١٤٠٠ هجرية باقتحامهم المسجد الحرام وإطلاقهم النار بين الطائفين والقائمين والركع السجود في بيت الله الحرام أقدس بقعة وآمنها ، قد اقضت مضاجع العالم الإسلامي وألهبت مشاعره وقابلها بالاستنكار الشديد ، وما ذاك إلا لأنها عدوان على البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وانتهاك لحرمته وحرمات البلد الأمين والشهر الحرام ، وترويع للمسلمين ، وإشعال لنار الفتنة ، وخروج على ولي أمر البلاد بغير حق . ولا شك أن هذا الإجرام يعتبر من الإلحاد في حرم الله الذي قال الله فيه : (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)	بسم الله الرحمن الرحيم بيان من هيئة كبار العلماء بشأن الاعتداء على المسجد الحرام الحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده محمد وعلى آله وصحبه ، وبعد : فبمناسبة انعقاد مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الخامسة عشرة في مدينة الرياض في النصف الأول من شهر صفر عام ١٤٠٠ هـ للنظر في الأعمال المدرجة في جدول أعمال هذه الدورة ، رأت الهيئة أن من واجبها إصدار بيان بشأن الاعتداء على المسجد الحرام من قبل الفئة المعتدية الضالة التي كفى الله المؤمنين شر عدوانها فتم القضاء عليها بفضل الله وكرمه ، فإن هيئة كبار العلماء بهذه المناسبة تستنكر من هذه الفئة الظالمة فعلها الإثم وعدوانها الغادر وتعتبرها بذلك قد ارتكبت عدة جرائم أهمها ما يلي:

وحقيقة كانت طامّة عظيمة جاء بعدها ما هو شرٌ منها، إذا كـان هـؤلاء قد تـأوّلوا أنّ هـذه الفئة دخلت الحـرم وحملت السـلاح ولبّس عليهم النظام أنهم قتلـوا وفعلـوا، فبالتـالي ضُحِك عليهم بـأن أخرجـوا هـذه الفتـاوى ووصـفوا هـؤلاء الشـباب -هـؤلاء طلبة العلم- بـأنّهم خرجـوا يحـاربون الله ورسـوله ويسـعون في الأرض فسـادًا، وبـرّروا بـذلك استئصالهم وإعـدامهم وقتلهم، فقد أفـتى نفس هـؤلاء أو بعض هـؤلاء المشـايخ بعد ذلك بمثل هـذه الفتـاوى في شـأن إخواننا المجاهـدين الذين قاتلوا الأمريكيين في الجزيـرة العربيّـة، وأفتـوا بـأنّهم يحـاربون الله ورسوله، وأنّهم يسعون في الأرض فسادًا، وأفتـوا بحكم الحرابـة، وقتلهم ردّة كما فعلــوا مع الإخــوة الأربعة منهم "عبد العزيز المعثم" و"الشـمراني" والآخـرين، نفس الفتـوى خـرجت وتكـرّرت مع هـؤلاء الذين جاهدوا الأمريكـيين، ولم يـدخلوا الحـرم ولم يسـعوا في الأرض فسادًا كما زعم أولئك المشايخ.

- **تعليق تلفزيون المملكة العربيّة السعوديّة:**

"الانفجارات التي وقعت في الريـاض منتصف التسـعينيات من القـرن الماضي اعــترف مرتكبوها قبل إعــدامهم بتــأثرهم فكريًــا بمؤلفــات المقدسي والالتقاء به في الأردن".

- **الشيخ أبو محمد المقدسي:**

فتقريبًا كـانت هـذه هي الفرصة الـتي اسـتغلها النظـام السـعودي باستئصـال هـؤلاء، وحـتى أنهم اشـتغلوا بخبث؛ أنّهم لم يواجهـوا هـذه الجماعـة الـتي كـانت من عشـائر شـتّى؛ كـان فيهـا "العـنزي" و"المطيري" و"العتيبي" وكافّة عشائر أو أكـثر عشـائر الجزيـرة كـان منهم أفراد مشاركين بهذه الجماعـة، ولـذلك عنـدما أرادوا أن يـأمروا الجيش السعودي باقتحـام الحـرم تـردّد بعض الضـباط وبعض الأفـراد لأجل أنّه حرم, وتردّد أيضًا بعضـهم لأجـل أنّ هـؤلاء كثـيرًا منهم طلبـة علم، ومشايخ، وأبناء عشائر ونحوها، فجاؤوا لهم بفتـوى من المشـايخ بأنّه يجوز القتال في الحرم، وأنّ هذه فئة تحارب اللـه ورسـوله ونحـو ذلك، وحرّضوهم بهذه الفتوى.

- **تعليق تلفزيون المملكة العربية السعودية:**

"وكان السؤال الهام هو: كيف يمكن لهذا البلد أن يواجه هذا الضلال؟

لقد جمع جلالة الملك خالد أصحاب الفضيلة العلماء واستشارهم فيمـا حدث بالمسجد الحرام، فكانت الفتوى؛ لقد أجمع هـؤلاء العلمـاء على اعتبار هؤلاء خـارجين على الـدين الإسـلامي، وأجـازوا قتـالهم وقتلهم تطبيقًا لشريعة السـماء، واحتكامًـا إلى قولـه تعـالى: }وَمَن يُـرِد فِيـهِ بِإِلـحَادٍ بِظُلمٍ نُذِقهُ مِن عَذَابٍ أَلِيمٍ{".

- **الشيخ أبو محمد المقدسيّ:**

وأيضًـا سـمعنا آنـذاك أنّهم اسـتعانوا بـالقوات الخاصـة الأردنيّـة، حـتى يزيلوا مسـألة العلاقـات والوشـائج العشـائريّة بين الجيش السـعودي، فاسـتعانوا بـالقوات الصـاعقة الأردنيّـة، وأتـوا هنـاك، وحصـل قتـال، ودخلت مجـنزرات وسـيارات داخـل الحـرم، ورُميت المـآذن وأسـطح الحرم من الفنادق العالية التي حول الحرم، واستخدمت معهم وسائل كثيرة, كانوا هم شباب أحضـروا معهم أسـلحة وبنـادق فقـط، لم يكن معهم متفجرات، ولم يكن معهم سلاح، كـان معهم بعض التمـر، كـانوا

متوقعين أن يصير حصار، فاحتملوا كم يوم يـأكلون من التمـور، وكـان معهم نساؤهم وأطفـالهم، حقيقة؛ تعرّضـوا لأذى وحصـار شـديد، واستعملت معهم وسـائل خبيثـة، فكـانت تحـرق الإطـارات وتلقى في الأقبية التي هم مختبؤون فيها حتى يخنقـوهم، وصـبّوا ميـاه وكهربوهـا حتى يقتلـوا بعضـهم، وفعلت أفاعيـل ذُكـرت لنـا، ذكرهـا لنـا من كـان معاصرًا للأحداث آنذاك.

- **تعليق تلفزيون المملكة العربية السعودية:**

"ولم يكن أمام حكومـة صـاحب الجلالـة الملـك خالـد بن عبـد العزيـز وهي تواجه هذا الحدث الجلل إلا أن توجّه نـداءات متواليـة إلى هـؤلاء الخارجين على الدين الإسلامي:

بسم الله الرحمن الرحيم, إلى كل من هو بداخل الحرم الشـريف، إن العمل الذي قمتم به لا يرضاه الله، وحرّمه في كتابه الكـريم، ولـذلك توجّه لكم حكومـة جلالـة الملـك خالـد هـذا الإنـذار: سـلموا أنفسـكم، وارموا سلاحكم، وسوف يحكم أمركم شرع الله سبحانه وتعالى, وقـد قال سبحانه وتعالى: }وَمَن يُـرِد فِيـهِ بِإِلـحَـادٍ بِظُلمٍ نُذِقـهُ مِن عَـذَابٍ أَلِيمٍ{, وقولـه عـز وجـل: }أَوَلَم يَـرَوا أَنَّا جَعَلنَـا حَرَمـاً آمِنـاً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِن حَولِهِم} صدق الله العظيم".

وبدأ جند الله يتحرّكون في كل اتجاه في ظل شريعة السماء للقضـاء على الفتنة في غمرة الموت والتدمير الّـذين كـان يصـبّهما الخـارجون على دين اللـه حممًـا من مختلـف المـآذن والشـرفات المطلّـة على ساحات الحرم الخارجية".

- **الشيخ أبو محمد المقدسيّ:**

ونجحت الحكومـة الخبيثـة باستئصـال هـذه الفئـة، بـل بتشـويهها وتحريض المشـايخ والعلمـاء كلهم أن يكتبـوا ضـدّها، واسـتغل ذلـك الوقت كثير من مرضـى النفـوس الـذين بينهم وبين هـذه الجماعـة أحقـاد وخلافـات وخصـومات, يكرهـونهم لأجـل أمـرهم بـالمعروف

ونهيهم عن المنكر، يكرهـونهم لأجـل الحـزازات الـتي بينهم، كـانت مخالفات في مسائل فقهيّة، هلـك بهم من هلـك فأطـالوا ألسـنتهم بهم طعنًـا ووصـفًا لهم بـالخوارج ونحـو ذلـك, وقليـل جـدًا جـدًا من أنصف هؤلاء حتى الشيخ "مقبل بن هادي الوادعي" الــذي كتب في كتابه: "المخرج من الفتنة" مع أنّه أنصفهم، وذكـر أنّهم كـانوا طلبـة علم، وأنّهم ظُلِمـوا، وأنّهم وأنّهم وأنّهم ...، في النهايــة حكم عليهم أنّهم بغاة لأنّهم خرجوا بزعمه على حكومة مسلمة، وقال الحكم إن كانوا بغاة؛ فالحكم ألا يقتـل جـريحهم، وألّا يتبـع مـدبرهم، وألّا تغنم أمـوالهم، وإنّمـا يرسـل إليهم من يناقشـون ويـناظرون كمـا أرسـل عليّ ابن العبــاس للخــوارج ليـنــاظرهم، فكــان الأولى أن يرســلوا العلمـــاء ليناقشـــوهم، وهم طلبـــة علم فربمـــا يرجعـــون وتنتهي المشكلة.

ولكنّ الحكومة عاملتهم كما يقول معاملـة دَوليّـة، وليسـت معاملـة شـرعيّة، والحقيقـة أنّهـا كـانت فرصـتها، لم تُـرِد أن ترسـل إليهم العلمـاء والمشـايخ وتنتهي هـذه الفتنـة، كـانت تريـد أن تستأصـلهم بحجّة وذريعة أنّهم دخلوا الحـرم وقتلـوا الحجّـاج والمعتمـرين، كمـا يقولون اليوم عن إخواننا في القاعدة روَّعـوا المعتمـرين والحجّـاج، وقتلوا المعتمرين والحجّاج, إخواننا ما خرجوا إلا ليقاتلوا الأمريكـيين والصـليبين وأنصـارهم وأتبـاعهم وأوليـائهم من حكـام المنطقـة، لم يقتلوا ولم يؤذوا مسلمًا, وأتونا بمعتمر واحد أو حاج واحد روَّعوه أو خوَّفوه إخواننا، سواء كانوا من جماعـة جهيمـان في السـابق أو من القاعدة في هذا الزمان، لكن مثل ما هي طريقة هـؤلاء الطـواغيت تلــبيس الحـــق بالباطـــل وإيجـــاد المســـوغات لقمـــع المســـلمين والمجاهدين، المسوغات الـتي ترضـي النـاس وتنطلي على العـوام وتروج على الطغام هكذا يدّعون.

فهذه هي تقريبًا ملخص الحادثة, طبعًا أنـا عاصـرت هـذه الأحـداث، كنت وقتها في الجامعة في العراق، ولكنني تـابعت الأمـر بعـد ذلـك من خلال بقايا هذه الجماعـة، وعـرفت تفاصـيل الأمـور، حـتى أنّهم

أخبروني بأنّ بعض شباب الكويت، وبعض طلبة العلم في الكويت كانوا معارضين جهيمان في هذه المسألة، ومنهم شاب آنذاك كان يقال له "شاعر الإخوان" الذي هو "أحمد المعلم" يمانيّ، كان في الكويت، وكتب رسالة عن الفتن والملاحم والأحداث التي تحدث قبل ظهور المهدي، يعارض فيها جهيمان أنّ هذا ليس هو زمان المهدي؛ فذكر أدلة قال: أن الرايات السود تخرج قبل، ذكر أدلة كلها -اجتهد- بأنّ هذه الأحداث تخرج قبل ظهور المهدي، وكتب هذه الرسالة على عجالة وأرسلها مع شخص آنذاك كان اسمه "وليد بو عركي" كان من الجماعة، أرسله "أحمد معلم" وشباب الكويت أرسلوه بهذه الرسالة إلى جهيمان ليدرك جهيمان قبل أن يقوموا ببيعة "محمد بن عبد الله القحطاني"، فجاء هذا الشاب ومعه هذه الرسالة، وقد وجد الجماعة دخلت الحرم، فجاء على باب الحرم لم يدرك جهيمان أن يوصل له الرسالة، فاعتقل على أبواب الحرم ومعه الرسالة، ومع ذلك لم يشفع له أنّه جاء يريد أن يردّ جهيمان عن بيعة المهدي لأنّ هذا ليس زمان المهدي، لم يشفع له ذلك، فسجن أيضًا مع الجماعة، ومكث لا أذكر كم سنة، يمكن ثماني سنين أو نحوها بحجّة أنّه من جماعة جهيمان، مع أنّه جاء برسالة يعارض جهيمان في ذلك.

والرسالة ما زلت أحتفظ بنسخة منها إلى اليوم بعنوان: "الفتن والأحداث التي تكون بين يدي المهدي"، تأليف: أبي قتادة "أحمد بن حسن المعلم" هذه هي بخط من هذا الخط الجميل؟ هو خط عبد الله بن يوسف الجديع هذا خطه جميل، كان يخط أكثر هذه الرسائل والكتابات، وهذه الرسالة لم تكمل لأنه استعجل في كتابتها حتى يدرك جهيمان قبل دخول الحرم, أنا عندي هنا النسخة تنتهي عند أحاديث الرايات السود, وذكر أيضًا حديث لا يخرج المهدي حتى تقتل النفس الزكية, وذكر أيضًا أشياء تحدث قبل خروج المهدي.

طبعًا هذا "أحمد معلم" شخصيّة معروفة عند الإخوان سجن أيضًا في السعودية لأن الكويتيين اعتقلوه وسلموه للسعودية أيضًا مع أنه يمانيّ ولا شأن له في السعودية، لكن الكويتيين اعتقلوه وسلموه للسعودية حتى يتبع جماعته، فاعتقل رغم هذا المصنّف أيضًا، ومكث مدة طويلة، وهو كان يُعرف بشاعر الإخوان، هم يسمّون أنفسهم الإخوان نسبة إلى "إخوان من طاع الله" كما كان يُسمّى أتباع "محمد بن عبد الوهاب" قديمًا، وله قصائد رائعة وطيّبة يدافع فيها عن السنة ويؤصله، وفي السجن كتب -موجود عندي هنا- كثيرًا من أشعاره التي صنّفها في المصطلح وفي الفقه وفي الأصول ونحوه.

فتقريبًا كانت هذه هي الفرصة التي استغلها النظام السعودي باستئصال هؤلاء.

وأنا لم أكن أعرف جهيمان قبلها ولا حتى التقيته في أيّ مرّة من المرّات لكنّي تعرّفت على جماعته قبل، نشأت بعد تركي لجماعة سرور معهم, وأيضًا تعرّفت عليهم بعد انتهائي من تركي للجامعة، وتركي للجماعة، وبعد حادثة الحرم تعرّفت عليهم وكنت جارًا لهذا الملحق الذي كانت فيه مكتبة "الجعفان" وهو الرجل الثاني، كان داخل الحرم، وأعدم بعد حادثة الحرم مع جهيمان, كانت هذه مكتبته نشأنا على طلب العلم فيها ودرسنا فيها, وحتى كانت بدايات محاولتي لطلب العلم في هذه المكتبة، بعضها في هذه المكتبة، فأذكر أنني من أوائل ما كتبته في المسائل الفقهية من نفس مكتبة "الجعفان" -رحمه الله- استعنت بكتبه، كنت آنذاك صنّفت مصنّفًا صغيرًا لأجل مشاكل حصلت في المساجد عندنا أنّهم كانوا يطردون الأولاد والصبيان من المساجد ويحرمونهم من المساجد، فألّفت رسالة صغيرة سميتها: "تحذير الساجد من بدعة منع الصبيان من المساجد"، طبعت آنذاك طبعتين وما زال عندي منها طبعات غير موجودة في الموقع لأنها رسالة فقهيّة، وعملت فيها لمّا كنت في المدينة أيضًا جعلتها سلسلة: "تحذير الساجد من بدع المساجد"، وعملت منها أيضًا عددًا آخرًا وأنا في المدينة رسالة سمّيتها: "تحذير الساجد من بدعة

حجز المكان في المساجد"، كانت هذه البدعـة منتشـرة في المدينـة؛ يأتي الرجل يصلي العصر في الصـف الأول ثم يـترك خلفـه عمامـة أو مصـليّة أو أي شـيء ويـذهب إلى دكانـه أو إلى أصـدقائه أو إلى بيتـه يبقى حتى أذان المغرب أو قريبًـا من أذان المغـرب، ثم يـأتي يتخطّى الصفوف والناس إلى حيث وضع عمامته أو مصـليّته في الصـف الأول وكأنما حجز المكان باسـمه فيجلس يصـلي, فكـانت هـذه بدعـة أيضًـا كتبت فيها، وأتيت بفتوى لشيخ الإسلام فيها أنّ هذا الأمر لا ينبغي وأنّه من البدع.

هاتان الرسالتان كانتا من أوائل ما كتبت, الرسالة الأولى؛ كتبتهـا وأنـا في مكتبة "الجعفان" وأنا مـع الشـباب، وأمّـا الرسـالة الثانية فكتبتهـا أثنـاء مرحلـة طلب العلم وأنـا في المدينـة، والرسـالتان طبعتـا في الكويت وأيضًا طبعت في الحجاز وبيعت, ما زال عندي نسـخ من هـذا الكتاب لـم يطبع وهو غـير موجـود في الموقـع لعلّنـا نـذكره من بـاب المؤلفات القديمة أيضًا ونورده في الموقع.

هذه تقريبًا كانت مرحلة علاقتي مع جماعة جهيمان.

4- مرحلة المدينة؛ طلب العلم الشرعي ومراسلة المشايخ (الجزء الأول)

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.
مرحلة المدينة أو مرحلة إقامتي في المدينة أو ترددي عليها أيضًا بعد ذلك، وزياراتي لبريدة وعنيزة، كانت هذه مرحلة لها أثرها الواضح والبيّن والجلي على توجهي وعلى حبي وتعلقي في طلب العلم؛ لأني كما أشرت سابقًا في المدينة المنورة مكثت -في مرحلة- أنتظر أن أقبل في الجامعة بناءً على وعد بن باز وتقديمي لبعض الأوراق، فمكثت بين طلبة الجامعة، عشت معهم في سكنهم الداخليّ سواءً كان داخل الجامعة أو في العمارات التابعة للجامعة قرب المسجد النبوي قرب البقيع، كنت أحضر دروسهم التي يعملها بعض المشايخ، يقوم بها بعض المشايخ على سطح عمارة السبيعي منهم الشيخ "المغراوي" المغربي -الذي انقلب الآن رأسًا من رؤوس المدخلية في بلده- آنذاك كان يدّرس الشباب "صحيح الترمذي"، فحضرت معهم دروسًا عديدةً وكان أيضًا الشيخ "علي مشرف" يعمل دروسًا في نفس المكان، فكنت أحضر له دروسًا مع طلبة الجامعة، وكنت أداوم مع طلبة الجامعة نفسها، أحضر دروسًا في الجامعة على مقاعد الدراسة ولكن بطريقة غير رسميّة فما كان أحد يمنع هذا، واعتكفت في مكتبة الجامعة حيث أعجبت من ضخامتها، ومن توفر المخطوطات فيها، فكنت أطالع، وأقرأ، وأكتب، وحتى أنني في تلك الفترة تنبّهت إلى شيء كان يضيق به الشباب وهي عادة حجز المكان في المسجد النبوي؛ حيث يأتي الرجل يصلي صلاة العصر فبعد صلاة العصر مثلاً يضع عمامةً، أو مُصلّيّةً، أو شيئًا، ثم يذهب يقضي حاجاته أو يذهب إلى سوقه أو يذهب إلى بيته، ويأتي بعد أذان المغرب أو قبل أذان المغرب بقليل وقد امتلأ المسجد وامتلأت الصفوف، فيأتي ويتخطى الرقاب حتى يصل إلى الموضع الذي يحجز به مكانًا في الصف الأول بعمامته، فكانت قبيحة هذه العادة، فآنذاك اطلعت على فتوى لشيخ الإسلام في هذا الشأن وبعضًا من كتاباتٍ لأهل العلم، فخطر ببالي أن أجرّب وأنا في مرحلة إقامتي في المدينة أن أكتب شيئًا في هذا الباب، وكنت أستعين بالمراجع في مكتبة الجامعة الإسلاميّة أثناء قراءتي، فكتبت رسالةً لطيفةً سمّيتها: "تحذير الساجد من بدعة حجز المكان في المساجد"، وهي طبعت مع

رسالة أخـرى بعـد ذلـك بسـنتين أو ثلاث كتبتهـا في الكـويت بعنـوان: "تحــذير الســاجد من بدعــة منــع الصــبيان في المســاجد" جعلتهما كسلسـلة، طبعت طبعـتين؛ طبعت في الكـويت، وطبعت في المدينـة أيضًـا، طبعـات رسـميّة بيعت، لم يكن لي فيهـا دور الـتي في المدينة، هم وجدوا هذه الرسالة، صاحب المكتبة أحب أن يطبعها لانتشار هــذه البدعة فطبعها، والتي في الكويت أنا أشـرفت على طباعتهـا، فكـانت هذه أول تجربة لي في التصـنيف، ودفعـني لـذلك تـوفر الكتب وبـروز هذه البدعة، كانت هـذه تجربة، وهـذا ممـا سـاعدني على تقليب كتب العلمـاء والمشـايخ، والرجـوع لأمهـات كتب الفقه، وتقليبهـا في ظـل مكتبة ضخمة كبيرة تحوي على كـل أمهـات الكتب في شـتى العلـوم، بل وتحوي على مخطوطات، وهذا نشاط فرديّ كنت أقوم بـه إضـافة إلى حضـوري لحلقـات العلمـاء والمشـايخ في الحـرم المدنــيّ، فقـد تعرفت على بعض المشايخ اليمنـيين و الــجزائريين، كـان لكـل واحـد منهم حلقته يدرّس بعض كتب الفقه، فجلست في حلقات كان يدرّس بها "سبل السلام"، جلست في حلقات كان يدرّس فيها نحو، وهكذا.

وكنت أتردّد على المسجد النبـويّ، إلى أن تنبّهت إلى مكتبـة المسـجد النبويّ في طابق قرب مئذنة من مآذن المسجد النبويّ، وبدأت أجلس فيها بين الصلوات، حُبِّب إليّ الجلـوس فيهـا أكـثر من مكتبـة الجامعـة الإسلاميّة مع أنّــها أصـغر لكـون الكتب الموجـودة فيهـا قديمة، ولفت انتباهي آنذاك كتاب: "الدرر السـنيّة" لعلمـاء نجد، أول مـرة كنت أرى هذا الكتاب، فعكفت على قراءته، ولفت انتباهي مناقشـة علمـاء نجـد في الكتاب لمسائل شبيهة بالمسائل التي تطرح في أيامنا هذه، فهـذا مـمّا شجعني للعكوف على الكتاب أكثر وأكـثر، واهتممت تحديـدًا في كتـابين، في جزئـيين منهم أو ثلاث؛ الــجزء الـذي يتكلم عن مسـائل الاعتقاد، وجزء حكم المرتد، وجـزء الجهـاد، وجـدت فيـه بعض الـردود على شبهات كنا دائمًا نتناقش فيها مع بعض الجماعـات آنـذاك، وكنت لا أزال أتـردد على جماعـة جهيمـان، وكـانوا لا يـرون القتـال والجهـاد وطرح مسائل الخروج على الحكـام ونحوها، فكنت أفـرح عنـدما أجـد مثلاً كلامًا للشيخ "عبد الرحمن بن حسن" يردّ على دعوى من قال أنّه لا جهـاد إلا بإمـام، كنت أفـرح أنّـني اسـتدل بنفس الاسـتدلال، عنـدما ناقشتهم كنت استدل مثلاً بفعل أبي بصير أنـه قاتـل من غـير بيعـة أو من غــير أن يكــون تابعًــا لولايــة إمــام، فأجــده مستشــهدًا بنفس الاستشهاد، فأفرح بذلك فرحًا عظيمًا كـوني على صـغر سـني هـداني

الله عز وجل إلى هذا الاستدلال، ثم وجدته لعـالم لـه وزنـه ولـه ثقله، نفس الاســتدلال وجدتــه بعــد ذلك، فهــذا يعزّز طريقــة اســتدلالي، ويشجعني، ويـجرِّئني على الاجتهاد في هذه المسائل التي كنت أواجـه فيها المخالفين.
كان آنذاك عمري فوق العشرين بقليل؛ ربما واحدًا وعشرين أو اثــنين وعشرين ليس أكـثر من ذلك، كـان ذلـك قبـل الـزواج وبعـد الجامعـة مباشرةً، نحن عندنا ينتهي الطالب من التوجيهي وعمره ثماني عشرة سنة، والجامعة أربع سنوات، وأنا لم أكملها، مكثت فيها ثلاث ســنوات فقط، فتستطيع أن تقـول أن عمـري كـان واحـدًا وعشـرين تقريبًـا أو شيء نحو هذا في الفترة التي كتبت فيها هذه الكتابات والــتي عكفت فيها على قراءة الدرر السنية.
طبعًـا عكـوفي على هـذا الكتـاب حـبّــبني لكتب علمـاء نجد، فبـدأت اشـتري كـل كتـاب يقـع تحت يـدي لأئمـة الـدعوة النجدية، وأجـرده، وأسجل الفوائد على غلاف داخلي، فعلت هـذا مـع عـدة كتب، وهنـاك أيضًا وجدت اهتمـام طلبـة الجامعـة "بمـذكرة الأصـول" للشـنقيطي -رحمه الله- فاهتممت بها أيضًــا، واشـتريت نسـخةً منها، وعكفت على دراستها، وهكذا.
هذه الفترة؛ فترة الانتظار في المدينة والجلـوس كـانت تتكـرر؛ فمثلاً جلست مدة ثم رجعت للكويت، ورجعت مرة أخرى، ذهبت إلى عنيزة حضرت دروسًا للشيخ "بن عثيمين"، حضرت دروسًا مع الطلبـة هنـاك في المسجد، وأيضًا حضرت دروسًا كثيرة للشيخ "بن بـاز" كـان يـأتي إلى المدينة، لم أدرس كتابًا كاملاً ولكن كنت أتــردد لأجــل أني لم أقم إقامات طويلة، مدد طويلـة في المدينة، ولكنّــي كنت أتـردد، فأحضـر لهم دروسًــا متفاوتة؛ ربمــا آتيهم وهم يدرســون في كتــاب من كتب الفقه فأحضر عدة حلقات وأمضي لأجل أنه لم تكن إقـامتي أصـلاً في عنيزة.
ولكن شأني كشأن كثير من الشباب الذين نشـؤوا في هـذه المرحلة؛ كنت أتتلمـــذ على كتاباته، وعلى كتابــات الشــيخ "بن بـــاز"، وعلى أشرطتهم، فسمعت له كثيرًا من الأشرطة والسلاسل والشروح؛ مثلاً الفرائض، مجموعة أشـرطة لشـرح "الأجرومية"، كـل ذلـك كنت أهتم باستماعه، وتدارسه كأنما أحضر حلقاته.
وهكذا مع أكثر المشايخ؛ الشيخ "الألبـاني" كنت أحـرص على اسـتماع أشرطته، وإذا جاء إلى الكويت كنت أحـرص على حضـور دروسه، بـل

في سـنة من السـنين جئت أنـا وصـديق لي إلى الأردن النيّـة زيارته، وتسـتطيع أن تقـول رحلـة في طلب العلم، جئنـا لكي نسـأله بعض الأسئلة ونلتقي فيه، وكانت هذه -في تلك المرحلة- أمنيةً للإنسـان أن يلتقي بهؤلاء المشـهورين من المحـدثين ونحـوهم، وإن كـان في تلـك المرحلة عنـدي شـيء من الوضـوح -فلنقـل شـيء من الوضـوح- في تقصير هؤلاء المشايخ من جهة الحكومات، وفي تخبطهم في الفتـاوى في هذا الجانب، ولكن لا شك أنه كان في صـدري أيضًـا قـائمٌ احـترام هؤلاء المشايخ لأجل خدمتهم للسنة ولحـديث النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم ونحو ذلك، لأن هذه هي التربيـة الـتي رُبّينـا عليهـا أصـلاً؛ تربيـة كانت سـلفيّة، فلـذلك عنـدما قابلتـه كـان أول شيء عملتـه أني قبلت يده، تلك اليد التي كانت تدافع عن سنة المصـطفى صـلى اللـه عليـه وسلم، وتدفع عن حديث النبي صلى الله عليـه وسـلم، كـان ذلـك من احترامي للعلمـاء والمشـايخ رغم مـا عنـدي على الشـيخ الألبـاني من ملاحظات في جانب الحكام -كانت بداياته آنذاك- لم يمنعني ذلـك من تقبيل يده احترامًا لهذه اليد الـتي تـدفع عن حـديث النـبي صـلى اللـه عليه وسلم.
ونحن زرناه هنا في الأردن وهو كان في خضـم أو في ذروة انشـغاله، ولذلك لم نستطع أن نأخذ منه موعدًا بصورة سهلة بـل ذهبنـا أولاً إلى شاب كنت التقيته في المدينة المنـورة ليحجـز لنـا موعـدًا مـع الشـيخ فاعتذر، ولكنّه دعانا إلى غداء حضره الشيخ "أبو مالك" آنذاك، وكانت أول مـره التقي فيهـا بالشـيخ أبي مالك، ووقتهـا كنت قـد قـرأت لـه رسالة وجهها لصدام حسين كان عهدي بها قديم ولكنه كـان قـد أثـنى عليه، ولذلك أنا أثناء الغداء ذكّرته بهذه الرسالة وأنكرتها عليه بلطف، والحقيقة لا أذكر أن الشيخ أبا مالك آنذاك غضب لهـذا الأمر، بـل أخـذ يبرر الدواعي التي جعلته يكتب هذه الرسالة، ولكن الـذي غضـب هـو المضيف الذي أضافنا، صاحب البيت الذي أضافنا هو الذي غضب لأني فاجأته بسؤال أبي مالك عن ذلك، ثم بعد ذلك اعتذر من أن يذهب بنا إلى الشيخ الألباني، ولكنه دلنـا على "علي الحلـبي"، فـذهبنا إلى بيت "علي الحلبي" وطلبنا منه أن يتوسط لنا في حجـز موعـد مـع الشـيخ الألباني لأن مشاغله كانت كثيرة ففعـل، طبعًـا جلسـنا في بيت "علي الحلبي"، وكـانت شـقته صـغيرة آنـذاك لا تكـاد تجـد مكانًا تجلس فيـه وسط الكتب، ولم تكن حاله كما هي الآن؛ من أهـل الـدثور والقصـور بعد ما صار من حزب الولاة.

فحتى أنه آنذاك أهداني كتابه هـذا؛ كتـاب: "الحطّـة في ذكـر الصـحاح الستة"، وكتب لي إهداءً بكنيته: "أبو الحارث"، هدية إلى أخي في الله عصـام برقـاوي -حفظـه اللـه تعـالى- كتبـه أبـو الحـارث (19/جمـادى الأولى[/1408])، هذا آنذاك لم يكن أمر كتاباتي قد اشتهر بعد.
حتى أنه أخذ عنواني وصار يراسلني لـمّا رجعت للكويت ويطلب مـني أشياء ومخطوطات، فكنت أصور له بعضًا من المخطوطات من مكتبة جامعـة الكـويت وأرسـلها لـه، فعلت ذلـك عـدة مـرات، ثم انقطعت المراسلات بيننا.
فأخذنا إلى الشيخ الألبـاني، وجلسـنا في بيتـه وسـألناه بعض الأسـئلة، حتى أن الحلبي آنذاك لـمّا رآني أصـلي وأضـع يـديّ على صـدري بعـد القيام من الركوع كما هـو شـأن الحجـازيين، قـال للشـيخ الألبـاني يـا شيخ: "عصام يضع يديه بعـد الرفـع من الركـوع، هـل كلمتـه عن هـذا الأمر وأنه ليس بسنة"، فوقتهـا كلمـني الشـيخ الألبـاني، وذكـر وجهـة نظره في هذه المسألة، والأصول التي تقتضي عدم رفـع اليـدين بعـد القيام من الركوع فاقتنعت بوجهة نظره، ومن ذلك اليوم تركت وضـع يديّ على صدري بعد الرفـع من الركـوع، جلسـنا معه، وسـألناه بعض الأسئلة، وسجلنا شريطًا بذلك اللقاء ورجعنا إلى الكويت.
هذا مثال من أمثلة حرصي في تلك الفترة على لقيا العلماء، والرحلـة إليهم، ومجالسـتهم حـتى وإن كـانوا مخـالفين في الوجهـة الـتي كنت أسعى حثيثًا في سلوكها، وما ذلك إلا حبًا في طلب العلم، وما ذلك إلا تأثرًا بالنشأة التي نشأناها وهي النشأة السلفية، فكان شأننا آنذاك هو شـأن كـل الشـباب الـذين نشـؤوا هـذه النشـأة السـلفية، هم يسمّون هؤلاء المشايخ بن باز، وبن عـثيمين، والألبـاني يقولـون مشـايخنا -أنـا أتكلم عن الجيـل الـذي عاشـرته في الكـويت خصوصًـا- يقولـون مشايخنا، ومشايخنا، فإذا نظرت في أحوالهم مع مشايخهم وجدت أن تتلمذهم على هؤلاء المشايخ لم يعدُ الطريقـة الـتي تتلمـذنا بهـا نحن؛ حضـور بعض مجالسـهم، التتلمـذ على كتابـاتهم، زيـارتهم كمـا فعلنـا، مراسلتهم ربما هذه أيضًا أزيد عليهم لأني راسلت منهم طائفة؛ بن باز راسلته، واسـتفتيته في شـأن الجامعـات قبـل أن أخـرج من الجامعة، وبرقيته مازالت عندي في فتوى حرمة الجامعات المختلطة.
الشيخ الدويش "عبد الله الدويش" -رحمه الله- صاحب كتاب "المورد الزلال في التنبيـه على أخطـاء تفسـير الظلال " لسـيد قطب، عنـدما أثـيرت ضـجة حـول هـذا الكتـاب من جهـة الإخـوان المسـلمين في

الكويت، وأثيرت ضجة وضخّم الأمر، وأنه يكفر سيد وأنه... وأنه... وأنه...
حقيقة لم أكن أحب التقليد آنذاك؛ فمسكت الكتاب، وعكفت عليه، جردته، وقرأته، وفصّلت أموره، وعملت له كتابًا سمّيته آنذاك: "ميزان الاعتدال في تقييم كتاب المورد الزلال"؛ بيّنت فيه وجهة نظري، وإن كنت آنذاك متأثرًا بالجانب السلفي تأثرًا أقوى، ولذلك كان هناك شيء من الشدة على سيد في كتابه، رغم أني كنت في بداية توجهي أو في بداية هدايتي مع جماعة محمد سرور -كما قدّمت- درسنا كتب "سيد"، ودرست كتب "سيد" على "سيد عيد" نفسه أحد أصدقاء سيد قطب كما ذكرت، فرغم ذلك لكن تأثري في مرحلة رفقتي للسلفيين، وعكوفي على الكتب السلفية، ورحلتي إلى المشايخ السلفيين، وصلتي بهم كانت في تلك المرحلة أقوى، ولذلك جاءت بعض العبارات شديدة مني في هذا الكتاب.
وأرسلت نسخة من الكتاب من باب مراسلة أهل العلم أيضًا إلى الشيخ عبد الله الدويش -رحمه الله- فقرأها، وعلق بعض التعليقات اليسيرة على هامشها، وردها إليّ، والكتاب هذا مطبوع في الموقع؛ في موقع: "منبر التوحيد والجهاد"، وقد أثبتنا فيها تعليقات الشيخ -رحمه الله تعالى- كما هي حرفيًا لم نغيّر بها.
وكنت -بعد ما جاءتني رسالة الشيخ- قد ذهبت إلى مكة سنة من السنين فالتقيته في صحن الكعبة، جلست معه، وتعرفت عليه، وتكلمنا حول الكتاب، وكانت فرصة طيبة، توفي الشيخ بعد هذا اللقاء بفترة أشهر معدودات، لم يكن كبيرًا بالسن؛ أظنه كان بأواخر الثلاثينات أو شيء من هذا القبيل، لكنه كان عالمًا ربانيًا زاهدًا، حتى أني رأيت فيه رؤيا قبل وفاته بقليل لعلها -إن شاء الله- تكون من المبشرات بالنسبة له؛ رأيته في صف هكذا كالبنيان المرصوص، يصلي وعلى جانبيه سلاح، يحمل سلاحًا، فأوّلتها آنذاك بأنه من المدافعين عن الدين بالكتاب والسنة وبأسلحة أو أدلة الوحي.
ولمّا بعثت هذه النسخة من "ميزان الاعتدال" إلى الشيخ الدويش، أيضًا بعثت منها نسخًا إلى مشايخ آخرين؛

- فبعثت إلى "سليم الهلالي" لأني عرفت أن عنده كتاب "نقد الظلال".

- وبعثت نسخة أيضًا لـ"ربيع بن هادي المدخلي" لأنه كان ينتقد سيد قطب.
- وبعثت نسخة للشيخ "محمد الغزالي"؛ حتى أني كتبت على غلاف النسخة إليه كلامًا ظننت أنه ستغضبه هذه التعليقات على كتب سيد، فكتبت كلامًا كنت قد سمعت بعضه من الشيخ "سيد عيد" الذي ذكرته من أصدقاء "سيد قطب"، كتبت له: "أرجو أن لا يتستر الشيخ "محمد الغزالي" بالدفاع عن الظلال، ويتخذ ذلك غطاءً للدفاع عن نفسه، والطعن في مبغضيه في الله، -أشير لنفسي أنني من مبغضيه في الله-.

خاصة وأني أعرف جيدًا أنه قد كان في اللجنة التي شكلها النظام المصري بالرقابة على الظلال في أول طبعة من طبعاته يوم كان "سيد" -رحمه الله تعالى- في سجون الطواغيت، فخرجت تلك الطبعة ممسوخة بفضل جهود هذه اللجنة الذي كان هو عضوًا فيها، هذا غير قوله عن "سيد" أنه سبق مجده الأدبي، هذه عبارات كنت أسمعها من "سيد عيد" عندما كان يحدثنا عن "سيد" وما جرى حوله من أمور ومن خصومات وخلافات.

طبعًا هذه الرسالة "ميزان الاعتدال" عندما كتبتها كما ذكرت كنت متأثرًا في السلفيين، ولذلك ربما جاءت بعض العبارات الشديدة في حق "سيد"، ولذلك لـمّا نضجت في نظرتي إلى الأمور، ولم أعد متأثرًا بضغوط جهة معينة، ونويت أن أنشر هذه النسخة، أعدت النظر فيها، وحذفت أشياء، وعدلت أشياء يسيرة مما ظننته ربما يكون سوء أدب مع هذا العملاق الإسلامي، الذي هو حقيقةً قضى نحبه وهو يدافع عن لا إله إلا الله، وعن حاكمية الإسلام، وعن أحكام الشريعة، ويعرّي أحكام الطواغيت، فلذلك وجدت أنه لابد أن يعطى حقه فقدّمت لهذه الرسالة، وعدّلت بعض الأشياء اليسيرة، وبقيت هذه النسخة القديمة، احتفظت بها عندي ليتذكر الإنسان المراحل التي يمر بها، وكيف يتطور في التفكير وفي النظر إلى الأمور.

هذه أمثلـة من لقـائي بالمشـايخ، ومن جلوسـي في حلقـات العلم، وكان كلما زارنا شيخ من هؤلاء المشايخ في الكـويت ذهبنـا سـراعًا إلى مجالسه وإلى حلقاته، أشياء هي من شـأن سـائر الشـباب في ذلك الوقت، حتى الشيخ "ربيع بن هادي المـدخلي" -الـذي هـو الآن رأس المدخلية- عندما كنت في المدينة زرته مع طائفة من الشباب في بيته، وكنا نحضر له بعض الدروس، وأذكر أنه في يوم من الأيام في بيتــه اجتمعت طائفــة من ســلفيي الكــويت، وأخــذوا يــذمّون بجماعــة جهيمــان، وكيــف أنهم يصــلون بالنعــال في المســاجد، ويشكون ذلك الأمر إلى ربيع المـدخلي، وكـانت آنـذاك علاقاتـه مـع "عبد الرحمن عبد الخـالق" جيـدة، فشـارك في ذم هـؤلاء؛ وأنهم لا يملكون من الحكمة ونحو ذلك، أذكره في بيته كان هذا الأمر.

طبعًا التقيت به بعد ذلك في قصّة أخـرى سـيأتي ذكرهـا لاحقًـا في أفغانستان، ربما يذكرها هو أو ينساها لا أدري، ربما مـا كـان يعـرف شخصي عندما التقيتـه هنـاك في معسـكر "صـدى"، سـنعرّج عليهـا عندما نتكلم عن مرحلة أفغانستان.

كذلك من المشايخ الذين راسـلتهم الشـيخ "بن عـثيمين"؛ كنت في فترة من الفترات أعكف على كتاب "قواعد السـعدي"، أحببت هـذا الكتاب، رسـالة لطيفة، شـرعت في حفـظ المنظومة في القواعـد الفقهية، وأخذت أدرس شرح الشيخ عليها، وأسـتعين بـ"قواعـد ابن رجب" وغيرهــا من كتب القواعــد المعاصــرة -القواعــد الفقهية- فلخصت رسـالة السـعدي وهـذبتها، وزدت عليهـا بعض الفوائـد في أبـواب كنت أبحث فيها؛ كمسـألة الإكـراه ونحوها، هـذبتها بصـورةٍ معينةٍ، وزدت عليها بعض الأبيات، نظمت بعض التفريعات في بعض القواعد الـتي ذكرهـا الشـيخ، ثم أخـذت نسـخة مــمّا نتج عن هـذه القراءة وهذا التهذيب، وأرسلتها بيد شخص كان يـتردّد على عنـيزة عنـد الشـيخ "بن عـثيمين"، وكنت أعرفـه معرفـة جديـدة، وهو من السـلفيين الـذين انقلبـوا بعـد ذلك، وممن يجـادل عن الطـواغيت، أعطيتــه نسـخة من هــذا الكتــاب لكي يعرضــها على الشــيخ "بن

عـثيمين"، كـون الشـيخ السـعدي -رحمـه الله- من مشـايخ "بن عثيمين" من أهل بلدته، وقلت هو أولى الناس أن أريه هـذا البحث، ومن بـاب التواصـل مـع مشـايخ الـوقت، ومن بـاب الاسـتفادة من ملاحظاتهم على هذا الأمر، فبعد مدة رجع ذلك الشاب بنسختي من الكتاب وعليها ملاحظات يسيرة معدودة من الشـيخ "بن عـثيمين"، فلم أجد فيها الأمر الكبـير الأهمية مـمّا يسـتدعي تغيـيرًا أو تعـديلاً، وإنّـما هي ملاحظات هكذا أضـيفت على بعض المسـائل البسـيطة؛ مثلاً بعض النظم الذي زدته يقول: لا داعي للزيادة فهذا مفهـوم من بيت الشـــيخ الأول، أو شيء من هـــذا القبيل، فلم تكن هنـــاك ملاحظـات من ذكـر أخطـاء أو اسـتدراكات تسـتدعي تغيـير ذلـك النظم، ولكنني لم أكن آنذاك أهتم بالاحتفاظ بهذه النسـخة، لم أكن أعرف أنّنـا سـنحتاج أن نقـول للنـاس اليـوم أنّنـا درسـنا على نفس المشايخ الذين درستم عليهم، وتراسـلنا، وتواصـلنا، وهم لم يكونـوا في حاجة لذلك، ولـذلك تسـاهلت في أن يأخـذ هـذه النسـخة ذلـك الشاب ولم يرجعها لي، ولـمّا قرّرت أن أطبـع الكتـاب من بـاب أن نُعرِّف الناس بأنّنا كنا نتواصل مع هؤلاء المشـايخ كمـا تواصـلوا هم، اتصلت به فاعتذر، وقال: أنّـها ضاعت ولا أدري أين ذهبت النسـخة، لكنه يعرف جيدًا أنني قد أرسلتها إلى شيخه معه، وأنّـها قـد جـاءت بملاحظات يسيرة من الشيخ، على كل حال هذه أمثلة من تواصلي مع الشيخ.

الشيخ "مقبل بن هادي الـوادعي" كـذلك راسـلته، بعثت إليه كتـاب "ملة إبـراهيم"، وأخـبرني بعض الشـباب أنهم أرسـلوا إليه كتـاب "الكواشف الجليّة في كفر الدولة السعودية".

فحـتى أنه بلغـني عن بعض الشـباب أنـه عنـدما جـاءهم كتـاب الكواشف قبل أن يغيِّر الشيخ رأيه في هذه الدولة -ولا أعـرف دقـة ذلك- أنه في آخر عمره عندما ذهب يعالج في الجزيرة أنهم تلطفوا إليـه حـتى أنـه أظهـر النـدم على مـا كتبـه في الدولة، وأنـه هـاجم الدولة، ولم يكن يكفّـر الدولـة، ولكنـه كـان يهاجمها، فجـاءه كتـاب

"الكواشف" في مرحلة لم يكن قد غيّر رأيه بعد في هذه الدولة حيث كان يهاجمها، فأخبرني الشباب الذين كانوا يترددون على مكتبته، وعلى معهده أنه كان قد وضع الكتاب في ضمن المكتبة التي كان يقرأ فيها -في ضمن مكتبته- وأن الشباب كانوا يتناوبون الدور بقراءة هذا الكتاب، ولم يكن الشيخ قد اعترض عليه، ولكن فقط ملاحظة واحدة قال: ليت الكاتب أو ليت المؤلف لم يسمِّه: "الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية" ولكن لو سمّاه: "الكواشف الجلية في فضائح الدولة السعودية"، وهو معروف أن الشيخ لا يكفّر الدولة السعودية ولا غيرها، فهذا الكتاب لم يصلني أيّ ملاحظات من الشيخ عليه آنذاك بل إنني أرسلت إليهم كتاب: "ملة إبراهيم"، وكتاب المدارس، "إعداد القادة الفوارس"، أرسلت هذين الكتابين الذين كانا قد شُفّا وطبعا طباعةً مبدئيةً، هما اللذان تيسر لي أن أرسلهما، وأرسلت له أيضًا كتاب: "كشف النقاب عن شريعة الغاب" فيما بعد في نقد الدستور والقوانين الكويتية، طُبِع على الآلة الكاتبة آنذاك.

وكانت هناك مراسلات بيني وبين الشيخ وبين بعض طلبته لا زلت إلى اليوم أحتفظ بخطهم وبمراسلاتهم؛ مثلًا رسالة من الشيخ لطيفة: "وصلنا كتابك، وحبذا أن تزورنا لنتدارس الأمر مباشرة"، هكذا باختصار شيء من هذا القبيل، ورسالة أخرى من بعض طلبته تعليق على بعض ما جاء في كتاب المدارس؛ كانوا فرحين بهذا الكتاب لأنهم لا يدرسون في المدارس، وينبذون هذه المدارس مثل جماعة جهيمان، فكانوا فرحين بهذا الكتاب، ويمدحونه ويثنون عليه، حتى أنهم لـمّا عرفوا أني عندما خرجت من الجامعة حاولت أن أكتب رسالة وجهتها لجماعة محمد سرور طلبوا هذه الرسالة مني؛ وقالوا: حبذا لو تبعث لنا برسالتك في الجامعات، لكن لم يكن عندي رسالة جاهزة لأني أعطيت بدايتها أو رؤوس أقلامها للشيخ محمد سرور -وقتها- لـمّا كنت آخذ وأعطي معهم في هذا الموضوع، لـمّا عارضوني، فلم يكن عندي رسالة جاهزة فيها،

فطلبوا مني هذا، وأظهروا فـرحهم في الكتب الـتي جـاءتهم، ولكن هذا الذي راسلني كان يتحفـظ على مسـائل التكفـير، ومعـروف أن عندهم غبشًا، وعندهم إرجـاء في هـذه الأبـواب، لـذلك كـانت هـذه النقاط الوحيدة التي يشيرون إليها؛ مثلاً عندما قلت في موضـع من المواضع: أن هؤلاء الطواغيت الحكام لـمّا كـانوا شـرًا من فرعـون وأخبث -شيء من هـذا القبيل- قلت معلقًا على هـذه العبـارة: فهم لم يلجـؤوا إلى تقتيـل الذريـة كمـا فعـل فرعـون مـع أولاد بـني إسرائيل، فبدلاً من أن يقتّلوهم فعلوا مـا هـو أخبث من القتـل بـأن فتحوا هذه المدارس وجعلوا فيها مناهج خبيثة تنشئ هـؤلاء النشـء والأولاد والذرية على مـودة ومحبـة هـؤلاء الطـواغيت، فقتلـوا فيهم روح النخوة والإسلام والدين، وصـنعوا منهم خـدمًا مطيعين، فكـانوا بهـذا الأسـلوب أخبث من فرعـون لأنهم قتلـوا فيهم الـدين وقتلـوا فيهم كذا..

فكـان التعليـق على هـذا الأمـر أنـه لا ينبغي أن يقـال أن هـؤلاء الطواغيت أخبث من فرعون وكذا، تعليقـات من هـذا القبيل، فقـط هذا ما كان عندهم من هذه التعليقات، ومع ذلك يكـذب الآن البعض في بعض المنتديات كما شـاهدت، ويزعمـون أن الشـيخ "مقبـل بن هادي الوادعيّ" رد عليّ في بعض الكتابات.

وأقول لهم أنا: أين ذلك؟ أثبتوا.

أنا عندي رسائل ومراسلات بيني وبينهم أنـه طلب مـني أن أزورهم وأن كتابي وصل له ولم يكن منه أيّ تعليق.

5- مرحلة المدينة؛ طلب العلم الشرعي ومراسلة المشايخ (الجزء الثاني)

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

كـذلك من المشـايخ الـذين راسـلتهم وزرتهم أيضًـا الشـيخ الفاضل الزاهد -فك الله أسره- الشيخ عبد الكريم الحميـد، كنت أسـمع وأنا بالكويت يسمونه عبد الكريم الديك، كان زاهدًا حقيقـةً عنـدما زرته في قريته "الخبيبية" في "بريدة" فوجئت أن يكون هنـاك في زماننا مثل هذا الرجل!

الرجل زاهد تارك شهوات الدنيا كلها، كنت من احتكاكي مع شـباب "الإخوان" يطلق هذا على جماعة جهيمان يعني من طرف الإخوان، أتعـرف على إخـوان في بريـدة أو في منـاطق أخـرى في الجزيـرة فأوصلني ذلك إلى من عرفني على هذا الشيخ الزاهد فأخذت معي (كتاب ملة إبراهيم) وأخـذت معي كتـاب (إعـداد القـادة الفـوارس) أيضًـا كـانت تلك الكتب آنـذاك هي الموجـودة، وزرت الشـيخ في بريدة طبعًا بيته من الطين -يتشبه بالنبي صـلى اللـه عليـه وسـلم- ارتفـاع غرفته الوحيـدة داخل الـبيت يقـول هو يعـني جعلها كغرفة النبي –صلى الله عليـه وسـلم-، أرض الـبيت كلها من رمل وتـراب، السور الخارجي من طين.

أول ما تضرب عليه الباب يسألك: فيه معك قروش عليها تصاوير؟

لا يحب أن يدخل إلى بيته صورة؛ لذلك أنا قبل لأني أعرف بهذا من خلال طلَبَته ومن خلال الشـباب، كنت قد أبعـدت سـيارتي بعيـدًا وجعلت هويـتي وفلوسي وجـوازي كلها بالسـيارة وجئته كما يحب، يعـني لم أحب أن أسـتفزه كـان آنـذاك متسـلط عليه كثـيرٌ من السفهاء والأولاد يلقون جرائد فيها تصـاوير داخل سـور بيتـه، يعـني كانوا يهزؤون بالشيخ لأنه لا يركب سيارة، يركب حصان وينكر على من كان في سيارته راديو أو شيء من هذا القبيل وينسبون إليه أنه يقـول أن هـذه المخترعـات العصـرية سـحر ويبـدو أنه لم يقل هـذا الكلام بحذافيره، صدرت عنه آنذاك عبارات يسميها "مخاريق أعداء الله" أنا سـمعتها منه ولكن لم يقل صـراحة سـحر، أنا لم أسـمع أو على الأقل أنا لم أسـمع ذلـك، فزرته في البداية تمنَّع وتـردد في

استقبالي كما هو شأنه مع كل غريب لا يحب أن يقابل النـاس كـان معتزل وكان يصلي في مسجد جنبه أيضًا كان كبيته من الطين أصلًا "الخبيبية "كلها تقريبًا بيوتها قديمة من الطين لا تكاد ترى فيها أريل تلفزيون، لا تكاد ترى فيها كذا.

في البداية تــردد في اســتقبالي وســألني في جيبــتي شــيء عليها تصــاوير؟ فقلت له: لا، فــدخلت معه وأخــذت أتكلم وأســأله عن أحواله عجبت لزهده وعجبت لانقطاعه عن الدنيا كان ضـعيف جـدًا وكانت ملابسه فيها زهد وفيها انصـراف عن الـدنيا وشـهواتها حـتى أني أخـذت أتكلم معه في بعض المسـائل الـتي اشـتهرت عنه من الكهرباء أنه الكهرباء يعني بعض الناس يقول أنه يقول سـحر، طبعًا في بيته لا يوجد كهرباء ولا يوجد شـيء، أنا لم أرَ في بيته شـيئًا من معالم الحضارة هذه التي يسموها إلا صنبور ماء مثقوب السـور من الخارج وداخل عليه صنبور ماء من الخـارج يعـني يسـموه "بزبـوز" السعوديين أو يسموه "حنفية"، حنفية واحدة داخلة عنـده، ما عنـده شيء واحد أصلًا تحاججه فيه تقوله طيب هذا لماذا؟ ماعنده شيء.

حــتى أننا لما كنا نتكلم عن الســيارات قلت له: يا شــيخ، ألم تكن هنـاك عربـات تجرها الخيـول في زمن النـبي –صـلى اللـه عليـه وسلم-؟

قال: نعم ولكن النبي –صلى الله عليـه وسـلم- لم يسـتعملها، كـان يستعملها الملوك والجبابرة والرومان ونحوه

يعــني كــان مصــرًا على هــذه الآراء، جلست معه وزرته وأعطيته الكتابين (ملة إبراهيم) وكتاب المدارس، ثم ذهبت إلى الحج لا أذكر كــان حجًا أو عمــرة، المهم ذهبت إلى مكة وفي طريق عــودتي مـررت عليه لأرى رأيه بالكتـابين فهـذه المـرة والمـرة الـتي فـاتت عندما جئت كـان مـترددًا في اسـتقبالي كعادته في عـدم الانبسـاط لعموم النـاس، بل أنه لا يصـافح كثـير من النـاس بـدعوى أنهم أهل

معاصي ونحو ذلك أو كذا، فلما علم بمقدمي ذهب إليه أحد الشباب فقال: يا شيخ، هذا الشيخ الذي مر عليك.

هــرع إلي: وتعــال وين أنت وأنا أنتظــرك. وأظهر البشر والســرور والفــرح وأخــذني وجلســنا في زاوية في المســجد وأخذ يثــني على كتابي المدارس تحديدًا: أنت تعـرف هـؤلاء الشـباب هـذه المسـائل التي يهتموا فيها، أثـنى عليه ثنـاء شـديد وأنا كنت مستشـهد بأبيـات شعر له في موضـوع المـدارس ومفاسـدها ففـرح بـذلك، فجلست معه مـدة فأخذ يمـدح هـذا الكتـاب ويقـول: لا بد أن تضـيف عليه مسألة.

هو كان دائمًا يركز عليها، وهي محل خلاف بينه وبين الشيخ سلمان العودة آنذاك، كثير كان الشيخ سـلمان العـودة يسـطو عليه ويتكلم عليه لأجل هذه المسألة، هو يعني كان شأنه هذا الشيخ شأن الكثير من المشايخ النجديين والحجازيين يـرى أن الأرض لا تـدور يـرى أن الأرض ثابتة لا تتحرك، استدلال بعموم الأدلة الموجـودة الـتي تـذكر أن الله جعل الأرض قــرارًا وأنه -ســبحانه وتعــالى- جعل الجبــال رواسي وأوتاد، فيستدلون بهذا العموم بأنها ثابتة راسـية، وفي هـذا نظر أنا عنـدي؛ لأن هنـاك أدلة تـدل على أن يعـني الـذي يثبت أن الأرض قارة راسية ويقول هي تدور هذا ما خالف نصـوص الكتـاب، ولكن الذي يقول أنها تميد وتتزلزل وليست براسـية وليست بقـارة هذا الذي يخالف نصوص الكتاب، فإذا قال القائلين في هـذا الـزمن أنها تـدور وهي قـارة راسـية ثابتة لا يمنع ذلـك، هـذا لا يمنـع، يعـني المنفي هو الــــتزلزل والميلان أن تميد بكم ونحو ذلك هــــذا هو المنفي.

على كل حال الشيخ كان يرى هذا الرأي وهذا الرأي هو رأي بن باز أيضًا يعني إذا آذاه سلمان العودة وتجرأ على هذا الشـيخ المسـكين فنحن نأخذ عليه ســكوته على الشــيخ ابن بــاز، فمثلًا بن بــاز له مصنفات مطبوعة في هذا الباب.

على كل حال كان الشيخ سلمان يهاجمه كثـيرًا حـتى أن له قصـائد عندي قصـائد بخط يد الشـيخ عبد الكـريم الحميد ردًا على سـلمان العــودة وكــان ســجالات بينهم ســلمان العــودة يتهمهم بالتشــديد وبالانغلاق وكـانوا هم يـردون عليه أن هـذا التشـديد الـذي تـراه من الدين ومن السـنة وأنت تـرمي السـنة، هو يـرد عليه نـثرًا وشـعرًا، يكتب هو الشــعر وعنــدي طائفة مجموعة من كتاباته بخط يــده لا زالت موجودة عندي أعطـاني جـزء كبـير منها هو بنفسـه، حـتى أن البعض كـان ينكر عليه أن هـذه الأوراق بخطه صـحيح ولكنها تصـور بالكهربـاء فكـان يكتب ملاحظة بـأني أكتب بقلمي ولا دخل لي بمن يصور، كان يعـني يكتب هـذا فكـان يعـني هـذا من المشـايخ الـذين زرتهم وجالستهم.

وهــذه هي كــانت مرحلة تــرددي على المدينة بل أني تــرددت على أماكن أخرى فكنت أذهب مع الشباب إلى البدو في الصحراء نــزور بعض الإخوان من أتباع جهيمـان الـذين كـانوا في الصـحراء ونـتردد على بعض المشــــايخ، وذكــــرت أنا في مقدمة (كتـــــابي الكواشف الجلية) في التمهيد لقائي مع شـيخ كبـير في السن قرابة التسـعين عمره أدرك عبد العزيز بن سعود وأدرك مذبحة "السبلة" التي غدر فيها ابن سعود بالإخوان، ذكرت هذا الشـيخ والْتقـائي فيه وكيف أنه امتحن الشــباب بمعـنى لا إله إلا اللــه، وكــان عهـدي آنــذاك قريبا بـ(الدرر السنية) فعـرفت أنه يريد أن يـرى أو يثبت في أذهاننا ربط معـاني الـولاء والـبراء أوثق عـرى الإيمـان بكلمة التوحيـد، وأن ما تحويه لا إله إلا الله من نفي وإثبـــــــــات كما أنها تثبت التوحيد لله وتنفي عبـادة ما سـوى الله فكـذلك أيضًـا تثبت مـوالاة المؤمـنين وتنفي مــوالاة المشــركين أي فيها مــوالاة المؤمــنين والــبراءة من المشـــركين، كما أن فيها توحيد الله والـــبراءة من الشـــرك، فلما اختبرنا في ذلك وكــان بعض الشــباب يجيبه بتفســير لا إله إلا الله التي سأل عنها كانوا يجيبونه إجابات صحيحة ولكنه كـان يـأبى هـذه الإجابـات حـتى أنه يعـني جـاء دوري فقلت له: أنا أعـرف ما الـذي

تريد، فـذكرت له يعـني أنه يريـدنا أن نقـول أن لا إله إلا الله تعـني توحيد الله ومـــوالاة المؤمـــنين وما يســـتلزمه التوحيد من مـــوالاة المؤمنين والـبراءة من الشـرك وما يسـتلزمه ذلك من الـبراءة من المشركين، فقال: نعم هذا الذي أريد، وهـذا ما رسخ في ذهـني أن هؤلاء بقية الإخوان وبقية أتباع الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب كـانوا يعززون معاني الولاء والبراء ويربطونها في الدين، ولقد أصابوا في ذلك وكـان هـذا سـديد؛ وذلك كـان كما قـال العلمـاء أن كتـاب الله والدين جاء لأجل التوحيد وإذا تدبرت كتاب الله فإنك ستجده دعـوة إلى التوحيد سواء كـان توحيد الله في الأسـماء والصـفات أو توحيد الله في الربوبية أو توحيد الله في الإلوهيـــة، وبيـــان هـــذا التوحيد وثواب الموحدين، وفي المقابل نهي عن الشرك الــذي ضد التوحيد وحال المشركين في الدنيا والآخرة وعقوبة المشركين وكل ما جاء بعد ذلك من فروع الشريعة فهو مكمل لهذا الأصل العظيم وحـامي لجنابه ومحافظ عليه، فليس التركيز على هـذا الجـانب سـواء كـان توحيد الحاكمية -كما يســـمى مصـــطلح العصر- أو توحيد الألوهية توحيد العبـــــادة عمومًا ليس من الغلو بل هو هكـــــذا تعلمنا من استقراء آيات الكتاب ومن استقراء أحاديث النبي –صلى الله عليــه وسلم-.

يعـــني أنا كنت جـــالس قبل أيـــام مع واحد من الســـلفيين أو من التقليديين السلفيين المرجئة الحلبـيين، ويقـول: لما قلت له بعـدما قال: أنتم خوارج، فقلت له: عـرف لي الخـوارج وعـرف لي في أي شيء وافقنا الخوارج، فذكر أنكم خـوارج لأنكم تركـزون وتدنـدنون وتتكلمـون دومًا في مســألة الحكم بغـير الله وتكفـرون الحكــام بـإطلاق دون تفصـيل، طبعًا رددت عليه قوله بأنك تكـذب بأننا نكفر الحكام بتفصيل، عندنا تفصيل معـروف نعرفه التفصـيل الـذي عليه الســلف، فحاجته وقلت له: ائتـــني أين كفرنا الحكــام من غـــير تفصيل، عندنا التفصيل المعلـوم، ولكنه أخذ يقـول أن هـذه مسـألة أنكم تتمـيزون بها مع الخــوارج أنكم تلفــون وتــدورون حـول هـذا

الموضوع ولا تتكلمـون إلا بهـذا الأمر وإذا خاصـمتم خاصـمتم لأجله وإذا تكلمتم تكلمتم فيه وإذا صنفتم صنفتم فيه.

فلا غرابة ولا تعجب من تركيزنا على هـذا الأمر إذا علمنا مما تقـدم بأن الـدين كله أصـلًا جـاء لأجل التوحيد ولأجل حفظ جنـاب التوحيد ولأجل إبطال الشرك والتنديد، يعني هذا ما تعلمته في تلك المرحلة من كتـاب (الـدرر السـنية) وما تركز في ذهـني وتعظم من شـأن التوحيد ورأيته مطبقًا عند هـذا الشـيخ الكبـير الجليل الـذي شـارف على التسعين اسمه ابن هدبه، كان اسـمه وشـهرته ابن هدبه شـيخ كبير طاعن في السن لحيته حمراء محنية وكان قد كف بصـره وبتنا معه ليلة كـان يقـوم بالسـحر ويتمسح ويتوضـأ، كـان يعـني أعمى ويقوم يصلي القيام وكنا شـباب على سـفر، حقيقـةً الرجل يـذكرك بأتباع الشـيخ محمد بن عبد الوهـاب فيعـني هـذه المعـاني تركـزت آنذاك في ذهني.

أيضًا من المشايخ الذين كان لي بهم اتصـال طبعًا كـان في مراحل متأخرة بعد السجن وبعد خروجي ولذا أتشرف باتصالي بهم الشـيخ حمـــود بن عقلاء الشـــعيبي -رحمه الله تعـــالى وجمعنا به في الفـــردوس الأعلى- نفتخر بـــأن يكـــون مثل هـــذا الشـــيخ شـــيخنا، فتراسلت معه كما هو موجود في منـبر التوحيد والجهـاد، فبعثت له رسالة واتصل بي وأرسل إلي ناس هنا ففرحت بهم وأذكر أنني بعد خروجي من السجن اتصل بي أحد إخواننا من الجزيرة من الشباب الـذين كـانوا في أفغانسـتان وقـال لي: خذ يريد أن يكلمك الشـيخ علي الخضـــير على التلفـــون، فتكلمت مع الشـــيخ علي الخضـــير وظننت أن الأمر واقف على الشـــيخ علي الخضـــير فأخذ يكلمـــني ويهنئني بالسلامة ودعاني إلى الثبات وأنه أنت نحن نسمع بأخبارك، كان من هذا القبيل العاطفي والتذكير والـدعوة إلى الثبـات ونحوها ثم قال لي: خذ كلم شيخنا، فلم أكن أعرف أن الشيخ كان معهم أو في مجلسهم فإذا بي أفاجأ به الشيخ العقلاء، أول ما قـــال لي: الله حيهم -العبارة التي يقولونها أهل نجد الله حيهم-، وسـلم علي وأخذ

يثني ثناء أحرجني به كـوني كنت حقيقـةً أحـترم كثـيرًا هـذا الشـيخ، حـتى أنه قـال لي عبـارة لـولا أنـني أعـرف أن هـذه العبـارة تغيض أعداء الله وتغيض المرجئة لما قلتها، فقد قال لي آنذاك يعـني: لقد رفعت رأس السلفيين عاليًا، يعني أثنـاء ثنائه علي بموضـوع الثبـات في السجن والمواقف الـتي وقفناها في وجه الطـواغيت وفي وجه أنصار الطواغيت قـال لي هـذه العبـارة، وأنا أقولها من بـاب إغاظة من يتهموننا بأننا ليس لنا صلة بالعلماء، أنا أتشرف بأن يكون أمثال هذا العالم من مشـايخنا، حـتى أنه من العلاقة الطيبة الـتي فـرحت بها يعني كان الشيخ يذكرني بخـير وكـان كثـير من طلبته يـزوروني في بيتي هنا ويقولون: يا شيخ سألناه على انفـراد: ما رأيك يا شـيخ بكتاب الكواشف الجلية، نختبره لنرى أيش يقول فكان يقول: كتاب طيب اقرؤوه، فكنا نقول :يا شيخ هـذا يكفر الدولة في كتابه فكـان يقول: وهل هي الدولة مسلمة! كان جريئًا حقيقةً جريئًا، كان يتصل بي وأنا لي كتاب الكواشف الجلية ولي ما لي مع النظام السـعودي ويأخذ يثـني علي بـالتلفون ويـدعو لي بالثبـات، ويقـول لي: رفعت رأس السلفيين عاليًا وغير ذلك مما لا أذكره.

وأنا أقول: هـذا لم يكن يأبه بهـؤلاء الطـواغيت ولا يلتفت لتهديـدهم فلذلك لا يستبعد ما ذكره بعض طلبته من أنهم حقنوه بالسم عندما كان مريضًا وقتلوه، فقد أخـبرني بعض الطلبة ممن كـانوا عنـده أن الشـيخ علي الخضـير كـان آخر الموجـودين معه في غرفة العناية المركزة وأن الشيخ كان واعيًا صـاحيًا يتكلم فـأخرجوه الأطبـاء في ضمن من أخرجـوه ثم بعد ذلك جـاءهم خـبر أن الشـيخ تـوفي فلما دخل عليه يقــول بلغــني يعــني بعض إخواننا من الجزيــرة وأنا لم أسمع ذلك مباشـرة من الشـيخ الخضـير، قـال أن الشـيخ وجد أثـار حقنة هنا كان الدم كما هو كيف يكون الدم خارجًا مكــان الحقنة دم يسير قال: وجد أثار حقنة هنا ووجد الشيخ مسجى متـوفى، فيقـول يعني لا يستبعد أنهم كانوا قد صفوه بعدما غاظهم ثبات هـذا الشـيخ ونصرته العلنية التي لم يسبق إليها من المشايخ الذين في مسـتواه

العلمي وفي سنه نصرته العلنية للمجاهدين في كل مكان، حتى أنه جاهر في نصرته لغزوات نيويـورك وواشـنطن وهـذا لم يسـبقه فيه أحد! بل كـان أول من كتب في نصـرة هـذه الغـزوات وتأييـدها وأنا كنت آنـــذاك شـــارع في كتابة ما كتبت في رأيي بهـــذه الغـــزوات وتأييدها فلما رأيت شيخنا العقلاء قد أخرج هذا الرأي أو هـذا الحكم عندها تكاسلت وتركت الأمر قلت خلاص الشيخ أدلى بدلوه.

وفرحت جدًا لما فوجئت بأحد طلبة الشيخ على بـاب بيـتي يـزورني يقـول: أنا جـاي من طـرف والـدك الشـيخ ومعي أمانة من الشـيخ، فجلس عندي وأخرج لي مبلغ من المال ريالات وقال لي هذا وهذا، فحاولت أرده فقال لي: هذا من والدك الشيخ تـرد والـدك؟ فقلت: لا والله لا أرد بل أتشـــرف بـــذلك وكم فـــرحت بـــذلك المبلغ فرحًا عظيمًا، ليس لأجل المبلغ فلم يكن المبلغ طـائلًا، ولكن فـرحت بأنه الشـــيخ العقلاء يهتم بي ويراســـلني ويبعث لي من طلبتـــه، هـــذا أسعدني كثيرًا؛ لأن بمثل هؤلاء المشايخ نفتخر، الذين يدعون بأننا لا نحب العلماء ولم نجالس العلماء كذبوا، نحن لا نحب العلماء الـذين هم أذنـاب للطـواغيت الـذين هم سـدنة للحكومـات الـذين أمضـوا حيـاتهم في الـترقيع للباطـل، الـذين نشـروا الإرجـاء وسـنوه بين الشـباب، والـذين هـاجموا إخواننا المجاهـدين وذمـوهم ووصـفوهم بأنهم حـاربوا الله ورسـوله في الـوقت الـذين يسـمون ولاة الأمـور بأئمة المسلمين وولاة أمر المسلمين! هؤلاء المشايخ الذين نـذمهم ومع ذلك فقد قرأنا كتاباتهم ونحن أعلم بكتابـاتهم -كما أشـرت في بعض كتابـاتي- أعلم بكتابـاتهم من طلبتهم، يعـني علي الحلـبي لما يذم مصـطلح الحاكمية ويعـير الشـباب به ويقـول أن هـذا مصـطلح مبتدع شابه مصطلح الإمامة عند الشيعة، ما رأى ما كتبه شـيخه أنا دليته عليه في كتـاب قلت له: تعـال، إذا كـان هـذا مصـطلح مبتـدَع فأول من تحاسبه عليه شيخك، انظر في كتاب كذا عند حـديث كـذا قال أن من أصول الدعوة السلفية أن الحاكمية للـه، وينك أنت من

كتابــات شــيخك الــذي تــزعم أنك من خــواص طلبته نحن أعلم بكتاباته؟!

كنا بالمنقـاش نخـرج فوائد من كتب الشـيخ الألبـاني نخـرج الفوائد بالمنقـاش كنا نقرأها من الجلـدة إلى الجلـدة عنـدما يصـدر مجلـدًا نقرأه ونجرده جردًا وعلى كتب الشيخ الألبـاني أصـلًا تعلمنا قبل أن نقرأ مصطلح الحديث على المشـايخ، وقبل أن أتعلم التخـريج على المشـايخ تعلمت ذلك من كتب الشـيخ الألبـاني، كنا نقـرأ الحـديث ونقــرأ طريقة تصـحيح الشـيخ له وتخريجه لــه، فتعلمنا المصـطلح وتعلمنا كثــير يعــني حفظنا تــراجم كثــير من الرجــال وتعاملنا مع الحديث وتخريج الحديث من خلال كتب الشيخ ناصر الدين الألباني، هــذا شــيء وقضـية مواقف هـؤلاء المشــايخ والموازنة بينهم وبين أمثال الشـيخ العقلاء شي آخـر، نتشـرف بانتسـابنا إلى هـذا الشـيخ وأن نقـول شـيخنا بمليء فيهنا: هـؤلاء شـيوخنا فليـأتِ لنا كل قـوم بأشياخه.

الشـيخ من قبلهم مشـايخ الـذين نعـتز بهم أيضًـا شـيخ الإسـلام ابن تيمية وتلميـذه ابن القيم وأمثــالهم -رحمهم الله تعــالى- فهــذه هي يعني المرحلة التي يعني حقيقة غرفت فيها من فنون العلم وكـانت تهيئة لي لأن أتفرغ بعد ذلك لنصرة الدين والرد على هذه القــوانين التي ألزم الطواغيت بها الناس.

يعني ربما أستطيع أن أقول بأنه لو تيسـرت لي النشـأة العلمية من بداية توجهي يعني لو طلبنا العلم على مشايخ كنا لصيقين بهم ربما كان الأمر أيضًا يختلف عن هذا ربما يعني لأبدع الإنسان في فنــون؛ لأنه يعني كان عنـدنا شـغف على طلب العلم ولكننا لم نسـتطع أن نبقى مدد طويلة بين يدي العلماء والمشايخ، حـتى المشـايخ هـؤلاء الذين نحن عندنا عليهم ملاحظات لم يتيسر لنا يعني كـانت أمنيـتي أن أدرس في الجامعة الإســـلامية ليس لأجل الشـــهادة بل كنت أحدث ببعض إخواني وأصـدقائي أقـول لهم: لو حصـلت على قبـول

في المدينة سأجعل السنة بسـنتين، يعـني أنـني أرسب في المـواد حـتى أتـأخر ليس أربع سـنوات لا، كنت أنـوي أن أجلس ثمـاني سـنوات أو أكـثر لطلب العلم في المسـجد النبـوي وعلى المشـايخ كـان آنـذاك الشـيخ الشـنقيطي -رحمه الله- موجـود، فكنا نحـرص يعـني لو أننا كنا من طلبته وغـير ذلك ولكنه قـدر الله -عز وجل- ونحن نقـول أننا بفضل الله -عز وجل- الله -سـبحانه وتعـالى- يسر لنا هذه الأسـباب وهـذا المسـتوى من طلب العلم وليس الغاية هي التكثر من المشايخ أو التكثر من الأسانيد والإجازات كما هي شهوة كثير من طلبة العلم، وإنما هـذه الأمـور هي وسـيلة لنصـرة الـدين، حرصنا على أخذ ما نسـتطيع من مفـاتيح العلم وأدواته الـتي تمكننا بعد ذلك من نصـرة الـدين والتوحيـد، هـذه هي الغاية حقيقـة، فما الفائـدة من أن أتكـثر من القـراءة والجلـوس على المشـايخ وأخذ الإجـازات ثم لا أنصر الـدين! بل بـالعكس هـؤلاء المشـايخ الـذين يفتخرون بإجازاتهم وبنحوه أمثال الحلبي وأمثـال المداخلة وغـيرهم ما الذي يفعلـون يهـدمون الـدين وينصـرون الطـواغيت، فتبًا لثمـرة خبيثة هكـذا يسـتخرجها هـؤلاء النـاس من هـذا العلم الـذي كسـبوه ودرسوه.

والمقصـود بفضل الله -عز وجل- أننا حرصـنا على الاغـتراف من أدوات العلم ومفاتيحه التي تمكننا أن نكتب وأن نواجه شبهات أهل الجهل وأن ندحر حجج الطواغيت وأنصار الطـواغيت هـذا الـذي كنا نحرص عليه، والله -عز وجل- يعني -سبحانه وتعـالى- يسر لنا بعض ذلـك؛ ولـذلك نحن دائمًا نحث إخواننا على طلب العلم وعلى العكوف عليه وألا يأنفوا أن يجلسوا حتى في مجالس أمثـال هـؤلاء المشايخ المذكورين في أبواب يستفيدوا منها، فما المانع أن يدرس الإنسان على بعض هـؤلاء المشـايخ الفـرائض مثلًا أو يـدرس عليهم العقيـدة الواسـطية أو يـدرس النحو أو المصـطلح أو غـير ذلك من المسـائل الـتي لا تمس اعتقـادك، وإذا كـان الإنسـان متمكن في عقيدته السـلفية الحقة ويعـرف توحيـده لا يخشى على نفسـه،

فــالتبحر في ذلك والجلــوس في مجــالس هــؤلاء ربما يعينه أيضًــا ويفيده في أن يتصدى لشبهاتهم وشبهات طلبتهم، وبعد ذلك إذا هم قالوه أو طـردوه فله الأجر في ذلـك، هـذا عنـدما يكـون هنالك شح في العلماء وفي طلبة العلم الربانيين، لكن عندما يتيسر الآن التيار السلفي المجاهد -كما يدعوه ويسموه الناس- يعني انطلقوا، أصـبح فيه هنالك طلبة علم متقدمين يغنوا شبابه عن الذهاب لمثل هــؤلاء المشايخ، فلذلك أنا نصيحتي لإخواني من خلال هذه التجربة إذا كان الإنســان منهم يأمل في نصـرة هـذا الـدين أن يغتنم فراغه ويغتنم شبابه قبل أن يدهمه ما يدهمه من خروجه إلى ساحات القتال؛ لأن كل أبناء التيار يعني يضعون نصب أعينهم دومًا الخروج إلى ساحات الجهـاد ونصـرة المجاهـدين بالسـنان كما أنهم ينصـرونه في حـال الفـراغ والبعد عن سـاحات القتـال ينصـرونه باللسـان وبالكتابـة، فيسـتغلوا هـذه الأوقـات ويسـتغلوا فـراغهم في طلب العلم وفي القراءة وفي التدريس وفي الذب عن المجاهـدين وفي نصـرة هـذا الـــدين وفي رد شـــبهات أعدائه من المرجئة ومن أهل التجهم وغيرهم فهذه نصيحتي لإخواني من خلال هذه التجربة.

يعني هـذا ملخص ما عنـدي في رحلـتي لطلب العلم والْتقيت بغـير هــؤلاء المشــايخ في أمــاكن أخــرى وغــيرهم من طلبة العلم في باكستان وفي أفغانسـتان وفي بلـدان أخـرى ولكن تقريبًا هـذه هي الحقبة المؤثرة بعدها انطلقت في كتابة ما كتبته من مصنفات.

6- الدراسة الشرعية على المشايخ والتأليف

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

ولقد درست النحو، ودرست "الأجروميّة" بعضها درستها في حلقات الشيخ ابن عثيمين، وبعضها أكملتها في أشرطة مسجلة، ودرست بعد ذلك كتاب "قطر الندى وبلّ الصدى" على شيخ أرتيري، ودرست بعض كتب النحو التي هي أقل شأنًا على بعض المشايخ الآخرين، هذا في باب النحو.

في باب مصطلح الحديث عكفت أنا بنفسي على دراسة "الباعث الحثيث"، وعلى دراسة كتب غيره وما في مستواه من كتب المصطلح، درست أيضًا "نخبة الفكر" لابن حجر، ودرست أيضًا كتاب "العلل" للترمذي" على الشيخ "عبدالله الدعيج"، ليس كله قطعة منه، كان يركّز فيه على المصطلح وعلى مسائل الحديث، هذا في الكويت.

أما في المدينة فدرست بعض الكتب الصغيرة مثل "البيقونية" وحفظت متنها، وحفظت المتن المعدل للشيخ "عبد الستار أبو غدة"، فيها استدراكات على بعض الأخطاء، هذا في جانب المصطلح.

أما في جانب أصول الفقه فكان لي اهتمام في هذا الباب، ولي مصنف فيه ملخص في أصول الفقه، فقد عكفت بنفسي على "مذكرة أصول الفقه" للشنقيطي، و"روضة الناظر"، والمقدسي، وكتاب "عبد الوهاب خلّاف"، وكتاب "أصول الفقه" للمبتدئين لمحمد الأشقر وغير ذلك، مجموعة كتب، و"إرشاد الفحول" للشوكاني، كلها دمجتها وأخذت ألخص فيها، وخرجت بمبحث واحد من عموم هذه الكتب.

وحضرت أيضًا دروساً متفرقة في هذا الباب؛ درست الفرائض على أشرطة ابن عثيمين، كنت أمسك كتاب الفرائض واستمع إلى الأشرطة كاملة، كنت اجتهد مع نفسي في هذا.

درست أجزاء من الفقه على بعض المشايخ في الكويت، كتب متعددة في الفقه.

أيضًا درست كتاب التوحيد على محمد سرور هذا في بداية نشأتنا وتوجهاتنا، وحضرت دروسًا كثيرة لسيد عيد عن الظلال، وعن "معالم في الطريق" وعن "خصائص التصور الإسلامي" لسيد قطب وغير ذلك.

كان لنا اهتمام في بداية نشأتنا وتوجهنا في هذه الدراسة، كان لنا مشايخ رغم أن الوصول إلى المشايخ المشتهرين كان بالنسبة لنا ليس سهلاً ومع ذلك كنا نحرص عليه، كنا نحرص على حضور مجالسهم وعلى التواصل معهم، وأنا ذكرت نبذة من تواصلي مع هؤلاء المشايخ، وحضوري حتى لمجالس من كان في ذهني ملاحظات عليهم؛ فالمغراوي هذا حتى عندما زار الكويت كنا نحضر دروسه، والشيخ "عبد الرحمن عبد الخالق" درّسني سنتين في المدرسة، وكنا نحرص على التواصل معه بالسؤال والجواب لـمّـا كنا طلبة، لا يذكرني الآن لأني كنت طالبًا في المدرسة، وكان هو أستاذ يدرّس مادة التربية الإسلامية.

وكذلك تواصلنا مع هؤلاء المشايخ، وكان بيننا وبينهم أخذ ورد، فأذكر مثلاً "عبد الرحمن عبد الخالق" في مرحلة بعد ذلك كنا نزوره، وننكر عليه بعض الأشياء؛ زرناه في جمعية إحياء التراث لـمّا أخرجت جمعية إحياء التراث برقية تأييد ونصرة لصدام حسين، سـمّوه البطل الصنديد، وسـمّو قيادته بالقيادة الفذة بعدما أباد الأكراد في مذبحة "حلبجة" بالسلاح الكيماوي، وهددته أمريكا على إثر ذلك، فأرسلوا إليه برقية يقفون معه في وجه هذه التهديدات، آنذاك ذهبت أنا وبعض الأفاضل الكويتيين، كانوا شبابًا من بقايا جماعة جهيمان، ذهبنا وجلسنا مع الشيخ في جمعية إحياء التراث وأخذنا نأخذ ونرد معه ونناقشه في شأن هذا البيان.

وهذا كان ديدننا، دائمًا كان يوجد تواصل بيننا وبين المشايخ سواء بالمناقشات والمناظرات والاستدراكات، أو بحضور مجالسهم ومحاولة الدراسة عليهم، أو بقراءة كتاباتهم، والعكوف على الكتابات المهمة التي تهمنا ونستعين بها على نصرة الحق وأهله.

في أبواب العقيدة والتوحيد كان الأثر البالغ عليّ من كتب الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" وأولاده وأحفاده فأول من وجهني لهذه الوجهة محمد سرور نفسه، هو الذي درّسني كتاب "التوحيد"، وهو الذي عرّفني على "تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد"، وكان منه يشرح لنا، فكان هذا التوجه، وكانت عقيدة هذه الجماعة في باب الأسماء والصفات عقيدة سلفية فدرّسونا ذلك، بل كانوا يدرسونا انتقاد الإخوان المسلمين، وانتقاد ـحسن البنا في بعض أبواب الأسماء والصفات، تحديدًا في باب التفويض؛ تفويض علم معاني أسماء الله وصفاته، وهم الذين نبهونا إلى أن التفويض الصحيح عند أهل السنة هو تفويض الكيفية لا تفويض المعنى ونحو ذلك، يعني كانت نشأتنا في هذا الباب وفي سائر الأبواب نشأة سلفيّة.

كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لاشك أن جماعة محمد سرور أو محمد سرور نفسه هو من الناس الذين حببوا إلينا كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وكانوا يشجعوننا على شراء كتبهما وعلى مطالعتها، وكان لي اهتمام بهذين الشيخين وبكتاباتهما سابقًا في أول التوجه ولاحقًا، فعكفت على قراءة وجرد كتاب الفتاوى لشيخ الإسلام في السجن، وقرأت أكثر كتب ابن القيم -رحمه الله تعالى- ولا شك أنّ لهذين الشيخين أثرًا بالغًا فيما أكتبه.

وكذلك الشيخ "الشنقيطي" فكتابه "أضواء البيان" حصلت على نسخة منه لـمّا سمعنا أن من الطبعات الأولى كانت طبعة طبعها "محمد بن عوض بن لادن"، وكان يوزعها على طلبة العلم، فزرناه في بيته وأهدانا -كنا مجموعة من طلبة العلم- أهدى كل شاب منا نسخة من هذا الكتاب، ففرحت بهذا الكتاب فرحًا عظيمًا، وعكفت على قراءته

واستخراج الفوائد منه، وكان له أثر بالغ عليّ؛ لأن الشيخ الشنقيطي -رحمه الله- من الناس الذين نصروا مسألة تكفير الحكام، وتكفير المحكّمين لـلقوانين الوضعيّة، وهو من الذين ناصروا الشريعة، وتكلموا في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله بتفصيل طيب، ولذلك تجدني قد نقلت عنه في كتاباتي المتقدمة القديمة.

كذلك الشيخ "أحمد شاكر" أيضًا كان لكتاباته أثر عليّ، قرأت كثيرًا من كتاباته، ومن الكتب التي دلّني عليها محمد سرور كتاب "عمدة التفاسير"، اشتريته من مكتبة "محمد سرور" نفسها مكتبة "دار الأرقم"، ولفت انتباهي كلام الشيخ -رحمه الله- أحمد شاكر في مسألة القوانين الوضعية أيضًا، وكنت أهتم بتحقيقاته كتحقيقه لـ "مسند الإمام أحمد" اشتريته أيضًا في مرحلة قديمة، وكنت أهتم بتخريجاته، فكان لنا اهتمام بالمشايخ السلفيين: "محب الدين الخطيب" ونحوهم ممن كتبوا في الرافضة والشيعة، وكتبوا في تحقيق السنة: "حامد الفقي" وغيرهم.

في ذلك الوقت كان توجهنا كله للاهتمام بكتابات وتحقيقات هؤلاء المشايخ، شأننا في ذلك شأن كل من نشأ نشأة سلفيّة، وتوجه توجهًا سلفيًا، ونحن نريد أن نرجع الفضل إلى أهله، فلا شك أن الفضل في ذلك في بداية النشأة لمحمد سرور بقدر ثم بعد ذلك لـجماعة جهيمان الذين كانت نشأتهم سلفية، وتوجههم سلفي، فكان لهم في ذلك أيضًا فضل، فيذكر الإنسان من كان له عليه فضل من باب: (حسن العهد من الإيمان)، ومن باب: {وَلَا تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُم}.

كذلك من زياراتي إلى المدينة ومكة وغيرهما كعنيزة وبريدة, حيث حججت بفضل الله عز وجل مرارًا؛ فكنت ربما أحُجّ مع بعض الشباب, فقبل موسم الحج بأيام أو أسابيع نُعرّج على عنيزة, ونمكث في مسجد الشيخ بن عثيمين نحضر دروسه؛ وكذلك في مكة والمدينة نحضر دروس كثير من المشايخ؛ وربما التقينا في منى بكثير من المشائخ؛ كالشيخ عمر بن عبد الرحمن -فك الله أسره- فقد التقيتُ

به في المدينة المنورة، كما التقيتُ به بعد ذلك في بيشاور, وجالسته مرارًا في مكة وفي منى, وكانت بيننا علاقة طيّبة، تعرّف عليّ وعرفته، وزرته أيضًا في بيشاور هو والشيخ "محمد الإسلامبولي" وغيرهم.

فكانت مواسم الحج هي مواسم للالتقاء بالمشايخ والعلماء وطلبة العلم؛ لم أكن أزهد في أيّ لقاء وفرصة تسنح لي, حتى أني أيضًا كنت ربما اغتنمت فرصة وجودي بعد الحج أو قبله فذهبت إلى جدة عند بعض الشباب أو إلى الرياض, والتقيت ببعض الإخوة وتعرّفت عليهم من طلبة العلم والمشايخ والشباب، وكان لي حرص على أن أشتري الكتب من مكتبات هناك أولاً بأول؛ الكتب التي تصدر للمشايخ.

وفي فترة المدينة كانت تسنح فرص أحيانًا، مثلاً تكون هناك اجتماعات لبعض المشايخ أو خروج إلى بعض مزارع المدينة لطلبة العلم، فتكون فرص تسنح لــنخرج نجلس مع المشايخ, كنا نرى بعض المشايخ في بعض المزارع التي حول المدينة قريبًا من أُحد, جلسنا معهم وكنا نستمع لبعض الدروس والجلسات والمناقشات في بعض المسائل، حضرت مجالس بعض المشايخ كالحذيفي وغيرهم في مزارع حول المدينة، وطلبة علم آخرين ربما يحضرني أسماء بعضهم ولا يحضرني أسماء الآخرين؛ مثل حمّاد الأنصاري، أبو بكر الجزائري، وهذه الطبقة من المشايخ كلها؛ كنا نحضر مجالسها, كنا نحرص على ذلك شأننا شأن أي شاب سلفي ينشأ هذه النشأة، ويتوجه هذه الوجهة.

فهؤلاء الذين يقولون لنا في مواضع كثيرة من مشايخكم؟

نقول لهم: مشايخكم هم مشايخنا؛ نحن درسنا على نفس الطبقة من المشايخ الذين درستم عليها أنتم، وبنفس الطريقة التي درستم أنتم عليها, حضرنا دروسهم وجلساتهم وتراسلنا معهم, واستمعنا لأشرطتهم وعكفنا على كتاباتهم, وزدنا على ذلك أيضًا بفضل الله عز

وجل أن لخصنا بعض كتاباتهم, وراسلناهم, وكانت لنا جلسات علمية مع كثير منهم؛ استفتينا بعضهم، وردوا علينا برسائل وبفتاوى.

فهذه هي الطريقة التي جُلّ طلبة العلم الذين يناقشوننا اليوم وربما يخالفوننا درسوا عليها ونحن في ذلك مثلهم.

هؤلاء المشايخ خصوصًا الشيخ بن باز وبن عثيمين، طلبة العلم اللصيقون بهم، والذين جالسوهم مددًا طويلة، وتعلموا منهم مباشرةً؛ حقيقةً هم قلة، ربما بن عثيمين كان له طلبة لأنه كان يُدرّس في الجامعة، وكان أيضًا يدرّس في مسجده، فكان له طلبة لصيقين.

أما في المراحل التي كنا نحن موجودين فيها -في المدينة ومكة وغير ذلك- كانت دروس بن باز متقطعة لأنه كان مشغولاً في منصبه في الحكومة، تسنح له فرصة أن يأتي مثلاً للحج, أو يكون في مكة أو يكون في المدينة فيلقي درسًا بعد الصلاة أو نحو ذلك، فكنا نحرص على أن نحضر مثل هذه المناسبات، أما هناك مشايخ آخرون كانت لهم دروسًا وحلقات علمية متواصلة في الحرمين فهذه لم تكن تفوتنا, وكنا نحرص عليها.

في ذلك الوقت أيضًا, في الوقت الذي كتبت فيه هذه السلسة "تحذير الساجد من بدعة منع الصبيان من المساجد"، أيضًا كنت أتدارس مع نفسي بعض الكتابات كالمصطلحات الأربعة للشيخ "المودودي" وأشياء مشابهة، فكنت ألخص أيضًا في هذا الباب بعض الفوائد.

وكتبت كتيبات صغيرة طُبعت أيضًا تحت هذه الكُنية التي طبع بها كتاب: "تحذير الساجد" وكنت استعملت كُنية: "أبو حذيفة"، لم أكن آنذاك قد رُزقت بمحمد, فكنت أحب هذه الكُنية, فتجدها على غلاف الكتب التي طُبعت: "أبو حذيفة بن محمد" هكذا اختصار.

كان الإنسان يريد أن يكتب البحوث دون أن يضع اسمه من البدايات، الدواعي لذلك كانت عديدة ربما من باب الورع, من باب أمنيات,

أبواب شتى، ولكن الكتب لم يكن فيها ما يُثير الطواغيت بشدة خصوصًا في تلك المرحلة, وفي الكويت الأمور كانت سهلة.

ولكن هذه تعبر عن مرحلة بداية توجهي للتلخيص والتصنيف والكتابة "العبادة؛ معناها, وصفاتها وشروط قبولها".

كذلك من الكتب أو من الرسائل التي كتبتها ولخصتها آنذاك رسالة لطيفة صغيرة سميتها: "خلاصة الأقوال في تفسير سورة الكهف العاصمة من الدجال" فجمعت تفسير هذه السورة من مجموعة من التفاسير؛ درستها ولخصتها وطبعت آنذاك أيضًا بهذه الصورة الصغيرة, تعمّدت جعلها كذلك كي يقرأها الإنسان يوم الجمعة لما ورد في ذلك من فضيلة.

وهذه المحاولات وهذه الملخصات والكتابات في بداية التوجه هي أيضًا مما يعين على طلب العلم وعلى قراءة كتب العلماء وعلى البحث هنا وهنا وهنا, هذا كله بفضل الله عز وجل وتسديده وتيسيره.

وكان أيضًا من نشاطاتي في تلك المرحلة لتأثري في السلفية العلميّة فحاكيتهم في بداية الطلب أيضًا في تحقيق المخطوطات؛ ففي المرحلة التي كنت أصور بعض المخطوطات وأرسلها للحلبي أو لمن يطلبها مني من بعض الشباب والمعارف من مكتبة المخطوطات في جامعة الكويت أو غيرها، كنت أصور لنفسي أنا بعض المخطوطات، وكنت أهتم بهذه العناوين مثلاً: "رسالة في وجوب الجهاد والهجرة" هذا المخطوط اللطيف, لأجل أن هذا العنوان مثلاً لفت انتباهي فأخذته، أخذت هذه المخطوطة وكتبتها ونسختها وعلقت عليها آنذاك. كان ذلك من النشاطات العلمية التي كنت أعكف عليها، ومخطوطات أخرى أيضًا كنت أهتم بها، هذا مخطوط: "حسام الدين لقطع شُبه المرتدين"، هذه عناوين بارزة كانت تلفت انتباهي بفارز المخطوطات فأصورها من الجامعة، أحرص على تصويرها، فمنذ ذلك الوقت كانت اهتماماتي تتوجه إلى هذا الاتجاه.

مثل ذلك هذا المخطوط الذي فرغته بعنوان: "إعلام الأعلام بقتال من انتهك حرمة البيت الحرام"، لفت انتباهي أيضًا هذا المخطوط فصورته من مكتبة المخطوطات في جامعة الكويت، وأيضًا نسخته وعلقت عليه.

وهذه أيضًا بعض دفاتري وملخصاتي عندما كنت في المدينة المنورة، في مكتبة المدينة ومكتبة الحرم، ما زالت إلى اليوم موجودة، حتى هذه نوتة محاضرات جامعة الرياض نفس النوتات القديمة والدفاتر القديمة التي كنت ألخص فيها فوائد أثناء وجودي في مكتبة الحرم ومكتبة الجامعة الإسلامية، وهذا أيضًا من الدفاتر التي لا زالت في المكتبة عندي فيها بعض القصائد والأشعار التي كنت أحاول كتابتها قديمًا، بعضها كتبته في المدينة ملاطفة ومراسلة لبعض الشباب الذين كانوا يناقشونني ويجادلونني في كفر الحكام، منذ ذلك الوقت وأنا في خوض معهم في هذا الأمر، منهم شاب كان يدرس في الجامعة الإسلامية، بعثت له هذه القصيدة وأنا في المدينة، وبعثت بها مع أحد الشباب ربما هي محاكاة لنونية ابن القيم، ولكن فيها ما أريد أن أكلمه بها، حتى عنونتها بعنوان: "لكنه يخفى على العميانِ"؛ أقصد تكفير الحكام، فقلت:

حكامنا هجروا الكتابَ وحكَّموا ... دين اليهودِ وعابد الصلبانِ

نبذوا الكتابَ مع الحديث كليهما ... وكلاهما من ربنا نورانِ

نبذوا كتابَ الله خلف ظهورهم ... وتحاكموا جهرًا إلى الشيطانِ

حكموا بشرعٍ من زبالة فهمهم ... كفروا بشرع الواحد الديّانِ

كفرٌ وظلمٌ ثم فسقٌ للذي ... يحكم بغير شريعةِ الرحمنِ

هذا الكتابُ كذا الحديث أدلةٌ ... في كفر من يعدل لحكمٍ ثان

ثم كفرٌ بواحٌ مستبينٌ واضحٌ ... لكنه يخفى على العميانِ

يخفى على أهل الجهالةِ والذي ... يدعوا إلى التقليد في البلدانِ

وكذا على من راح يطلبُ علمه ... من غير تبصرةٍ بذي الأزمانِ

ذكرت هذه الرسالة إلى الشخص الذي بعثت إليه هذه القصيدة:

هذه الرسالة من عصامٍ للذي ... يدعى حمودًا من بني حمدانِ

كتبتها، وجعلتها على نفس الوزن، كان طالبًا في الجامعة الإسلامية آنذاك:

ارجع إلى الحق الصراح ولا تظل ... أعمى بواقع هذه الأزمانِ

هذي شريعتنا وهذا ديننا ... يحكم بزيغ شريعةِ الطغيانِ

ارجع إليها يا مريد نجاته ... يوم الورود على شفى النيرانِ

ارجع تمسك بالكتاب وهديه ... وبسنةِ المبعوث بالقرآنِ

ارجع إلى الحق المبينِ ولا تظل ... في ربقة التقليد كالحيرانِ

يا رب واصفح عن مراءٍ قد مضى ... يا رب واجعلنا من الإخوانِ

يا رب واحشرنا بظلك يوم لا ... ظلٌ سواه كما روى الشيخانِ

واكتب لنا يا رب جنتك التي ... فيها الثمار دواني الأغصانِ

فيها الكواعب والقصور وغيرها ... فيها الهدوء وليس موتٌ ثانِ

يا رب واختم بالتقى أعمالنا ... لا بالعمى يا رب يا رحمنِ

هذه قصائد آنذاك وأشعار ومحاولات في بداية الطريق كنت أمازح فيها هؤلاء الشباب الذين كنا نختلف معهم في تكفير الحكام في المدينة، كانت هذه البدايات وبعد ذلك أيضًا كانت محاولاتي قبل السجن أكتب وأنظم؛ فهذه مثلاً أبيات في هذا الدفتر أيضًا نظمتها عندما رزقت بابني الأول وهو محمد وكنيته بأبي بصير، وبدأ يحفظ بعض الأمور كنواقض الإسلام، فنظمت له "نواقض الإسلام" أيضًا نظمًا، "نواقض الإسلام" رسالة صغيرة لطيفة للشيخ "محمد بن عبدالوهاب"، شيخ الإسلام "محمد بن عبدالوهاب"، نظمتها أيضًا حتى أُسهّل عليه حفظها فقلت:

نواقضُ الإسلامِ ... عشرةٌ في الأنامِ

فاحذرْ أَبا بصيرُ ... فكلها خطيرُ كالذبحِ

الشركُ في ... والصلاةِ

العبادةِ ... وشرعه
كذلك ... الملعونِ
القانونِ ... شركٌ من
فهو بلا تمييعِ ... التشريعِ
ومن دعا ... مقبرةً أو
وسائطَ ... حائطَ
ومنكرُ ... لمشركٍ
التكفيرِ ... كفورِ
وزاعمُ ... لكائنٍ أو قيلِ
التفضيلِ ... أو حُكمهِ
على هدي ... الأصيلِ
الرسولِ ... به النبي
ومبغضٌ لما ... المجتبى
أتى ... وإن له اتّباعُ
يكفر ذا ... بالشرعِ
إجماعُ ... والآلاء
كذاك ... كفرٌ كذا
الاستهزاءِ ... الخيانة
والسحرُ ... على أهل
والكهانة ... الديانة
أعني بها ... بنصرةِ
الإعانة ... الكفارِ
في الجهرِ
والإسرارِ

أقول: فهذه كانت محاولات نظم في بداية الطريق متنوعة، حتى أنني كنت أرسل بعض الرسائل لبعض الشباب في بلدان أخرى على هيئة نظم، كانت محاولات في مراحل من حياتي في أبواب شتى؛ في

أبواب الشعر، في أبواب طلب العلم، في أبواب نسخ المخطوطات، كنت أحاول في شتى المحاولات، وهذا كان كله من باب الحرص على طلب العلم والاشتغال به، فالحمد لله أولاً وآخرًا الذي يسّر لنا التعلم لكي ننصر دينه وتوحيده.

7- مرحلة أفغانستان (1): مشروعية الذهاب إلى أفغانستان للجهاد مع طالبان ومشروع الإخوان مع الجهاد والشيخ عبد الله عزام ومعسكر صدى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول اللـه وعلى آلـه وصحبه ومن والاه.

مرحلة أفغانستان كانت المرحلة التي تمثـل النضـوج الفكـري, وذلـك بسـبب أن هـذه السـاحة كـانت تعجّ بالجماعـات المختلفـة المشـارب والتوجهـات, ومن جـاء هـذه السـاحة بغـير ارتبـاط تنظيميّ يعـني حـر طليق فإنه يستطيع أن يتنقل بين هذه الجماعـات ويسـتفيد من هـؤلاء وهؤلاء ويقرأ لهؤلاء ويجالس هؤلاء بخلاف من جـاء إلى هـذه السـاحة وهو مرتبط برابط تنظيمي أو محاصر ببوتقة تنظيمية فإنه لن يسـتفيد الاستفادة المرجوة, فمن فضل الله عليّ أنني ذهبت إلى هذه الساحة وأنـا غـير مقيّـد بهـذه القيـود؛ ولـذلك حقيقـةً من أول يـوم كـانت لي احتكاكات بكافة الأطراف .

خروجي إلى أفغانستان كان في ذلك الوقت؛ شـأني شـأن كـل شـاب يتشوق للجهاد ونصـرة دين الله, كـل شـاب في تلـك المرحلـة عنـدما يسـمع بـالروس وجهـاد الـروس في الشيشـان وفي أفغانسـتان وأن هناك رايات إسـلامية تقاتـل لا شك أن كـل إنسـان عنـده من الحميـة لدينه ولنصرة أمته إلا ويفكر بالذهاب إلى تلك الساحات.

ربما يقال: "حسنًا؛ لماذا لم تـذهبوا إلى فلسـطين؛ ففلسـطين قريبـة وأقرب من أفغانستان؟!".

ولكن هذا الكلام كان في وقت لم يكن بعد قد ظهرت رايات إسـلامية نقيـة بإمكـان المسـلم أن يجاهـد تحتهـا قريبـة منـه, فأفغانسـتان من سنذهب لمن كان الشباب إذا ذهبوا إلى لبنـان يقـاتلون أو إلى سـوريا فلا يجـدون أمـامهم إلا فتح والشـعبية والديمقراطية ونحـو ذلـك من المنظمات حتى حمـاس لم تكن قـد اشـتهرت بعـد وظهـرت كمـا هـو شأنها الآن للشباب ذوي التيار الإخواني.

فلـو أن هنـاك رايـات إسـلامية نقيـة واضـحة في فلسـطين لمـا ذهب الشـباب إليها وقطعـوا هـذه المسـافات البعيـدة كي ينصـروا أمتهم ودينهم؛ فمنهم من يذهب إلى الشيشان ومنهم من يذهب إلى الفلبين ومنهم من يذهب إلى أفغانستان وكـل ذلـك لأنهم يسـمعون أن هنـاك رايـات إسـلامية، وهم يريـدون أن يقـاتلوا تحت رايـات إسـلامية نقية, يبحثون عن مثل هذه الرايات.

فهـذا في البدايـة شـأني شـأن أي شـاب -في ذلـك الـوقت- فكرنـا بالذهاب للجهاد والقتال في أفغانستان؛ فـذهبت مـرات عديـدة أحيانًـا ربما لا تتعدى فترة مكوثي هنـاك شـهر، شـهر ونصـف، وأحيانًـا مكثت ستة شهور متواصلة بحسب الظـروف وبحسـب الأمـاكن الـتي ذهبت إليها.

وكنت في أول ذهاب إلى هنـاك أحمـل معي نسـخة من كتـابي: "ملـة إبـــراهيم" ولم تكن قـــد طبعت بعد، ولكن كنت قـــد أتممت كتابتها، فنزلت إلى ساحة بِشاور، وكان من أوائل من التقيت بهم هناك الشيخ أبو الوليد الأنصاري -حفظه الله- طبعًا؛ الذي جعلـني أتعـرف عليـه أن هنـاك شـابًا كـان في الكـويت عنـدنا، ذهب إلى باكسـتان -كـان من أصدقائي في الكويت- وكان ممن يعملـون معي في بعض المجـالات- فلما ذهب إلى أفغانسـتان من الطـبيعي أن تبحث عن شـخص تعرفـه من قبل بطبيعة الحال ليسهل عليك مهمـة التـأقلم مـع الجـو الجديـد، فذهبت إلى هذا الأخ فوجدت أن لـه اتصـالاً وعلاقـة صـداقة ومعرفـة بأبي الوليد الأنصاري فتعرفت على أبي الوليد وكان معـه آنـذاك أيضًـا

دكتـور جزائـري هـو مسـجون الآن في الجزائـر يـدعى الـدكتور أحمـد الجزائري، هذان الرجلان ومعهم آخرون.

في هذه المرحلة التي جئت فيها إلى أفغانستان؛ كانوا قد -كمـا يقـال في التعبـير العـامي- غسـلوا أيـديهم من الأحـزاب المقاتلـة الأفغانيـة آنذاك: جماعة سيّاف وحكمتيار ورباني وأمثال هذه الأحزاب التي كـان كثير من الشباب يذهبون للقتال تحت راياتها، يغرر بهم هؤلاء الأحزاب أو يغرر بهم قـادة هـذه الأحـزاب بـدعوى أنهم يقـاتلون قتـالاً إسـلاميًا وأنهم يسـعون لإقامـة دولـة إسـلامية، وهـؤلاء الشـباب لا شـك أنهم يعذرون بأنهم يذهبون بهذه النية، والشاب الذي لا يمحّص الأمور يخدع بشـعارات هـذه الجماعـات خصوصـًا وأن جـذور هـذه الأحـزاب كـانت إخوانية والإخوان للأسف الشـديد في كـل سـاحة من سـاحات الجهـاد في العالم الإسـلامي يبـادرون لكي يكـون لهم وجـود، ولكنّ وجـودهم في هذه السـاحات، كما رأينا في العـراق وفي الصـومال ونشـاهد في فلسـطين الآن في البدايـة ربمـا يرفضـه الأعـداء كـون مسـحة هـؤلاء الإخوان مسحة إسـلامية، ولافتـاتهم الـتي يرفعونهـا لافتـات إسـلامية، ولكن عنـــد الحقـــائق وعنـــد التمحيص وعنـــدما يـــنزل إلى الميـــدان الصـادقون من أبنـاء المنهج الجهـادي السـلفي من أبنـاء هـذا التيـار، عنـدما يـنزلون إلى الميـدان وتبـدأ تتبلـور رايتهم وتظهر؛ لا شـك أن الأعداء يبادرون مباشـرةً إلى مـد الجسـور وإلى الالتقـاء مـع الإخـوان بكافة توجهـاتهم لأنهم يقبلـون بـالإخوان -رغم أنهم سـابقًا لم يكونـوا يقبلون بهم- يقبلون بالإخوان خـيرٌ من أن يـأتيهم هـذا البـديل الـذي لا التقاء معه، فمشروع الإخوان غالبًا كما هـو شـأنه في كافة السـاحات والبقـاع غالبًـا مشـروع وطـني يبقى محـدودًا في حـدود ما يسـمى بسايس بيكو وحدود الوطنية، كما هو مشروع حماس؛ الآن المخابرات الأردنية كانت تقول لحماس نحن لا نصنفها إرهابية في التعاملات على الأقل الداخلية، دعـك من الإعلام وغـيره لكن لا نصـنفها إرهابيـة لأنهـا تنظيم وطني يعمل داخل فلسطين لم يعملوا قط شيئًا ضـد أي نظـام آخر لا ضد النظام الأردني ولا غيره.

كـذلك انظـر إلى وضـع الإخـوان في العـراق من الحـزب الإسـلامي مشروعهم وطني لا يمانع يومًا من الالتقاء مـع العلمـانيين والوطنـيين والمرتـدين لأن تـاريخ الإخـوان كـذلك، هم يشـاركوهم في الأنظمـة الحاكمة بغير ما أنزل الله، يشاركون في برلماناتها كما يسـمونه، هـذا هـو جهـادهم الدسـتوري والقـانوني والوطـني، يـدعون إلى الوحـدة الوطنية، يــدعون إلى إصــلاح الأحــوال، مشــروعهم ليس مشــروعًا استئصاليًّا لهذه الأنظمة الكافرة، ليس مشـروع تغيـير وإنمـا مشـروع ترقيع وتجميل، فلذلك يُقبل به عندما يكون البديل كما يقال قاعـدة أو موحدين أو توحيد وجهاد أو سلفية جهادية يقبـل بهم ويلتقى معهم في منتصف الطريق.

فتجد هذا هو الوضـع الـذي كـان في أفغانسـتان؛ هـذه الأحـزاب، نحن ذهبنا في فترة عز هذه الأحزاب والله عز وجل منّ علينـا بأننـا عندما ذهبنا: رجل سبق له أن كتب كتابـاً مثل "ملـة إبـراهيم"، ويقـول كثـير ممن قـرأوه اليـوم من المنظّـرين والكتّـاب والمراقـبين والمحللين ، مثلما أن كتاب "معالم في الطريق" يمثل مثلاً للقطبيين أو قل للتيــار الحركي الإصلاحي الإخواني ، فكذلك فإن "ملة إبراهيم" يمثـل معـالم الطريق للتيار السلفي الجهادي، هكذا يقول بعض المحللين العلمانيين أو المراقبين فإنسان بلغ إلى مرحلة كتابة هذا الكتاب، ومعـالم الـولاء والبراء، والكفر بالطواغيت وأنصار الطواغيت بدأت تتضـح أو اتضـحت له؛ فليس من المنطقي أن يكون سـهلاً عليـه أن ينضـوي تحت أمثـال هذه الأحزاب الظاهرة الانحراف بالنسبة له، أضف إلى ذلك أنه عندما ذهبت إلى بِشــاور لم أحتج إلى النظــر والبحث بــل من ذهبت إليهم وخصوصاً هذين الرجلين اللذين أشرت إليهما وهما: الشيخ أبـو الوليـد الأنصاري والدكتور أحمد الجزائري؛ هذان الرجلان كانا قد خاضا غمــار التجربة الأفغانية، وشاركا في الجهاد الأفغاني مـدة، فكانـا متطـوعين؛ فالدكتور أحمد كان يعـالج ويجـري عمليـات جراحيـة داخـل الجبهـات، ويتبرع براتبه، وشارك في الجهاد الأفغاني، ورأى عن قرب انحرافــات هـذه الأحـزاب، وكـان هـو ومن حولـه من الشـباب يجمعـون كـل مـا

يجدونـه من وثـائق صـوتية مسـموعة، مكتوبة، مقـروءة، من جرائـد ونشـرات وصـحف ومجلات لهـذه الأحـزاب؛ يجمعونهـا ليـدللون على وجهة نظرهم، وخلاصة ما وصلوا إليه في النظرة تجاه هذه الأحزاب.

فأنا جئت إلى الساحة وعندي خلفية, خلفيتي وأساسي بفضل الله عز وجل هو التوحيد ومـا يتعلـق بـه من عـرى الـولاء والـبراء وهي عنـدي واضـحة، فجئت إلى هـؤلاء النـاس، أروني مـا بين أيـديهم من وثـائق مسـموعة ومقـروءة، فلم أحتج إلى كثـير عنـاء للحكم على السـاحة وعلى هذه التنظيمات بأنها لا تصـلح أن أقاتـل تحت رايتهـا هكـذا كـان الأمر بكل بساطة ويسر.

فالشاهد من هذا أنني لم أحتج إلى مـا احتاجـه كثـير من الشـباب من خوض التجربة مع هذه الأحزاب، فبعض إخواننا كالشيخ أبـو مصـعب - رحمه الله- وصديقه القديم أبو القسام خاضـوا هـذه التجربـة ودخلـوا وجاهدوا مع هذه الأحزاب بل غُرِّر بهم، فكان هذان الشخصـان يعملان حـراس شخصيين لهـذا المجـرم الآن والـذي أصـبح ذنبـاً للطـواغيت، ويتعلـق الأمـر ب "حمـدي مـراد"، كـانوا يحرسـونه، ويحرسـون بيته، ومغرَّر بهم، وكان هـذا الأمـر -ونحن في السـجن- نـداعب بـه إخواننا، ونعيرهم به على وجه المداعبة، والتنكيت والضـحك: فنقـول لهم: أنتم كنتم تحرسون هذا المجرم، بل هذا الرجل غرّر بأكثر من في السـاحة الأفغانية، وصــل إلى مرحلــة تثــق بــه جماعــة الجهــاد، والجماعــة الاسلامية، يعني وصـل إلى مرحلـة، لا نقـول تثـق ، لا أعلم هـل كـانوا يثقون أو لا- وصل إلى مرحلـة أن يسـعى بالصـلح بين جماعـة الجهـاد والجماعة الإسلامية، فجعل من نفسه مصلحًا بين هؤلاء، وقد كان كـل من يعرفه -وأنا لا أعرفه- قـديمًا يقـول: أنـه منـذ أن ذهب هنـاك وهـو على اتصال مع دائرة المخابرات، وهذا غير موّثق لديّ، ولكن الموثّــق لــديّ حالـه بعـد مـا رجـع فهـو الآن من أذنـاب الحكومة، ومن أذنـاب الطواغيت.

فالشاهد بفضل الله عز وجل، إذا الله عز وجل وفقك بأن تذهب وعندك هذا النضوج ووجدت من إخوانك من قد خاض غمار هذه التجربة فعلامَ تكرّر أنت خوضها؟!

أليس من العقل أن تبدأ من حيث وصلوا ما دمت تثق بهم، وما عندهم موافق لما عندك من الحق؟!

فأيُّ شيء أُعَيَّر به إن قلت أنني عندما ذهبت كان هذا حالي وكان هذا حال الأحزاب وبالتالي اخترت أن لا أقاتل تحت راية هذه الأحزاب؟!

وفي نفس الوقت أنا لم يصدر مني لا آنذاك ولا اليوم ولا بين ذلك اتهام لمن قاتل تحت تلك الرايات -بأنهم كما يدعي بعض المفترين- أنهم ماتوا ميتة جاهلية أو أنهم كما يقولون -معاذ الله أن أقول هذه الألفاظ- فُطساء وليسوا بشهداء، فهذه دعاوى يدعيها بعض المغرضين وبعض الحاقدين عليّ، يفترونها عليّ، وأنا أتحداهم أين ذكرت هذا، في أيّ كتاب ذكرته، بل في أيّ مقالة قلتها، أو في أيّ مكان قلت هذا الكلام؟!

فعلى كل حال؛ تلقَّفَ إخواني هناك كتاب "ملة إبراهيم"، وقام الدكتور أحمد الجزائري في تلك المرحلة بطباعة هذا الكتاب في باكستان، وكانت أول طبعة له رسمية تطبع في باكستان، طبع الكتاب وانتشر في بيشاور، وأنا كنت ذاهبًا لأول مرة هناك، وكان معي بعض الأجزاء من الدرر السنية، كنت لازلت متعلقاً بهذا الكتاب، صورت تحديدًا كتاب: "جزء الجهاد" و"جزء حكم المرتد"، هذين الجزئين المهمين، كان معي نسخة من كل مجلد، فتلقفه الشباب مني أيضًا مع كتاب "ملة إبراهيم" وأخذوا يصورون هذه الكتب ويتداولونها، وبدأت تنتشر دعوة التوحيد بين صفوف الشباب في بيشاور الذين تعرّفت عليهم، ومن فرد إلى فرد ينتقل تصويره هناك في بيشاور، التي كانت ساحة تداول للكتب التي تأتي بها الجماعات، فعندما تذهب إلى هناك تجد كتب جماعة الجهاد، وكتب الجماعة الإسلامية، وتجد حتى كتب جماعات الغلو، تجد مثلاً الكتب التي تتطرق لعدم الإعذار بالجهل

يتــداولها الشــباب، وكتب كثــيرة جدًا، طبعت حــتى قصــائد شــكري مصطفى صاحب ما يسمى بـ: "جماعة التكفـير والهجـرة" المصـطلح الـذي أطلقـه النظـام المصـري أو كمـا يسـمون أنفسـهم: "جماعـة المسـلمين", جميـع الكتب تجـدها في تلـك السـاحة, فلـذلك تلقـف الشباب كتـاب "ملـة إبـراهيم" والكتب الـتي جئت بها، فانتشـرت في بيشاور، وكنت أراها في أماكن كثيرة أزورها ، بل وجـدت كتـاب "ملـة إبـــراهيم" في داخـــل معســـكرات "جهـــاد وال" في خوســـت في معسكرات القاعدة عندما دخلت إليها كمسؤول شرعي.

طبعًـا؛ كـوني جئت وحـال الأحـزاب الأفغانيـة هكـذا، ووجـدت خلاصـة تجربة الشيخ أبي الوليد الأنصاري والدكتور أحمد الجزائري قد وصــلوا إلى هذه المرحلة، فهذا يعني أنني لم أقاتل تحت راية هـذه الأحـزاب، ولكن ذلك لا يمنع من أن أذهب وأسـتفيد وأتـدرب أو أدخـل الجبهـات وأنظر؛ فشـاب قطـع هـذه المسـافات لكي ينصـر الجهـاد الأفغـاني لا يعقل أن يحمل أواعيه وملابسـه وشـنطه ويرجـع مـرة أخـرى دون أن يخوض على الأقل تجربـة التـدريب العسـكري إن لم يكن عنـده أيضـًا فضول ويريد أن يدخل إلى الجبهـات, فلـذلك أصـررت على أن أدخـل إلى المعسكرات وأخوض تجربة التدريب، بل وأخوض تجربة الوصــول إلى الجبهات والنظر إلى الواقع بنفسي, فحاول الشباب الـذين جئتهم أن يثنوني عن هذا الأمر، وتحت حجة أنك مـا دمت على هـذا المعتقـد النقي فلن توفــق بين هــؤلاء النــاس؛ إمــا أنهم ســيطردونك أو أنــك سترجع بسـبب مخالفتـك لهم، ولكـني أصـررت على خـوض التجربـة, فذهبت بالفعل إلى بيت الأنصار -كما يفعـل الشـباب- وسـجلت هنـاك للـذهاب إلى "معسـكر صـدى"، وذهبت مـع الشـباب بالسـيارات إلى منطقة المعسكر التي كـانت في ذلـك الـوقت تحت مسـؤولية: "عبـد الله عزام"، وكان المسـؤول العسـكري أو المـدرب العسـكري وقتهـا شخص سوري اسمه: "أبو برهان", كان معسكر صدى آنذاك معسكرًا للتدريب العسكري للشباب الذين يأتون لكي يلتحقوا بالجهاد؛ فيتدرب فيه الشاب على الأسلحة الأولية والأسلحة المتـوفرة في الجبهـات ثم

بعد ذلك -إذا رغب- يذهب مع السيارات والقوافل الذاهبة والآتية إلى الجبهات، وكانت أقرب جبهة آنذاك إليه هي جبهة "جاجي"، وكانت فيها "المأسدة" وكان فيها أيضًا الشيخ أسامة آنذاك، وكان هناك قتال ومواجهات آنذاك بين المجاهدين وبين الروس, فعندما وصلت إلى "معسكر صدى" وكان الشباب من قبل قد أخبروني بأنك لن تتمكن من إنكار أي منكر ستراه خصوصًا ما يتعلق بمسائل التوحيد والشرك التي ربما تراها بين الأفغان فإذا حاولت أن تنكرها ستُصَد وربما تطرد من المعسكر, فوجدت مصداقًا لكلامهم: هناك لوحة داخل المسجد: يمنع الكلام في المسائل الخلافية، يمنع الكلام في مسائل العقيدة، يمنع الكلام ...، يمنع ...، يمنع ...، يمنع ...، يمنع ...؛ كلها شروط تصدّق ما أخبرني به الشباب.

ثم بعد ذلك -قدرًا- جاء توزيعي في خيمة وجدت فيها طلبة للشيخ: "بديع الدين السندي" -الذي ذكرناه سابقًا- كان في مكة، وكان ممن كان يدرس عندهم جماعة جهيمان وابنه أعدم في الحرم، هو الشخص الذي ذكرت أنه سُفِّر من السعودية لما ذكر بأن صورة الملك على الريال يجب أن تطمس، أيّد في ذلك جماعة جهيمان؛ لأنها معظمة، خالف فيها المشايخ ممن ينافقون الحكومة.

فكان هناك شباب من طلبة هذا الشيخ – وأكثرهم من الجزيرة - ولكن يأتون يدرسون عند هذا الشيخ, فوجدتهم قد ضاقت بهم الأرض بما رحبت بسبب منعهم من الحديث في هذه المسائل الحسّاسة، وأخذوا يبثون لي ما يعانون منه من الضيق والضنك ومن استهزاء الإخوان -لأنه يغلب على المعسكر التيار الإخواني- بالسلفيين، والاستهزاء بمن يحاول أن يطبق السنن أو يحاول أن يتكلم في مسائل التوحيد مع الأفغان، استهزائهم وقمعهم لهم، فأدركت أن الوضع هو كما وصفه لي إخواني.

بدأنا في التدريب مع هؤلاء الشباب في المعسكر، وتدربنا على "الكلاشنكوف"، ورمينا على "الآربي جي"، ورمينا على بعض الأسلحة

الثقيلة كـ"الجرينوف" الثقيل، وأيضًا الخفيف، طبعًا تدربنا قليلاً على المضاد للطيران.

على كل حال؛ خلال هذه الفترة جاء الشيخ "عبد الله عزام" إلى المعسكر، وكان يذهب ويأتي لا يبقى في المعسكر دائمًا، ولكنه يأتي أيامًا ويذهب أيامًا، ولا شك أنه كانت أصلاً تربيته عسكرية، ويحب المكوث في المعسكرات، وكنا دائمًا أثناء الطابور الصباحي الذي نركض فيه بين الجبال تجده من أنشط الناس رغم أنه ليس بشاب، فكنت تجده في مقدمة الصفوف يركض نشيط ويشجع الشباب.

ففي ليلة من الليالي؛ قام الشيخ بعد صلاة المغرب وبدأ يتكلم في درس في هذه المسائل الخلافية أو هذه المسائل الإشكالية التي يمنع الحديث فيها، فبدأ هو يتكلم بما يحبون والتعليمات تنص على أنه نحن وأمثالنا نمنع من أن نتكلم بما يقابل هذا الذي يطرحه الشيخ، المسألة لم يكن فيها عدالة من حيث أنه أنتم تتكلمون بما تشاءون وتنكرون على من يحمل عقيدة التوحيد ويريد تبلغيها والإنكار على الأفغان بعض الشركيات التي يراها وفي نفس الوقت يمنع هؤلاء الشباب من أن يردوا ويتكلموا ويناقشوا، وكان جمهور الحاضرين من الشباب من المؤيدين للشيخ بل فيهم أناس -حقيقة- من الذين إن استطعنا أن نقول: من المقلدين تقليدًا أعمى ومن المصفقين والمطبلين، وكانت طبيعة الشيخ كلما تكلم بكلمة أو في موضوع يقول: "مفهوم" - فهو متعود على طريقة التدريس- فتجد كثيرًا من الشباب يهزّون رؤوسهم يقولون: "مفهوم"، يصدرون صوتًا واحدًا يقولون: "مفهوم".

(مقاطع من محاضرة للشيخ عبد الله عزام -رحمه الله- في أفغانستان):

- *الشيخ: "وإذا كانت شيوعية لا يجوز نكاحها لأنها شيوعية، مفهوم؟ لا يجوز نكاحها فخوفًا على أعراض المسلمات لا نتخذ السبايا مفهوم؟*
- *المستمعون: نعم*

- *الشيخ: أما هو جائز لا تسبوا الأصنام حتى لا يسب الله مفهوم؟ وكذلك لا تتخذوا هؤلاء النساء سبايا حتى لا تنتهك أعراض المسلمات مفهوم؟".*

فكنت أنا أجلس وسط المسجد يعني في الصف الثاني أو الثالث، وفوجئت بالشيخ بدأ يتكلم في المسائل الإشكالية التي لا نملك السكوت عليها، ولا أذكر تحديدًا عند أي مقطع قاطعته ولكن أذكر أنه كان يتكلم في مسائل التقليد، وفي مسائل عدم الكلام في الشرك وإنكاره على الأفغان، وأنه ينبغي علينا أن نصبر عليهم سنة وسنتين وثلاثة حتى يحبونا، فإن أحبونا فسيتّبعون ما عندنا من توحيد، لا ينبغي لنا أن نتكلم في مسائل العقيدة التي تنفرهم وتشق صف الجهاد.

هذه المسائل الإشكالية التي كانت تطرح وهي المسائل التي حذرني منها الشباب قبل الذهاب إلى صدى، فقال بعض الكلام في مثل هذه المسائل، ثم قال: "مفهوم"، فقال الأغلبية: "مفهوم"، فقمت أنا من وسط المسجد وقلت له: "غير مفهوم".

وربما كانت هذه أول مرة يقول شخص للشيخ عبد الله عزام وهو الشخص الذي لم يكن-في ذلك الوقت- من تيار الإخوان المسلمين من يحبه الشباب لانطلاقه في ساحات الجهاد، فلم يسبقه ربما في الشام -بحدود علمي- في ذلك الوقت طبعًا إلا مروان حديد -رحمه الله- ربما جاء بعد ذلك عدنان عقلة وغيرهم.

الشاهد؛ أنه في تلك المرحلة لم يكن هناك شخصية بارزة محبوبة لدى الشباب تتعلق بها قلوبهم يقودونهم في ساحات الجهاد كمثل الشيخ عبد الله عزام وأنا كنت أحترمه لأجل هذا الأمر، ولكن ما كان يسعني السكوت على مثل هذا وأنا أرى بل كنت أمقت هذا التقليد الذي كنت أراه من هزِّ الرؤوس: مفهوم، مفهوم، مفهوم، مع هذا المنع الذي أراه، مع هذه الأوضاع، ولذلك بادرت مباشرة وقلت: "هذا الكلام غير مفهوم"، فساد صمت لهول المفاجأة؛ أنه شخص يقول للدكتور عبد الله عزام المحبوب المبجل المقدم المصدر الذي كل

الجالسـين أو أغلب الجالسـين يقولـون له: "مفهـوم"؛ يخـرج شـخص يقول: "غير مفهوم" هكذا بهذا التحدي وبهذه الجرأة وأمام الناس.

فساد صمت والشيخ عبد الله عـزام التفت إليّ هكـذا ونظـر لي، فأنـا خلال هذه الثواني المعدودة التي ساد فيهـا الصـمت أردتُ أن أسـتغل لأني عرفت أني لن أتمكن في وسط هذا الواقع، في وسط هذا الجــو المكهـرب والمتعصـب للشـيخ، عـرفت أني لن أتمكن من الحـديث إلا خلال هذه اللحظة التي بهت فيها القوم أو الـتزموا فيهـا السـكون من هـول المفاجـأة، فـانطلقت أعـبر عن خلاصـة مـا عنـدي: لمـاذا غـير مفهوم؛ غير مفهـوم كيـف نقرّ الشـرك بين أوسـاطنا؟ التوحيـد أعظم المصــالح لا يسـعنا الســكوت عن تبليغه، كيــف نقرّ وكيــف نرضــى ونسكت عن المشـركين في صـفوفنا؟ ونحن جئنـا لنحـارب الشـرك؟ كيف ينصرنا الله عز وجل وفي صفوفنا مشركين؟ لا ...

عبارات من هذا القبيل، ثم إن الشيخ كان قد ذكر الإجمــاع على بعض المسائل أظنها التقليد أو شيئاً من هـذا القبيـل، فقلت: ثم أنت تـدعي الإجماع في مسائل إشكالية في الأمة اختلفت فيها الأمة، من أين لـك هذا؟ عبارات من هذا القبيل كانت عبارة خلف عبارة خلف عبارة، وأنا أحاذر الآن إسكاتي وبالفعل لم أكمل هذه العبارات حتى قامت ضــجة في المسجد، وقام المسجد كله على ساق واحدة، وبعضهم يقول هذا عميل، هذا عميل روسي جاء يخرب الجهاد، وبعضهم يصــيح، وصــارت ضـجة كبـيرة في المسـجد، وجـاء أبــو برهـان -هـو أمـير المعسـكر العسكري- وأخذ هذا الميكروفون اليدوي الذي على البطاريات يقول: اجمع، اجمع، اجمع.

وفض الجمــع كله، وأخــرج النــاس من المســجد -كــان الــدرس في المسجد- وأخرج الناس كلهم من المسجد، ووقفنـا طوابـيرًا بالخـارج، وقطع الحديث عليّ وعلى الشيخ عبد الله عزام أيضًا، وبعد الجمـع لم يكلمـوني، ولم يراجعـوني في الأمر، لا أدري مــا السـبب؛ ربمـا كـان السبب أن هناك ضيوفًا قد جاءوا لم نكن نعلم بهم نحن.

فذهبنا إلى الخيام، هذا كـان بين المغـرب والعشـاء، فجلسـنا، جلست في خيمتي مع الشـباب هـؤلاء طلبـة الشـيخ "بـديع الـدين السـندي"، وطبعًا هم فرحوا بهذا الموقف، لأنـه كـان لـديهم كبت وضغط وسـط هذا الكم الهائل من شباب الإخوان أو من المتعصبين للشيخ عبد اللـه عزام -رحمـه الله- فلـذلك حصـلوا على شـيء من التنفيس وإن كـان ليس الشيء الذي يأملونه، لأنـه لم تسـنح لنـا فرصـة كمـا تسـنح لهم عـادة فسـمعنا في هـذه الأثنـاء بين المغـرب والعشـاء أن شـيخًا من مشايخ السلفية قـد جيء بـه من السـعودية لـيزور معسـكر صـدى ثم يذهب به إلى جبهة المأسدة؛ وكان هذا التقليد أو هـذا الأمـر يقـوم بـه بعض الشـباب من الجزيـرة تشـجيعًا لمشـايخهم، يشـجعون المشـايخ السلفيين في الجزيرة على الـدخول إلى سـاحات التـدريب وسـاحات القتـال ولـو مـرورًا ولـو يـوم أو يـومين حـتى يشـجعوا الشـباب على الـذهاب إلى الجهـاد الأفغـاني، فيقولـون : هـؤلاء علماؤنـا يأتونـا إلى الجهـاد، وأيضـًا كـان ذلـك تحت سـمع وبصر الحكومة، فـأنت تعـرف الجهاد الأفغاني كان فيه كمـا يقـال تقـاطع مصـالح؛ كـان الجهـاد ضـد الروس وكانت السعودية ولا زالت من أولياء الأمريكان، فكـان عنـدها ضـوء أخضـر لتشـجيع الشـباب للـذهاب إلى أفغانسـتان وهـذا الضـوء الأخضـر الـذي أخذتـه من أمريكـا أعطتـه للمشـايخ والعلمـاء ولكافـة الشباب، فكانت ترخص وتعطي تـذاكر مخفضـة لمن يـذهب، وتسـهل أمر الفيزا، وتفتح مكاتب الإغاثة، وغير ذلك، فكـانت السـعودية مـأوى والباكستان بثقلهما يدعمان الجهاد الأفغاني، وما ذلـك إلا لأنـه مـا دام ليس ضد أولياء نعمتهم بل هو ضد أعـداء أوليـائهم فـالأمر مصـرح به, أما الآن فالجهاد القائم اليوم رغم أن أصوله واحدة بل قياداتـه هم هم نفس القيـادات السـابقة، ولكنـه لمـا توجـه إلى أوليـاء نعمـة هـؤلاء الطواغيت الأمريكان، بدأت الفتاوى الباطلة والزائفة تخرج من أذنـاب الطواغيت ببطلان هذا الجهاد، وأنه مخالف لولاة الأمور، وأنـه لا يجـوز الجهاد بغير إذن الإمام، وغير ذلك من الفتاوى السـخيفة الـتي يصدّون فيها عن الجهاد.

8- مرحلة أفغانستان (2): اللقاء مع ربيع المدخلي في أفغانستان وحادثة اغتيال الشيخ عبد الله عزام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وربيع بن هادي المدخلي معروف، شخصية الآن ربما اشتهرت، وعرفت بجدالها عن الطواغيت، خصوصًا طواغيت الجزيرة، طواغيت السعودية، بل هو يجادل عن طواغيت الحكم في سائر بلاد المسلمين، وهمه وشغله الشاغل اليوم الطعن في كل من يطعن في هؤلاء الطواغيت من الأحياء والأموات، فتجد له كتبًا مخصصة في الطعن في سيد قطب، وكتبًا مخصصة في الطعن في كل من قاتل وجاهد، بل واكتفى فقط بتكفير هؤلاء الطواغيت.

ولكنه آنذاك عندما جاء إلى هذا المعسكر وكنت أنا -كما أشرت من قبل- قد التقيتُ به من قبل في المدينة في بيته لم يكن قد ظهر أو اُشتهر بهذا التوجه الذي هو الجدال عن الطواغيت، كان شأنه شأن سائر مشايخ الجزيرة معروف موقفهم من الدولة السعودية؛ موالاة هذه الدولة، عدم تكفيرها، اعتبارهم ولاة أمور، ولكن لم يكن متخصصًا، متفرغًا للجدال عن الطواغيت، والهجوم على كل من يكفرهم ويعاديهم، وأنا عندما قابلته في المدينة كانت مقابلة واحدة،

زيــارة واحــدة مع جمع كبــير من الشــباب في بيتــه، فربما لم يكن يذكرني لو ذكّرته، لم تكن لي علاقة خاصة به، ولذلك فعندما جاء هـذا الشيخ إلى المعسكر في وسط هذه الخلافات كان مجيئه بالنســبة لي ولهؤلاء الشباب الذين يعـانون من هـذا الضـيق وسط هـذا المعسـكر، ومن هذا الكبت، كان بالنسبة لنا نوع من الفرج كـون هـؤلاء المشـايخ الســلفيين إن لم ينصــرونا في أبــواب التوحيد والشــرك الــتي هي تخصصــهم؛ شــرك القبــور والتمــائم والتولة والاســتغاثة بــالأموات والأقطــاب ونحوهــا، إن لم ينصــرونا في هــذا البــاب فبــأي شــيء سينصرون؟!

فلذلك استبشرنا خيرًا بأن هذا الرجل سيعزّز ما نحـاول نحن إظهـاره، ولكننا فوجئنا عندما أذّن العشـاء بـأن الإخـوان كـانوا قد ضـحكوا على هـذا الشـيخ، وغــرروا بــه، وأفهمــوه بـأن الخلاف بين أكـثر الشـباب السلفيين الذين يأتون ويشـاركون في هـذا المعسـكر وبين ما يطرحه الإخوان المسـيطرون على هـذا المعسـكر لم يكن خلافًا في الأصـول وإنما هو خلاف في الفروع، صوّروا له أن الخلاف على تحريك الإصبع، وعلى وضع اليدين على الصدر، وعلى قول "آمين" الـتي يخـالف فيها الأفغان، وأن هؤلاء الشباب يريـدون أن يشـقّوا صف الجهـاد الأفغـاني لأجل هذه السنن، وهذا أمر لا يقول به عاقل؛ أنه أنا أهدم ذروة سنام الإسـلام لأجل فـروع من الـدين بإمكـاني أن أؤجلها أو أن أتنـازل عنها مرحليًا لأجل مصـلحة أعظم، هـذا لا يقـول به أحـد، ولم نقل به نحن أصلاً، وإن كنا نحن نطبق هذه السـنن بين أنفسـنا، ولكن لم نكن نثـير معــارك حولهــا، ومن لا يفعلها من الأفغــان لم نكن نكلمه إذا هو لم يكلمنا ويسـألنا عنهـا، لم نكن نحن نفتح معه هـذه الأمـور، وإنما كـان الأمر الخطـير أن نسـكت عن الشــرك، أن نــرى التمــائم بأيــدي من ينتســبون إلى المجاهــدين، أو نــرى مثلاً الأعلام المعلقة على القبــور واستغاثة القبور، أو نرى مثلاً إنساناً يزعم أن الله نجاه من هذا اللغم لأجل أنه علق هــذه التميمة على رجلــه، وغــير ذلك من معــاني هــذه الأمور التي لم يكن يسعنا ولم يكن يسعُ أي إنســان ينتمى إلى المنهج

السلفي ومنهج التوحيد أن يسكت عنهـا، فلـذلك ولأجل أنه غـرّر بهـذا الرجل، قام بعد صلاة العشاء وألقى كلمة ودرسًـا، وبـدأ يؤصّـل لهـذه المعـاني الـتي أفهمـوه أن الخصـومة حولها تأصـيلات لم تكن تخفى علينا، مسألة الأحـاديث والأدلة الـتي جـاء بها وذكرها على أنه: "تـدفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما، وتفوّت أدنى المصـلحتين لتحصـيل أعظمهما"، هذه القاعدة الـتي يركز عليها شـيخ الإسـلام ابن تيمية ولا شك أنها من أعظم قواعد الفقــه، أخذ يركز عليها ويــذكر الأدلة على تأصيلها؛ فكان يورد مثلاً؛ ذكر حديث عدم هـدم النـبي صـلى الله عليه وسلم الكعبة كما في حديث عائشة؛ أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم ذكر أنه: لـولا أن قومها حـديثي عهد بجاهلية لهـدم الكعبة ولبناها على قواعد إبراهيم، وذلك أن قريشًـا قصـرت بهم النفقة فبنوها على أقـلّ من القواعد التي بناها عليها إبراهيم، وأنه صلى الله عليه وسـلم جعل لها بــابين، بــاب يــدخل منه النــاس وبــاب يخرجــون إلى .. الحــديث المعـروف، واسـتدل بـذلك بـأن النـبي صـلى الله عليه وسـلم تـرك مصلحة شرعية وهي بناء البيت على قواعد إبراهيم لأجل درء مفسدة أعظم، وهي أن يرتد الناس عن الدين فيقولـوا محمد صـلى الله عليه وسلم يهدم الكعبة، حيث كانوا حديثي عهد بالإسلام.

ثم ذكر حــديث أن النــبي صــلى الله عليه وســلم لم يكن يقتل بعض المنافقين الذين يظهرون بعض الأشـياء والهنّـات، وقـول النـبي صـلى الله عليه وسلم دعهم لا يتحدث الناس: محمد يقتل أصحابه، وذكر أن في هـذا دلالة على أنه قد تـترك وتحتمل المفسـدة الـدنيا في سـبيل دفع مفسدة أعظم، وكان كلما ذكر دليلاً من هذه الأدلة الطائفة الـتي كانت دائمًا تؤمّن، وتقول: "مفهوم، مفهـوم" للشـيخ عبد الله عـزام -رحمه الله- كانوا كلما ذكر دليلاً يقولون: "الله أكبر ولله الحمد" هكـذا بصوت مسموع، نوع من الإغاظة للآخرين بأن هـذا الشـيخ انتصر لنـا، وقد أتى بأدلة جديدة تعزّز مقالاتنا، ثم بدأ الشـيخ بعد ذلك يُـنزِل هـذه الأدلة على الواقـع، فيقـول ويمثل بما أوهمـوه بـه، فيقـول: فنحن لا ينبغي أن نفتح معارك بين الأفغان على مسألة تحريك الإصـبع أو على

قول "آمين" لأن الأحناف لا يجهـرون بــ"آمين"، أو على وضع اليـدين على الصــدر، أو نحو ذلك من الأشــياء، لا ينبغي أن نفتح معــارك مع الأفغان لأجل هذه المسائل الفرعية، وإذا كان إظهارنا لهـذه المسـائل الفرعية سيؤدي إلى شقّ صف المجاهـدين وإلى تقـويض هـذا الجهـاد فنتنــازل عنهــا، وليس من الفقه أن نصــرّ عليها ونضر بــذلك مصــلحة الجهاد.

عندما وصل الشيخ إلى هـذه النتيجة لم يسـعني السـكوت كما أنه لم يسعني السكوت في درس عبد الله عزام، فمباشــرة انطلقت، وقلت له: "يا شيخ لقد ضـحكوا عليـك، هؤلاء يضـحكون عليـك، نحن الخلاف بيننا وبينهم ليس في تحريك الإصــــبع، وليس في الجهر بــــــ"آمين"، وليس في وضع اليــدين على الصـــدر، وإنما الخلاف بيننا وبينهم على التوحيد، وعلى العقيدة، هل هـذه الأدلة يا شـيخ تـدل على أنه نتنـازل عن التوحيــد، وعن الكلام في الشــرك، وعلى إنكــار الشــرك، وعلى إنكار شرك القبور لأجل دعوى مصلحة الجهاد؟ أيّ جهاد هذا الذي نقرّ في صفوفه المشركين، وكيف ينصــرنا الله وفي صــفوفنا مشــركين"، ونحو ذلك من العبارات التي استطعت أن أقولها ســريعًا فأفهمته أنهم قد ضحكوا عليك ليس هـذا هو الخلاف، خلافنا ليس بهـذه الفرعيـات، خلافنا في الأصول.

فالشيخ طبعًا تفاجأ، وانتبه لكلماتي السريعة الـتي قلتهـا، ولا شك أن هذه المقاطعة بهذه الصراحة وبهذه الجرأة أنا كنت ذلك الـوقت شـابًا متحمسًا، لا يهمني فقد خالفت "جماعة محمد سرور" وخرجت منهـا، وخالفت "جماعة جهيمان" بأشياء وخرجت منهــا، وكنت كما هو تقـييم جماعة محمد ســرور لي "إنســانًا فوضــويًا" يعــني أخــالفهم وأصــرح بمخـــالفتهم ونحو ذلـــك، فلـــذلك ليس غريبًا أن أقـــوم من بين جميع الموجـودين وأواجه هـذا الشـيخ بمثل هـذه العبـارات الجريئة في ذلك الوقت.

فتفاجأ الشيخ المـدخلي بهـذا الأمـر، وكأنما انتبه أنه قد ضُـحِك عليـه، ولكن أعيدت الكرة مرة أخرى بأن حصلت الضجة مــرة ثانية على إثر مقاطعتي للشيخ؛ واسكت، واسكت، وأنت جئت تخرب، تفسد الجهاد، وهذا عميل بعثه الـروس ليفسد الجهـاد، ونحو ذلك من عبـارات تـأتي من زوايا المسـجد، والجميع توقــف، وأصـبحت ضـجة في المسـجد، اضـطر أبو برهـان مـرة أخـرى لأن يعلن بـالميكرفون قطع الـدرس، واجمع في الخارج، وجمع الصفوف مرة أخرى.

ذهبنا إلى الخيــام، وهنــاك اجتمعت مع الإخــوة الــذين معي بالخيمــة، وكتبنا رسالة طويلة إلى الشيخ ربيع بأن الخصومة مع هؤلاء القــوم ما تـــراه مكتوبًا على اللوحة على جــانب المســجد من منع الكلام في مسائل الاعتقاد والتوحيـد، من عـدم السـماح لنا بـالكلام في الشـرك المنتشر بين الأفغان، هذه هي الخصـومة وهـذا هو الخلاف، بيّنا له أن الخلاف لم يكن في المســائل الفرعية الــتي ادعوها وأفهمــوه إياهــا، فنحن ليس من العقل أن نشقّ صف الجهـاد لأجل هـذه السـنن الـتي ذكروهـا، بعثنا له بهـذه الرسـالة، فيبـدو أن الشـيخ تنبّه أنه قد ضُـحِك عليه كما يضـحك عليه طــواغيت الحكم في بلاده، تمكّن الإخــوان هنا من الضحك عليه، فأفاق، وهـذه مسـألة لا يفـرّط بها هـؤلاء المشـايخ لأنها هي أصل الدين عندهم، شرك القبور، إن لم ينكروا شرك القبور، وشرك الأمـوات فـأيّ شي ينكـروه وقد أمـاتوا إنكـار شـرك القصـور، وشرك الدثور، وشرك الدستور؟!

فلذلك وجد نفسه قد فـرّط تفريطًا عظيمًـا، لأن هـذا هو البـاب الـذي أصلًا يحسنه، وهـذا البـاب هو الـذي يتكلم به هـؤلاء القـوم، ويبـدو أنه حــاول اسـتدراك ذلك فقــام بعد صــلاة الفجــر، وحــاول أن يصـلح ما أفســده في الليلة الســابقة؛ فأخذ يتكلم على أهمية التوحيــد، وأهمية العقيدة، وخطورة الشـرك، وأن جهـاد العقيـدة وجهـاد التوحيد وإقامة هــذا التوحيد هو أعظم الأمــور وأهم المصــالح وبه بُعث الرسل كافــة، وأنه هو الأمر المهم، وذكر مقارنة أن مسألة الجهـاد والقتـال من غـير عقيـدة هـذه مسـألة سـهلة، يسـتطيعها كل النـاس، وكل الاتجاهـات

تستطيع أن تدرّب الشباب بسهولة على مسألة إطلاق النار، أما أن تبني به العقيدة، وأن تؤسّسه على التوحيد، وأن تجنبه الشرك والتنديد هذه مسألة مهمة، وهي مسألة خطيرة، وهي التي بعث بها الرسل، فكان يذكر هذا، ويذكر بعض الأدلة عليه.

فكان القوم وجومًا، وكنت أنا وحدي كلما جاء بدليل ينصر التوحيد عليه أقول: "الله أكبر ولله الحمد" وحدي، يعني أُسمع من حولي فقط كما كانوا يفعلون.

فعلى كل حال في الصباح وبعد الفطور بعث إليّ الشيخ ربيع بن هادي المدخلي شابًا ممن جاءوا معه يقول: "لا ننصحك بالبقاء في المعسكر، ننصحك بالذهاب معنا إلى "جاجي"، وهو الموقع الذي فيه المأسدة.

فيبدو أنهم توقعوا أني مع هذا الوضع أنا لا أسكت، ولن أُقرّ هذه الأخطاء الموجودة، وسأبقى أناكفهم وأواجههم فيما أعتقده، يبدو أنه توقع أني ربما أطرد أو غيره، فنصحني بأن أرافقهم، وبالفعل رافقتهم إلى جبهة "جاجي"، وبت معهم في العرين ثم افترقنا، لم أجلس كثيرًا مع الشيخ المدخلي، كان هذا هو اللقاء الثاني الذي التقيت بهذا الشيخ، طبعًا هذا الشيخ عندما كتب بعد ذلك كتابه: "منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل" هذا الكتاب الذي رد فيه على كتاب محمد سرور الذي سماه: "منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله"، طبعًا ربيع بن هادي المدخلي يركز على حكمته وعقله المعيشي في ذلك الكتاب، ويبيّن ويركز ويكرر ويدور ويلف على أن إبراهيم وسائر الأنبياء لم يثوروا على أقوامهم ولم يؤلّفوا تنظيمات مسلحة كما تفعل الآن الجماعات الإسلامية ونحو ذلك من المسائل التي تهم ولاة أموره وتؤرّقه وتؤرّقهم، فلذلك شدّد النكير على من يركزون على الحاكمية، وادعى أن مصطلح الحاكمية هذا مشابه لمصطلح "الإمامة" عند الرافضة، وهذا نقله وقلده وسرقه منه الحلبي في كتابه: "التحذير من فتنة التكفير"، وكنت قد رددت على الرجلين في "تبصير العقلاء"

على الحلبي، وفي "ميزان الاعتدال" الـذي قيّمت فيه كتـاب "المـورد الزلال" للشيخ الـدويش، ففي هـامش من الهـوامش ذكـرت وأشـرت إلى فعلة المدخلي هذه، فلذلك في إحدى مقـدمات كتابه عنـدما أُعيد طباعته أشار إليّ، وتكلم عليّ في هذا البـاب؛ أشـار إلى هـذا التعليق الذي علقته آنـذاك، ولا أظنه عنـدما كتب هـذا كـان يعرفـني، ولا أظنه كـان يتـذكر أنّ هـذا الـذي ردّ عليه -وهو يـردّ عليه الآن- هو الشـخص الذي زاره مرة في بيته في المدينة، وهو الشخص الـذي قـام من بين الحضور في معسكر صدى وأنكر عليه انحيازه إلى صف الإخوان وإلى مقالات الإخوان آنذاك، وإنكــاره عليه ذلك الموقف وتنبيهه إلى أنه قد ضُحِك عليه، لا أظنه كان يذكر هـذا، لا أظنـه؛ لأن هـذه كـانت زيـارات ولقاءات متباعدة. هذا تقريبًا ما أذكره من معرفتي بهذا الرجل.

طبعًا أنا لـمّا انصرفت من معسكر صدى لم أرَ الشـيخ عبد الله عـزام بعد ذلك ولم ألتقِه، وكان الشيخ عبد الله عزام انطبعت في ذهنه هذه الحادثة، ربما سأل عني، ربما قيل له ذلك، فـأذكر أنا ربما سـأل عـني أو عُرِّفت له وذُكرت له، المهم أنني لم ألتقِ به، ولم يعرفني في غــير هذه المواجهة، لكن كان هناك الشيخ "أبو مصـعب" واسـمه الحقيقي: "رياض الحقيل"، كان آنذاك إمامًا، كان آنذاك مسؤول "بيت الأنصار"، أو أمير "بيت الأنصـار" الـذي ينطلق منه الشـباب عنـدما يـذهبون إلى المعسـكرات وإلى الجبهـات، وهي المضـافة الـتي تسـتقبل الشـباب القادمين من شتى البقـاع، كـان هو مسـؤول هـذا الـبيت، وكنت على علاقة صداقة تعرفت عليه، وهـذا سـأرجع إليه فيما بعـد، لكن أنا أذكر مما يتعلق بالشيخ عبد الله عزام من هذه العلاقة وهو أن هذا الشــيخ، هذا الشاب كان يحب الشيخ عبد الله عزام، وكان يـزوره ويـزور أهله ويــزور أولاده، فــذات يــوم -وكــان ذلك قبل مقتل عبد الله عـــزام بأسبوعين يمكن- قال لي:

- يا شيخ؛ كنا جالسـين في جلسـة، وكـان الشـيخ عبد الله عـزام موجودًا، وذكـروا جماعة التكفـير في بيشـاور، فقـال الشـيخ عبد الله:

بأنه جاءنا واحد منهم، يقولون هـذا شـيخهم، جاءنا على صـدى، وعمل لنا مشكلة هناك.

- فقلت له: من تقصد يا شيخ؟

- فقال: هذا الذي يقولون له: "أبو محمد المقدسي".

- فقلت له: لا، يا شـيخ؛ هـذا طـالب علم، وأنا أعـرف له كتب ومؤلفات، وهو صـديقي، وليس تكفيريًـا، ودافعت عنـك، وأفهمته بأنك لست تكفيريًا ونحو ذلك.

ذكر لي هـذه الحادثة الشـيخ أبو مصـعب، ثم بعد أسـبوعين تقريبًا وأنا في بيشاور وهذا في زيارة أخرى من أواخر الزيـارات الـتي زرت فيها باكسـتان وأفغانسـتان حصـلت حادثة اغتيـال عبد الله عـزام وولديه وكنت وقتها قائمًا لأخطب الجمعة في مجموعة من الشباب، فجـاءني الخبر وأنا مازلت أستفتح الخطبة، فبعد ذلك؛ بعد أن جاءني خبر مقتل عبد الله عزام ذهبت وزرت أبو مصعب، ذهبت وزرت "رياض الحقيل" في بيت الأنصـار فوجدته حزينًا ومتـأثرًا بمقتل الشـيخ، فلما رآني زاد همه وزاد حزنه.

- فقلت: مالك؟

- قال: والله يا شيخ؛ لـمّا رأيتك تذكرت أني نقلت لك قبل فـترة قصيرة ما قاله الشيخ عنـك، وتمـنيت لو أني لم أنقل لك هـذا حـتى لا تجد في نفسك على الشيخ، الشيخ الآن أفضى إلى ما قدّم.

- فقلت: يا شيخ؛ أنا ما أجد في نفسي لأجل هذا الـذي نقلته عن الشيخ، لا أجد في نفسي عليه، ونسأل الله أن يتقبله في الشهداء.

وحاولت أطيّب خاطره، وأرفع من معنوياته، وأحسّن الكلام إليه.

هذا كـان بعد مقتل عبد الله عـزام، وأنا طبعًا عنـدما ذهبت إلى هنـاك كانت مجموعة من الشباب في بيشاور يكفّرون عبد الله عزام، كـانت هناك مجموعة تكفّره، كما كانت هناك مجموعة تكفّر قـادة الأحـزاب؛

وذلك بسبب المناكفات الـتي تجـري بين الشـيخ وبين الشـباب الـذين يحملون المنهج السلفي؛ مثل هذه المناكفات التي جرت بيـني وبينـه، وبعض العبـارات الـتي تسـجل لـه؛ مثلًا كـان يفهم من بعض عباراته عندما ينكر على الشـباب يقـول: "يـأتي أحـدهم يقـول مثل الشـيطان الــرجيم يقــول: آمين في الصــلاة"، فيمســكوا عليه مثله هــذه بعض الشباب بحيث يعتبرونها اسـتهزاء بسـنة النـبي صـلى الله عليه وسـلم بالجهر بـ"آمين"، وربما قال بطريقة الاسـتهزاء: "الأفغـان لا يحسـنون تحريك الأصبع على غـير الزنـاد"، وغـير ذلك من العبـارات الـتي كـان الشــباب يتلقفونهــا، كــذلك علاقاته مع القــادة الأفغــان الــذين كــان انحرافهم ظاهرًا آنذاك، بل علاقاته ووصيته بأحمد شاه مسـعود الـذي كـان قد اُفتُضِـح أمـره آنـذاك، كل ذلك كـان من دواعي تكفـير بعض الشباب له، وأنا لم أشارك بهـذا التكفـير، لم أشـارك بتكفـير عبد الله عـزام، وكنت أحـاول أن أنـاقش بعض هـؤلاء الشـباب وأُبيّن لهم، كما أني تحريّت عن بعض المقالات، ووصلني أن الشيخ قـال: أنا لم أقصد الاستهزاء بـ"آمين" وبعض العبارات التي أخذوها عليه.

فقلت لهم: ما دام قال هذا فليس لكم حجة، والتكفير لا يكون بالأمور المحتملة ونحو ذلك، كنت أحاول أكلم البعض، فهذا هو فقط ما جــرى بيني وبين عبد الله عزام.

وبعض السـفهاء ربما سـمعوا بهـذه القصة مشـوهة أو سـمعوا بجـزء منهـا، ولكن من حرصـهم على الطعن بي لم يتثبتـوا منها ولم يتأكـدوا مما وصلهم مشوهًا؛ فمثلًا "أبو قدامة" ذكر في أحد كتبه التي يسميها "تأريخًا" ذكر هـذه القصة مشـوهةً، ونقلها من معسـكرات صـدى إلى الكـويت، نقلها من باكسـتان وأفغانسـتان إلى الكـويت لأنه لا يريد أن يقول بأنني أنا ذهبت إلى المعسكرات، وأنـني دخلت إلى الجبهـات؛ لا يريد أن يقــول هــذا، فلــذلك إما أنه تعمّد نقلها إلى الكــويت، أو أنها وصــلت إليه كــذلك مشــوّهة، فــادّعى أنــني نــاظرت عبد الله عــزام وطعنت في الجهــاد الأفغــاني و..و.. وغـــير ذلك مما هو مـــذكور في كتابه، وأن ذلك كان في الكويت عندما كنت أنا جالسًا في الدعة وفي

الراحــة، وهــذا الرجل الــذي هو عبد الله عــزام قد جــاء من ســاحات الــوغى وســاحات الجهــاد، وأنا جلست أنكر عليه دون معرفة في واقع الجهــاد الأفغــاني، ودون ذهــاب إلى تلك الســاحات، صــوّر القصة علي هكذا ، جعلها في الكــويت، مع أني أنا لم ألتــقِ بعبد الله عــزام عنــدما جاء إلى الكويت، جاء إلى الكويت وكنت أيضاً هناك عندما جــاء، ولكن لم ألتقِ به

في تلك المرحلة -عندما كنت أذهب وآتي إلى أفغانســتان- وجــدت أن الشيخ أبو الوليد الأنصاري والــدكتور أحمد الجزائــري ومعهم مجموعة من الشباب بعد أن يئسوا من الأحزاب الأفغانية آنذاك...

حتى أن هناك رسالة للشيخ أبي الوليد الأنصــاري قد كتبها موجهة إلى بعض الشباب المجاهدين تحت راية حكمتيار كتبها يحــذرهم من البقــاء تحت راية هــذه الأحــزاب، وينكر عليهم الجهــاد تحت هــذه القيــادات المنحرفــة، حــتى أنــني أحتفظ بهــذه الرســالة، مــازلت أحتفظ بها إلى اليوم، أظنها بخط الشيخ أبي الوليد نفسه.

فلذلك كان الشيخ أبو الوليد والدكتور أحمد الجزائري آنذاك قد يئســوا من هذه الأحــزاب واتجهــوا وجهة أخــرى في نصــرة الجهــاد الأفغــاني، فتعرفوا على منطقة تدعى "نورســتان" منطقة بين الجبــال، قــال لي الشباب آنــذاك: أن هــؤلاء النــاس في "نورســتان" يقيمــون الشــريعة، ويقيمــون حــدود الشــريعة بين شــعبهم، وأنهم ســلفيّو المعتقــد، ليس عنـــدهم ما عند الأفغـــان من الشـــركيات والقبـــور، وكـــان الشـــباب متحمســين لهــذه المنطقــة، فــاتفقوا معنا على أن نرجع إلى الكــويت والخليج ونجمع تبرعات لهذه المنطقة تحديدًا ليدعموا أهلها، وليــذهبوا ويقيموا معسكرات هناك، ويفتحوا مستشــفيات، ويحــاولون إقامة راية جهادية تحت أو في ذلك المكــان الــذي كــان أهله موحــدين، وبالفعل عنــدما رجعنا إلى الكــويت بــدأنا نجمع لهم الأمــوال والمســاعدات في هذا الاتجاه، هذا كان توجّه الشباب آنذاك إلى حين أن وجــدوا الأبــواب موصــدة أمــامهم من أهل هــذه المنطقــة، لا أدري ما التــداعيات الــتي

جرت، وما هي الأمور التي حصلت، ولكنني بعد مدة طويلة جاءتني رسالة من الدكتور أحمد الجزائري يتكلم على "نورستان"؛ وبأنهم لم يجدوا، ولم تفتح لهم الأبواب، ولم تتيسر لهم الأمور في تحقيق طموحاتهم وآمالهم، حتى أنني أذكر أنه استشهد ببيت شعر، حيث قال لي: وأما نورستان التي تسألني عنها -كنت قد سألته عنها في رسالة- فلا أقول إلا كما قال الشاعر:

وممّا يزهِّدُني في أرض أندلس *** ألقاب مملكة في غير موضعها

ألقاب معتمد فيها ومعتضد ** كالهر يحكي انتفاخًا صولة الأسد

يريد أن يقول أنهم يدّعون السلفيّة، ويدّعون أنهم يريدون إقامة الدين وتحكيم الشريعة ولكنهم قد خذلونا، هذا ملخص ما أرسله إليّ.

على كل حال كنت بسبب التنشئة والوجهة السلفية؛ كنت أحرص على مثل هذا وأتحمس له، حتى أنني جربت في تلك المرحلة أن أذهب إلى الوجهة السلفيّة الواضحة في الجهاد الأفغاني، فذهبت إلى مضافة "جميل الرحمن" ولكنني صدمت بما هو أسوء من المعسكرات التي يسيطر عليها الإخوان المسلمون ونحوهم؛ فهؤلاء الذين هم جماعة "جميل الرحمن" كانوا يُسبّحون بحمد "فهد بن عبد العزيز" والسعودية لأجل أن هؤلاء ولاة الأمور، وهم الذين يمثلون الدعوة السلفيّة ودعوة التوحيد والعقيدة السمحة وغير ذلك من الترهات التي ينشرها علماء السوء في الجزيرة، وكانت الأمور عندهم كما شهدت بنفسي؛ كانوا يأتمرون وينتهون بما يمليه عليهم النظام السعودي آنذاك، لكنني كنت حريصًا على أن أخوض التجارب بنفسي.

هؤلاء الذين يدّعون أنني ذهبت إلى بيشاور، وجلست في بيشاور كذابون؛ ذهبت إلى أماكن عديدة في أفغانستان، ثم إنني من خلال وفي خضم هذه التجارب تعرفت على الشخص الذي أشرت إليه سابقًا وهو أبو مصعب "رياض الحقيل" فعرض عليّ أن أستلم كمسؤول شرعيّ في معسكرات القاعدة التي كانت آنذاك في بدايتها في منطقة "خوست" في منطقة يقال لها "جهاد وال" كان هناك

معسكرًا خاصًا بالقاعدة، وكان في أوائل دورات القاعدة، حتى أنه كانت آنذاك تقام دورة خاصة للقاعدة، فأذكر أنهم كانوا بزيٍّ موحّد أفغاني مموّه كما اللباس الذي يلبسه هؤلاء في الصاعقة في الجيش، كان أفغانيًا ومموّهًا، ويلبسون خوذًا عسكرية، هذه كانت أول دورة أشاهدها، وكان موجودًا في الدورة هذه مدرِّبون من المدربين القدامى، وكان فيها أيضًا الأخ العزيز أبو مصعب السوري -فك الله أسره- كان من المدربين والمشاركين في هذه الدورة، فعرض عليّ "رياض الحقيل" أن أكون مسؤولاً شرعيًا مشاركًا في هذه الدورة، فوافقت ولكنني عرفت أن الأمر سيحتاج إلى شهور مكوث في الداخل، فلذلك قلت له: أنا لا أستطيع أن أمكث مدة طويلة بعيدًا عن أهلي لأن زوجتي مريضة، ولكنني إذا أتيت بهم هنا فربما يكون الأمر أسهل فأستطيع أن أمكث مددًا داخل أفغانستان، وآتي أطمئن عليهم، ويكونون قريبين فيكون الأمر أسهل عليّ.

وبالفعل من حرصه على ذلك، لأنه كان قد أخذ انطباعًا مني من مجالستي له وتعرفي عليه، وتعرف إلى بعض ما أكتب، كان قد أخذ عني انطباعًا أني طالب علم ومنهجي سلفي، ولكنه لم يكن يعرف جيدًا بعض التفاصيل التي ربما يعدّها هو ومن على طريقته من الشباب السعوديين آنذاك أنها تكفيريّة، وأنها من منهج تكفيري، كتكفير النظام السعودي، وتكفير الطواغيت وأنصار الطواغيت ونحو ذلك من التفصيلات، لم يكن يعرف ذلك، كان تعرفه عليّ جديدًا، فدعاني إلى هذا الأمر، وأنا لا شك وجدتها فرصة ذهبيّة أن أدخل إلى هذه المعسكرات، وأدخل إلى هذه الأماكن التي هي داخل أفغانستان، وكانت أفغانستان آنذاك لم تكن محررة بعد؛ الطيران يصل إلى هذه المناطق، وهذه المناطق غير آمنة، فكان بودّي أن أخوض مثل هذه التجربة، وأن أدخل إلى هذه الأماكن، وهي فرصة إذا دخلت أنا كمسؤول شرعي فيها، قد تسنح لي فرصة التدريب والمشاركة في هذه الدورات التي لا يدخلها إلا الأفراد المنتمون إلى القاعدة، وأنا لم أكن منتميًا انتماءً تنظيميًا إلى القاعدة آنذاك، ولكن لحاجة هذا الشيخ

إلى مسؤول شرعي يلقى قبولاً عند الشباب عرض عليّ هذا العرض، وكان قد اشتكى لي بأنه كلما جـاء بمسـؤول شـرعي من الجزيـرة أو من الشباب الذين يرشحهم جـرت بينه وبين الشـباب هنـاك مشـاكل، والسبب كما ذكر هو وكما كان تصوره؛ أن فكر التكفـير قد انتشر بين الشـباب في المعسـكرات، ومن ثم فكل من آتي به يصـبح بينه وبين هؤلاء الشباب نفـرة يواجهونه بـالطعن في العلمـاء والمشـايخ بن بـاز وبن عـثيمين، وبتكفـير الدولة ونحو ذلـك، فيختلفـون ويختصم معهم فيترك الدورة أو لا يتفقون فلا يصلح.

9- مرحلة أفغانستان (3): التدريس في معسكرات القاعدة والتدرب فيها والعمل مع د.سيد إمام والتكليف ببعض الأبحاث، والسبب الرئيسي لتأليف الكوشف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وذكر لي أبو مصعب آنذاك بأنه كان متضايقًا من انتشار الفكر الذي سماه الفكر التكفيري والتطاول على المشايخ والعلماء مما كان يشكوه بين شباب القاعدة وفي معسكراتها وهذا من الأهداف والغايات الذي كان يريدني أن أستلم كمسؤول شرعي في تلك المعسكرات، ولم يكن يدري بأنني أيضًا كنت أنكر وأشدد النكير على المشايخ الذين ذكرهم، وأنني مثل أولئك الشباب في إنكار بيعة هؤلاء المشايخ لأولياء أمورهم ومجادلتهم عنهم، لم يكن يعرف ذلك، فحتى أنه ذكر لي أيضًا بأنه شكى ذلك إلى الشيخ أسامة؛ من سيطرة هذا التيار على معسكرات القاعدة وتأثيرهم في الشباب الذين يشاركون في هذه المعسكرات من الجزيرة ومن اليمن وغيرها.

وذكر بأنه قال للشيخ أسامة: بأن هؤلاء "جماعة الجهاد" يسيطرون على القاعدة".

وكان ذلك في بدايات التوجه، في بدايات تأسيس القاعدة، وذكر لي أنه اشتكى إلى الشيخ هذه الأشياء، وأن الشيخ أسامة -حفظه الله-

بعدما كرر عليه الإنكار في هذا الباب وذكر ذلك مرارًا وتكرارًا قال له -في نهاية المطاف- الشيخ أسامة: أنا أعرف هذا الأمر، وأنا مطلع عليه.

وهو حاول –رياض- أن يظهر للشيخ أن هؤلاء يضحكون عليك، وأنهم يستغلون هذه المعسكرات لتدريب شبابهم وتدريب جماعتهم.

ففي النهاية قال له الشيخ أسامة: أنا أعرف هذا، وأنا مطلع عليه، وأنا أستفيد منهم، وهم يستفيدون مني.

كان هذا ما ذكره لي أبو مصعب آنذاك؛ بأن الشيخ لم يأخذ بتنبيهاته هذه، ولم يرعَ لها اعتبارًا لأن الشيخ عنده ترتيبه وعنده تخطيطه، ولم يكن تؤثّر هذه الأمور بتغيير وجهته آنذاك.

فوافقت طبعًا على العرض الذي عرضه عليّ أبو مصعب، وأعطاني تذاكر لي ولزوجتي وأولادي، فرجعت إلى الكويت مباشرة وجئت بأهلي، وكنت دائمًا في هذه الفترات في الذهاب والإياب أتعرّف على شباب جدد.

طبعًا أنا أختصر الآن، وقفزت قفزات عن أحداث كثيرة جرت، ولكن لعلنا نقف هنا قبل الذهاب إلى معسكرات "جهاد وال"، وقبل القيام بالمهمة التي رجعت من أجلها واتفقت عليها مع أبي مصعب:

نذكر أنه خلال هذه الزيارات المتكررة، والحضور إلى بيشاور والذهاب إلى أفغانستان، كنت ألتقي بمشايخ كثيرين؛ فعلى سبيل المثال: التقيت بالدكتور عمر عبد الرحمن أكثر من مرة في بيشاور، وكنت كما ذكرت من قبل قد التقيت به في مكة، وفي منى، فالتقيت به هنا في بيشاور أيضًا، وزرته في بيت محمد الإسلامبوليّ وغيرهم من قيادات الجماعة الإسلامية، وكانت لي جلسات معهم.

والتقيت أيضًا -طبعًا مرارًا وتكرارًا- بالشيخ أبو عبيدة البنشيري القائد العسكري للقاعدة آنذاك -رحمه الله-.

وكذلك التقيت بأبي حفص المصري الذي كان نائبه آنذاك، وأذكر أنه عندما التقيت به أول مرة كانت في يده إصابة من قذيفة طائرة، وكان الجهاز الحديدي موضوعًا في يده، وكنت آتي أحيانًا بمساعدات وتبرعات من الكويت، فكنت أخص بها هؤلاء الشخصين؛ كنت أحبهما ومعجب بهما، فكنت أعطي شخصيًا لهذين الشخصين، وأوكلهما بالتصرف بهذه المساعدات.

وكذلك طبعًا التقيت مرارًا بالدكتور أيمن الظواهري -حفظه الله-، وبالدكتور سيد إمام؛ التقيت به مرارًا أيضًا وزرته في بيته، والتقيت به في مستشفى الهلال هو وأيمن الظواهري مرارًا حيث كانا يعملان طبيبين آنذاك.

فكان لي لقاءات كثيرة، والتقيت بجماعات كثيرة، وكان لي نقاش مع بعض الغلاة، وكان لي زيارة لأماكن كثيرة في أفغانستان وفي باكستان أيضًا، حيث تعرفنا على شيخ وطالب علم نشيط محدّث في منطقة بين بيشاور وإسلام أباد اسمها "حضرو"، قرية صغيرة هناك، فكان هذا الطالب متقدم في الحديث، وكانت له كتابات وأبحاث، كنا نتردد على زيارته في منطقته، وجمعنا له كتباً ومراجع، من الكويت زودناه بها، وقوينا مكتبته، كانت هذه كلها من الاستفادة والاحتكاك والجلوس مع المشايخ في باكستان وفي غيرها أي تتخلل هذه الزيارات.

فلما رجعت مع أهلي واستقر أهلي في بيشاور؛ دخلت إلى المعسكرات التي بعثني إليها أبو مصعب، أول مرة ذهبت معه، رافقته في الدخول، وقبل أن نذهب إلى المعسكرات دخلنا إلى جبهة "باري"؛ حيث كان ما زال في هذه الجبهة قتال بين المجاهدين والشيوعيين، وزرنا هذه الجبهة وجلسنا مع الشباب فيها، مكثنا مدة ورأينا الأسارى هناك، ولم يكن هناك قتال مباشر في الفترة التي جئناها ولكن كانت المنطقة في مرمى العدو، كانت الإقامة إقامة

رباط؛ مرابطة لوم تكن مواجهة آنذاك، ولكنهم كانوا في وجه العدو، والعدو في وجههم.

وذهبنا من هناك -بعد ذلك- إلى المعسكرات التي في خوست، أصلاً هذه المنطقة كلها منطقة خوست لكن هذه الـمعسكرات كانت في منطقة يقال لها "جهاد وال" فيها بعض البيوت الطينية التي كانت غرفًا للشباب المتدرب هناك، وكان قريبًا منها أيضًا معسكر آخر: أظنه هو المعسكر الذي صار بعد ذلك "معسكر الفاروق"، كان قريباً منها، كان يدعى آنذاك "الفاروق" أيضًا، ولكن إقامتي، وتدريسي، والذي كلفني به هذا أبو مصعب؛ كان في معسكر "جهاد وال"، وكانت أظنها أول دورة خاصة للقاعدة عندما جئت.

فلما جئت للمعسكر طبعًا؛ كانت نظرات الريبة من شباب المعسكر تصدر إليّ بسبب أنني جئت مع هذا الرجل أبو مصعب الذي يعدّ عند شباب المعسكر من المجادلين عن ولاة الأمور في الجزيرة، وممن يغضبون أشد الغضب إذا ذكرت أخطاء المشايخ أو وصفت بعض فتاويهم بأنها فتاوي ضالة و نحو ذلك، فلذلك كان ينظر إليّ بنظر الريبة، وعرفهم الشيخ أبو مصعب بأنني أنا المسؤول الشرعي الذي سأستلم في هذه الفترة التدريس في القاعدة، وتركنا وذهب بعد أن بات ليلة معنا.

ذهب فعندما جلست مع الشباب لم يكونوا يعرفوني، لكن وجدت أن الغالبية من هؤلاء الشباب كانوا من المصريين من أتباع "جماعة الجهاد"، وفيهم آخرون من الجزيرة، وفيهم من الجزائر، وفيهم مغاربة، وفيهم يمنيين؛ أخلاط ، وكان الذين يتولون التدريب العسكري جلّهم مصريين، ربما كانوا ضباط سابقين متقاعدين أو فارّين من الجيش المصري، وكان موجودًا أيضًا الشيخ أبو مصعب السوري فك الله أسره.

الشيخ أبو مصعب السوري -فك الله أسره- تعرفت عليه في هذا المعسكر، ووجهني في التدرب على المسدس، تدربت على أشياء

كثيرة لكن في قضية المسدس هو الذي أشرف على استعمالي للمسدس، وكان زائرًا أيضًا آنذاك أخو الدكتور أيمن الظواهري، فأنا وإياه تدربنا على استعمال المسدس تحت إشراف أبو مصعب -فك الله أسره- أما سائر الأسلحة فقد أخذت جزءًا منها هنا، وجزءاً في صدى، وجزءاً آخر في "جاجي" بعد ذلك في دورة كانت لمجموعة من الشباب، شاركت أيضًا فيها كمسؤول شرعي هناك، تدربت أيضًا على المتفجرات، وعلى مختلف الأسلحة، لكن في هذا المعسكر، معسكر: "جهاد وال" الذي كان تابعاً للقاعدة؛ بدأت أدرّس الشباب وأؤسس مسألة التوحيد، وبدأت أتكلم في أقسام التوحيد، وركزت على مسألة "الحاكمية"، وعلى مسألة "الولاء والبراء" وما يتعلق بهذا، ففوجئ الشباب من المسائل التي أطرحها، وبدأت الأسئلة التي تصدر من بعض الشباب على سبيل الامتحان والاختبار تنهال عليّ؛ يسألوني عن رأيي في الجيش، رأيي في الشرطة فيتفاجؤون بالإجابات التي هي قريبة أو موافقة لما يعتقدونه، وصعقوا من ذلك؛ أنه كيف جيء بي إلى هذا المكان وسابقًا كان لا يأتي مسؤول شرعي من طرف أبو مصعب إلا ويكون كالشوكة لهم؛ يضيّق عليهم، وتحصل بينهم وبينه مشاكل في سبيل الدفاع عن النظام السعودي، وعن أخطاء المشايخ والعلماء.

ففوجؤوا بهذا الشخص كيف جاء إلى هنا؟! وكيف جاء به أبو مصعب؟!

حتى أنهم بدأوا يسألون أسئلة مباشرة عن الأنظمة وعن أنصار الطواغيت فتأتي الأجوبة موافقة أو قريبة مما عندهم، فيتعجبون، ثم جاءني شخص منهم وهو الشيخ أبو مصعب المصري الذي كان يشتهر آنذاك في بشاور وفي أفغانستان باسم أبو مصعب رويتر لأنه كان متخصصًا في فترة من الفترات في النشرة الصحفية التي كانت مجموعة من شباب القاعدة يعملونها ويلخصونها عن أخبار كل يوم؛ يجمعون الأخبار المهمة العالمية، ويجعلونها نشرة، ويصورونها، ويوزعونها على الشباب في بشاور تثقيفًا وتوعيةً لهم، ولكي يلخصوا

لهم أخبار اليوم في نشرة واحدة بدلاً من أن كل شاب يسمع إلى الأخبار ويضيع وقته؛ يلخصون الأخبار المهمة في نشرة، فكان يطلق عليه أبو مصعب رويتر لأنه كان من المشرفين على هذه النشرة.

أذكر أنه جاء لي آنذاك بكتاب؛ تفاجأت بأنه جاء لي بنسخة من كتاب "ملة إبراهيم"، الذي كان قد طبعه الدكتور أحمد الجزائري سابقًا في بشاور، جاءني بنسخة وكانت ذات غلاف أخضر أميزها من أول ما أراها، فقال لي:

- يا شيخ؛ اطلعت على هذا الكتاب؟

يسألني عنه ولم يكن يعرف أنني مؤلف هذا الكتاب.

- فقلت: ايش يعمل هذا الكتاب عندكم؟ ايش تفعلوا فيه؟

- قال: والله يا شيخ نحن قرأناه ودرسناه، وكان يريد أن يعرف رأيي بهذا المؤلف، وصاحب هذا الكتاب، وبالكتاب هذا.

فأخذ يمدح في الكتاب، ويريني، ويقول نحن قرأناه جماعي في المعسكر، وعندما وصلنا إلى صفحة كان فيها رسمة "جرينوف" هكذا منصوب فرحنا بهذه الرسمة لأن المؤلف وضعها، فايش رأيك بهذا الكتاب؟

- فلمّا عرفته بأني أنا مؤلف هذا الكتاب كانت صدمة لهؤلاء الشباب، والصدمة العنيفة عندهم أنه: كيف جيء بي إلى هذا المكان، وكيف رشحني أبو مصعب لاستلام هذه المسؤولية الشرعية في هذا المكان، لكن هذا كان بقدر الله.

فمكثت مع هؤلاء الأخوة مدة كنا نتدارس المسائل سويًا، وكنت أشارك في التدريب، وكان القائمون على التدريب في المعسكر محترفين، درست معهم، حضرت كثيرًا من الدروس في دورة المتفجرات، وفي مصائد المغفلين، وفي النسف والتخريب، وفي حرب المدن، فشاركناهم في هذه الدورة، وكان المكان هذا في

خوست، في داخل أفغانستان، فكان يأتي الطيران في الليل علينا؛ نراه ونسمع صوت الطيران فيه، ولكنه كان يأتي مرتفعًا، ومكثنا مدة نسأل الله عز وجل أن يؤجرنا، وأن يحسب لنا في ذلك المكوث أجر الرباط في تلك الأماكن.

بعد ذلك؛ وأثناء ذهابي إلى بشاور لأتفقد أحوال الأهل التقيت بالدكتور سيد إمام وطلب مني وكلفني بأمرين:

- الأمر الأول: بأن أذهب أنا وأخ كان معروفًا آنذاك في بشاور باسم "أبو النصر" -وهو من الشباب الفلسطينيين الذين درسوا في مصر، وكانت لهم مشاركة في تنظيم الجهاد هناك- فطلب مني أن أذهب أنا وهذا الأخ إلى معسكر الفاروق ونجري تحقيقًا في خصومة ومشكلة جرت بين بعض المدرّبين وبعض المتدربين؛ مشكلة حصلت هناك فطلب منا أن نساهم في التحقيق ونأتيه بإفادات الخصوم ليقضي بها، وكان هو القاضي الشرعي من الشباب آنذاك في القاعدة ولهذه المعسكرات.

فقمنا بهذا الدور، وترددنا على المعسكرات، وكنا نرفع له التحقيقات في هذه الخصومات، ويقضي هو بالقضاء الشرعي الذي يرى.

- والمسألة الثانية التي عرضها عليّ وطلبها مني، وقطعت تدريسي في المعسكرات لأجلها،

وانتقلت إليها:

وقبل ذلك كنت قد قطعتها وانتقلت إلى بيت أسس في منطقة "ميران شاه"؛ بيت أسس وكان تحت إشراف هذا الأخ الذي هو أبو النصر- وسميت: "الدورة الفكرية"، فالشاب بعدما يتلقى التدريب العسكري ويرجع إلى الدورة الفكرية هذه فيُسبَك ويصبغ، ويوجّه، ويعرّف بالواقع الذي سيذهب إليه، ويعرف بكفر الطواغيت، ويعرّف في سبيل المجرمين، ويبصّر في الأمور التي تتعلق بالواقع.

شاركت بها مدة أيضًا هذه الدورة، ومكثت فيها مدة، ولكن الشيخ سيد إمام أو الدكتور سيد إمام عرض عليّ بعد ذلك أن أستلم التدريس في معهد كان آنذاك في منطقة "بورد" في بشاور، كان معهدًا شرعيًا تابعًا للقاعدة، يدرس فيه الشباب العلوم الشرعية، وكان يتولى المسؤولية فيه آنذاك أخ يسمى: "أبو الحسن المصري".

فاستلمت تدريس مادتين آنذاك: العقيدة والتفسير، وكنت أتردد على هذا المعهد وأدرس فيه شباب يلتحقون في دورات متوالية.

وأثناء مكوثي في هذه الفترة؛ كان لي احتكاك بهؤلاء المشايخ، وتردد عليهم، وزيارة للدكتور سيد إمام، وفوجئت في إحدى الزيارات أثناء حديثنا عن الخلاف الذي كان يجري في بشاور الذي يتعلق بالقتال والجهاد في أفغانستان، وكانت القضيّة آنذاك: القاعدة تشارك في القتال في أفغانستان، وكان هناك مناظرات بين التيار الذي يؤيّد الدكتور أحمد الجزائري وأبو الوليد الأنصاري ومن على طريقتهم آنذاك من التحفظ على القتال تحت راية الأحزاب وبين القاعدة التي كانت تتساهل في قضيّة القتال مع هذه الأحزاب أو على الأقل، الأقل؛ القتال في جبهة منفردة في أفغانستان، وكان الجدال والحوار دائرًا بين مشروعية القتال تحت راية هذه الأحزاب أو على الأقل حتى القتال منفردًا كما كان يستدل آنذاك المشايخ بقوله تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ}، أي لو قاتل الإنسان منفردًا الشيوعيين والمشركين لكان ذلك مشروعًا.

حتى أني أثناء حواراتي مع الدكتور سيد إمام في موضوع الجهاد الأفغاني والقتال تحت راية الأحزاب أذكر أنه كلفني في بحث مسألتين آنذاك:

- مسألة مدى شرعيّة جعل معاهدة -لا أذكر أيّ معاهدة سماها- معاهدة جنيف أو نحوها التي تتعلق بالعلاقات الدبلوماسية بين الدول والفيزا ونحوها، وهل هذه الفيزا عندما يدخل الإنسان إلى أوروبا أو يأتي إلى بلادنا أو نذهب إلى بلادهم هل هي حكمها حكم الأمان.

هذه مسألة كانت قيد البحث عنده وذكر لي أنه لا بد من بحث هذه المسألة والنظر في هذه الاتفاقيات؛ هل تلزم المجاهدين وتلزم المسلمين أو لا تلزمهم.

- ومسألة أخرى أيضًا كان قد طلب مني أن أبحثها ووجهني إلى كتاب: "السير الكبير" لأبي حسن الشيباني، ووجهني إلى أن أذهب إلى موضع فيه وهو تحت عنوان: "الاستنصار" أو "القتال مع مشركين ضد مشركين" وذلك لبحث مسألة جواز القتال تحت راية الأفغان ضد الشيوعيين، أي تنزلاً إذا كان الأفغان هذه رايات كفرية أفلا يجوز القتال تحت هذه الرايات لدفع مشركين أشد خطرًا منهم لأنهم شيوعيين ونحوهم؟ فذكر لي هذا الموضع في "السير" وهو جواز قتال المشركين مع مشركين آخرين، وذكر قصة الزبير وأنه قاتل تحت راية النجاشي ضد من خرج عليه من عدوه يقاتلونه.

وأنا حقيقةً؛ هذه المسألة عندما رجعت إليها لم أجد أن الزبير قاتل بل كل ما فعله الزبير أنه نُفِخَت له قربة وعامَ في النهر ليأتي المسلمين بخبر المعركة وانتصار النجاشي على عدوه فيها، هذا كل ما فعله الزبير؛ لم يقاتل الزبير.

على كل حال؛ طلب مني سيد إمام أن أبحث هذا الأمر لأن هذه المسائل كانت مطروحة وتدار في بشاور آنذاك بين أنصار الجهاد الأفغاني أو من يجيزون القتال تحت رايات الأحزاب الأفغانية وبين من قد نفضوا أيديهم من هذه الأحزاب وكفَّروا رؤوسها أو على الأقل جعلوا رايتها رايات عُمِّيَّة لا يجوز القتال تحتها.

الخلاصة؛ أنه لا يجوز القتال تحت هذه الرايات لكونها رايات عُميّة، وأن الثمرة التي تسعى إليها هذه الرايات هي إقامة دولة ديمقراطية إسلامية، ديمقراطية ممسوخة ليست هي ما يطمح إليه المجاهدون، ليست هي الدولة الإسلامية النقية والخلافة الراشدة التي كان يطمح إليها أولئك الذين استشهدوا في تلك الساحات، وأولئك الذين قتلوا في تلك الساحات.

فلذلك نقول حتى لو جاز القتال بوجه من الوجوه في تلك الساحات فكنا نسأل ونتساءل: ما هي الثمرة، ومن سيقطف هذه الثمرة؟

هذا السؤال المهم الذي يجب أن نضع تحته خطًا أنه: من الذي سيقطف الثمرة؟

ونتيجته ما رأيناه فيما بعد من أن رباني وأمثاله هم الذين قطفوا الثمرة لأن جهد هؤلاء وتضحيات هؤلاء المجاهدين وهؤلاء الشهداء وضعت بعد ذلك تحت رحمة صناديق الاقتراع، كما جرى أيضًا في الجهاد الشيشاني عندما اقتطف ثمرة الجهاد "مسخادوف" من صناديق الاقتراع أيضًا.

فكانوا يُنَاقشون ويُنَاورون أيضًا من المخالفين بأن الثمرة من سيقطفها، سيقطفها أمثال: "سياف" و"حكمتيار" الذين يصرحون علانيةً أنهم يريدون عند انتصار إقامة دولة "إسلامية ديمقراطية"، وأن علاقتهم ستكون مع سائر الأنظمة: علاقة صداقة إذا هم كفوا عن أفغانستان، فالعنوان العام الذي كان يطلقه قادة هذه التنظيمات في الدولة المرجوة والمرتقبة والتي يسعون إليها ويتسلقون للوصول إليها على جماجم الأبطال وعلى أشلاء الشهداء كانت: دولة ديمقراطية، يعني حتى السعودية والنظام السعودي لم يكن يصرّح بمثل هذه التصريحات، فربما كانت ستكون الدولة التي كانوا يسعون إليها أردئ مما نشاهده من النظام السعودي، وبالفعل عندما تولوا وانتصروا وقامت انتخابات من الذي تولى؟ تولى رباني الحكم، ولولا أن الله عز وجل بعث الـطالبان فاكتسحوهم واستلموا زمام الأمور لكانت هذه هي ثمرة ذلك الجهاد الطويل وتلك التضحيات التي ذهب كثير من الشهداء فيها؛ لأن الثقل والقوة والوزن كان لهذه الأحزاب الأفغانية فهم الذين اقتطفوا الثمرة وهم الذين تولوا الأمور بعد ذلك.

وهذا ما كان ينكره أمثال الدكتور أحمد على المتحمسين في ذلك الجهاد، وكنا قد تأثرنا به، وكنا أيضًا نشارك في نصرة هذا الأمر وإنكاره في نصرة هذه الوجهة للدكتور الجزائري، ولكن مشكلة

الدكتور الجزائري؛ أن الناس قد نفرت منه لتصريحه بتكفير رؤوس هذه الأحزاب، بل بتصريحه تكفير بن باز وبن عثيمين آنذاك، وهو الأمر الذي لم أكن متفقًا معه به، ومع ذلك نسب إليّ وادعاه من ادعى أنني كفرتهم، وكنت دائمًا في حوارات وسجالات ومناقشات مع الدكتور في هذا المجال، وربما سلّمت له بأنهم قد تلطخوا ببعض المكفرات كبيعة الطاغوت مثلاً هذا مكفر، لأنه عندما كنا نتناقش فيقول لي:

- ألا ترى أن البيعة للطاغوت من التولي؟

- فكنت أقول: نعم؛ هي من التولي أن تعطي رجلاً صفقة يدك وثمرة فؤادك كيف لا تتولاه؟ لا شك أنه من التولي.

- فيذكر الأدلة على أن متولي الكفار منهم: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}، ونحو ذلك.

- فأقول: نعم؛ هذا مكفّر، ولكن تكفير الفعل غير تكفير الفاعل، وكما هو معلوم ومقرر بأنه عندما نكفر الأعيان يجب أن ننظر في الشروط والموانع، وأن الدولة السعودية دولة مُلبِّسة قلَّ من يتبصّر بحالها، وكيف تلزم هؤلاء المشايخ وتؤاخذهم وتكفّرهم ببيعتهم لهذا النظام الذي يزعم إقامة الحدود، والذي يفتح أبوابه على مصراعيه لنصرة المجاهدين الأفغان كما هو الظاهر الذي يتظاهر به، وغير ذلك من الـمسائل الشرعية التي يقيمونها ويلبونها لهؤلاء المشايخ، فكنت أرى أنهم متأولون في ذلك، وأن التلبيس الحاصل من هذه الدولة يمنع من تكفير أعيانهم، وإن كنت أسلِّم بأن هذه مكفّرات؛ بيعة الطاغوت عمل مكفّر، ولكن لا نكفر الأعيان حتى ننظر في الشروط والموانع، ولا أرى أن الشروط اجتمعت في تكفير هؤلاء، بل أرى أن هناك موانع تقوم دون تكفير أعيانهم، وربما هذه الجلسات وهذه المناظرات وهذا التسليم بأن عندهم مكفرات فهم منه بعض الجهال أو بعض ضعيفي العلم بأنني كفرتهم، ولكن شتان بين تكفير الفعل وتكفير الفاعل، لم يصدر مني تكفيرهم في أي مرحلة من المراحل،

وهذا كله كذب وافتراء عليّ، حتى أن هؤلاء الذين يتحدثون وينسبون إليّ تكفيري لهؤلاء المشايخ الآن في كتاباتهم وفي المواقع الإنترنتية وغير ذلك: لم يعرفوا هذه المعلومة؛ فهذه المعلومة أنا أتكلم فيها الآن، ولم يعرفوا أنني كنت أناقش مثلاً الدكتور أحمد الجزائري وأقره بأن فعل بعض أفعال هؤلاء العلماء من الكفر ولكنني كنت أخالفه في تكفير الأعيان، لم يعرفوا هذا ربما لو يعرفوه لفرحوا به، ولكنه لا يسعفهم في زعمهم أنني أكفر أعيان هؤلاء المشايخ، وما زلت إلى اليوم أنا لم أقل بتكفيرهم ولم أكفرهم في حياتهم فمن باب أولى أن لا أشتغل أو أقول بتكفيرهم بعد مماتهم، هذا أمر لا يعنيني أنا، ما كان يعنيني في تلك المراحل وأسخط عليّ مقلدتهم هو إنكار فتاويهم التي تجعل الطواغيت ولاة أمور، إنكار فتاويهم التي تشنِّع على المجاهدين وتبيح دماء المجاهدين وتصور المجاهدين بأنهم خرجوا يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا، كما تكررت فتاويهم بحق إخواننا المجاهدين في الجزيرة، بل قبل ذلك أخرجوا مثل هذه الفتاوى بجهيمان نفسه الذي لم يكن يكفّر النظام السعودي ولا غيره من الأنظمة، هذه الفتاوى التي تتكرر في الطعن في المجاهدين وفي تزكية ومدح طواغيت الحكم؛ هذه الفتاوى وأمثالها هي التي شدّدت النكير عليهم لأجلها، ولازلت أنكر عليهم ذلك؛ لأنهم لم يغيروا موقفهم من هذه الحكومات ومن هذه الفتاوى حتى أغير موقفي أنا.

أما تكفيرهم بأعيانهم فلم يصدر مني أبدًا لا في كتابة ولا في خطابة، لا مكتوبًا ولا مسموعًا، ولكنها افتراءات هؤلاء المقلدة عليّ لتشويه هذه الدعوة ولصد الشباب عن كتاباتي.

على كل حال؛ في وسط هذا الجو، وفي وسط مواصلتي للشيخ سيد إمام؛ فوجئت في يوم من الأيام ونحن نتكلم عن الدكتور أحمد جزائري وتكفيره لهؤلاء المشايخ، وتكفيره لقادة الأحزاب الأفغانية في ظل هذه الأجواء، وذات يوم وأنا أكلم الشيخ سيد إمام فوجئت وأنا أتكلم في شأن هؤلاء المشايخ وكيف أنهم لبَّسوا على الأمة وكذا وكذا، هو لم يكن يخالفني في هذا، ولكنه ذكر تكفير الدكتور أحمد

لهم -وكأنه ذكر- أن ذلك غلوٌ من الشيخ أحمد الجزائري، فذكرت أنا بأن الشيخ ليس عنده غلو في التكفير حاولت أن أدافع عنه، وإن كنت أخالفه في تكفير أعيان هؤلاء المشايخ، ولكن أصوله صحيحة وليست أصول خوارج، وهو عندما يكفر هؤلاء المشايخ يستند إلى مكفرات ولا يكفرهم بمعاصي، وذكرت له مسألة البيعة؛ بيعة الطواغيت، وأثناء حوارنا في هذا الأمر، وأنني أنا ناقشت الدكتور أحمد الجزائري في هذا، وأقررته بأن البيعة كفر ولكنني لم أكفر الأعيان للتلبيس الحاصل، فوجئت أثناء الحوار بأن الشيخ الدكتور "سيد إمام "لم يكن يكفر النظام السعودي، هذه أول مره أعرف ذلك الأمر، فلما قال لي:

- أنا لا أستطيع أن أكفر النظام السعودي.

في أثناء هذا الحوار؛ صدمت أن هذا المرجعية العليا لجماعة الجهاد في بشاور، وهو أعلم من في بشاور في قضايا الجهاد، وهو قاضي هذه الجماعات، وهو الذي يزكي من يزكي للتدريس في المعهد الشرعي، وهو الذي زكاني للتدريس في المعهد الشرعي آنذاك؛ فوجئت بأنه لا يكفّر النظام السعودي، لم أكن أتوقع هذا منه؛ لأن الشباب في المعسكرات كانوا يكفرون النظام السعودي، شباب جماعة الجهاد، ويطيلون ألسنتهم على علماء النظام السعودي وغير ذلك، فلم أكن أتوقع أن هذا الشخص العالم وهذا المرجعية يتوقف ويتورع في النظام السعودي، هذه كانت الشرارة الأولى التي دعتني إلى كتاب كتابي الذي سُـمِّـي بعد ذلك بـ: "الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية"، هذا كان من أدعى الدواعي لتأليف هذا الكتاب، حتى إنني أشرت في مقدمة الكتاب إلى ذلك، لأنني قد ناقشت جماعات ورؤوس جماعات في تكفير الأنظمة الحاكمة فكانوا يكفرون الأنظمة الحاكمة وعندما كان الكلام يدور حول النظام السعودي فتلك كانت عندهم عقبة كؤود، ولذلك أنا تصديت إلى تصنيف هذا الكتاب، فكان هذا هو الداعي لتصنيف هذا الكتاب، فوضعت الأمر في ذهني بأنني سأتفرغ لتصنيف هذا الكتاب.

وبالفعل عندما تركت بيشاور -بعد ستة شهور- ورجعت إلى الكويت، كان همي في تلك المرحلة أن أصنف هذا الكتاب، كنت قبل ذلك قد كتبت كتابي: "كشف النقاب عن شريعة الغاب" الذي بيّنت فيه كفر النظام الكويتي، وذكرت النظام الكويتي وقوانينه ودستوره كعينة ومثال من أمثلة القوانين الوضعية التي تحكم بها الأنظمة في بلادنا، مثلت به وكان هذا الكتاب قد طُبع على الآلة الكاتبة، وتدوِّل بين الشباب في الكويت، حتى إنه -رحمه الله- الأخ المجاهد البطل: "عادل الغانم" الذي قتل في البوسنة، وكانت له مشاركات طويلة في أفغانستان والشيشان؛ كان هو من السلفيين ولكن من السلفيين كما يقال الـمُحَسّنين الذين لهم مشاركة في ساحات الجهاد والمشاركة في ساحات الجهاد تجعلهم يتورّعون ويتبصرون بسبيل المجرمين لاحتكاكهم بالشباب.

فكان يحرص على توزيع هذا الكتاب واستأذنني بنفسي، كان يُريني نسخ من كتابي: "كشف النقاب" يحذف اسمي عنها ويختصر منها أشياء التي فيها عبارات نارية وحادة مثلاً: يحذفها ويختصر الكتاب لأنه كان الكتاب كبيرًا فيجعله كتابًا مختصرًا صغيرًا، يأخذ من كتابي يستأذنني بذلك يصوّره ويوزّعه بين الشباب السلفيين الذين يحتكون به ليبصرهم بالنظام الكويتي وبكفر النظام الكويتي، هذا أذكره جيدًا عندما استأذنني وأنا أذنت له، قلت له: افعل ما تشاء؛ فنحن يهمنا الدعوة، لا يهمني اسمي، ولا اسم غيري، إذا كان اسمي يُنفر عن قبول مثل هذه الأشياء، أو قبول أمثالها؛ فلا داعٍ أن تضع اسمي، واسمح لك بالاختصار والحذف ما شئت، المهم أن يصل الحق إلى الشباب.

فقد كانت عندي خلفية تصنيف في هذا المجال، فقلت: أنا ضربت المثال على الأنظمة العربية كلها بقيت رأس الأفعى هذه؛ هذا النظام السعودي الذي يغرّر بالناس، ويخادع الناس بأنه يحكّم الشريعة؛ لابد من تعريته، ولابد من بيان حقيقته، لأني لم أكن أجد فرقًا بين النظام السعودي وبين الأنظمة الحاكمة الأخرى؛ فهو مثلهم: مشارك على

الـمستوى الإقليمي بما يسمى: "مـجلس التعاون الخليجي"، وتحاكمه إلى نفس الهيئة التي وضعت، وعلاقات الأخوة تجمعه، وتجمعه ليس فقط مع أنظمة الحكم الخليجي بل مع أنظمة الحكم العربية في ظل "جامعة الأمم العربية" وميثاقها ومحكمتها ومرجعياتها التي فصلتها، بل في ظل النظام العالمي كله والمتمثل بـ: "هيئة الأمم المتحدة"، مشاركات النظام السعودي في هيئة الأمم المتحدة والتحاكم إلى محكمتها والخضوع والقبول لميثاقها الكفري كل ذلك كان عندي تصور مسبق لنظرتي لهذا النظام السعودي، لم أكن أنظر إليه بتلك النظرة السطحية التي ينظر إليها المشايخ أن هذا النظام مُحكِّم لبعض حدود الشريعة في داخل حدوده، إذ كنت أقول: إذا كان هو يُطبق لبعض حدود الشريعة فهذه الأنظمة أيضًا تُطبق بعض حدود الشريعة في مجال ما يسمى بـ: "الأحوال الشخصية"!

فعندما رجعت إلى الكويت عكفت على تصنيف كتاب: "الكواشف الجلية"، وبدأت بالتركيز على هذا المجال؛ فذهبت عدة مرات إلى الحج والعمرة، وهذا الهم بين نصب عيني، فكنت ألخص ما أسمعه من أخبار بين يدي الشباب، كنت أجالس بعض القضاة الشرعيين فأنقل عنهم بعض الأمور عن وزارة العدل السعودية وعن القضاء الشرعي، وكنت أتابع وأنظر إلى البنوك القائمة في مكة والمدينة وفي الرياض وفي كل مكان؛ وأسجل أسماء البنوك وأبحث عن القوانين التي تعتمد عليها هذه البنوك، لأنه يستحيل أن تقوم هذه البنوك وسط هذا النظام من غير قوانين تقنن لها ومن غير تشريعات للربا تقننه وتجعل له حدودًا وتشريعات، وأثناء تجوالي في السعودية كنت أسجل كل ما أراه مفيدًا ونافعًا لهذا البحث أو لهذا الكتاب.

10- تأليف كتاب الكواشف وطريقة جمعه وطباعته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين:

رجعت إلى الكويت وأنا مصمّم على أن أجمع الأدلة على كفر هذا النظام، الذي لم يغتر به عموم المسلمين فحسب؛ بل قادة ورؤوس للجماعات الإسلامية بل جماعات مجاهدة كما رأينا، وأشرت إلى هذا في المقدمة؛ أشرت إلى أنّ هذا كان سببًا من أسباب تصنيف هذا الكتاب؛ أنّني فوجئت بأن أناس بهذا المستوى العلمي وبهذا المستوى من البصيرة بالواقع، ينطلي عليهم تلبيس مثل هذه الدولة الخبيثة.

وعكفت على تصنيف هذا الكتاب؛ واستعنت بكثير من الكتب التي تتحدث عن النظام السعودي، وقد يسر الله لي أنني اطلعت على كتاب (مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم)، وكان هو القاضي الشرعي ورئيس المحاكم الشرعية في النظام السعودي في مرحلة من المراحل؛ ولذلك طلبته من بعض إخواني في الجزيرة فبعثوا لي بنسخة.

فعكفت على هذا الكتاب، إذ استخلصت منه المعاناة التي عاناها الشيخ محمد بن إبراهيم، أثناء توليه منصب القضاء الشرعي في المحاكم الشرعية، وهذا من أنفس فصول كتاب الكواشف؛ وكيف كانت الدولة تحاول تقويض مهام وصلاحيات القضاء الشرعي آنذاك، وأخذ كثير ممّا هو من خصائص هذا القضاء الشرعي، وما ينبغي أن يناط به؛ تأخذه وتوكله إلى مسميات شتى، حقيقتها أنها هيئات تحكم بالقوانين الوضعية؛ تحت مسميات مكتب مكافحة المخدرات، ومكتب العمال، والمكتب التجاري، وغير ذلك من المسميات التي ذكرها الشيخ، وأنكر على النظام – آن ذاك – توكيل الحكم إليها في هذه

الأمور، وأن هذا كله تقليص لاختصاص المحاكم الشرعية وتضييق صلاحياتها؛ فذكرت هذا كله وجعلته في فصلًا متكاملًا للشيخ.

فكانت الأفكار الأساسية، التي أعتمد عليها في تكفير هذا النظام، أصلًا موجودة في الذهن؛ ولكن تحتاج أنت كي تدعم هذه الأفكار، أن تبحث في واقع هذه الدولة، التي تلبس على الناس وتخفي سياساتها وتظهر ما يرقع باطلها، فتحتاج إلى جمع مادة وأدلة من الواقع.

وهذا أمر توفر لي من خلال رحلاتي إلى الحجاز وغيرها، ومجالستي لكثير من الشباب؛ بل جالست بعض من القضاة الشرعيين هناك وغيرهم، واشتريت كثير من الكتب المتعلقة بهذه الدولة والمجلات الخاصة فيها؛ وعكفت على بعض المكتبات العامة في الكويت، التي تحتوي على مراجع وكتب تتعلق بالدول، ربما لا تتوفر في المكتبات التي تبيع الكتب عادةً.

جلست مدة أجمع المواد، وفقًأ لما في ذهني من خطوط عريضة، فكنت أجمع ما أحتاجه تحت هذه الخطوط؛ فأنا مثلًا أنا عندي فكرة أنه لا ينبغي أن ننظر إلى النظام فقط، وفقًا لقوانينه وتشريعاته الداخلية؛ بل هذه الأنظمة كلها مرتبطة إقليميًا، على مستوى مجلس التعاون، وعلى مستوى الجامعة العربية، وعلى مستوى العالم كله؛ فيجب أن ننظر إلى هذه الدول نظرة أوسع، من النظرة التي ينظر إليها الناس فقط داخل حدودها.

ما علاقة هذه الدولة في مجلس التعاون الخليجي؟

ما هي المكفرات داخل هذا المجلس، الذي شاركت فيه هذه الدولة؟

ما علاقة هذه الدولة على مستوى جامعة الدول العربية؟

وما هو الموجود داخل الجامعة من مكفرات شاركت فيها هذه الدولة؟

كيف هي علاقة هذه الدولة مع الأنظمة، التي يحكم علماؤها بكفر بعضهم؟

فمثلًا هم كفروا القذافي في مرحلة من المراحل، وكفروا الحبيب برقيبة في مرحلة من المراحل، وكفروا حافظ الأسد في مرحلة من المراحل، وكفروا صدام حسين في بعض المراحل، فكيف كانت علاقة هذه الدولة مع هذه الأنظمة؟

أليست هي علاقة مولاة ومودة محبة ومظاهرة ونصرة، وتولّي على الموحدين والمجاهدين وكل من عاداهم ولو كان من خيار المؤمنين؟ هذه النظرة العامة، ثم بعد ذلك:

ثم ما هي علاقة هذا النظام مع الأنظمة الأخرى الدولية؟

وكيف هي علاقتها مع الأمم المتحدة ومع المحكمة الدولية؟ مع الجمعيات المتحدة، وغير ذلك؟

وما هو موقفهم من ميثاق الأمم المتحدة؟

فلماذا نغمض أعيننا عن هذه المسائل، وننظر فقط لأوضاع الدولة الداخلية؛ التي أصلًا تستطيع أن تتحكم فيها، وإعلامها يسيطر عليها ويلبس ويضحك على الناس؟

فلا ينبغي أن يكون تفكيرنا محصور في حدود هذه الدولة؛ لأن العلاقات الدولية هي مسؤولة عنها أيضًا، وهي أيضًا محكومة بالإسلام ومحكومة ببالشريعة. ونحن لا نكفر هذه الأنظمة فقط لحكمها بغير ما أنزل الله، ولتشريعها ما لم يأذن به الله؛ بل نكفرها من أبواب شتى، من أهمها:

موالاة أعداء الله ومظاهرة المشركين على الموحدين، وهذا باب عظيم ومهم وظاهر ومعلوم، فلماذا نغفله؟

وكذلك تحاكمها للقوانين الوضعية، ليس مقصور على المستوى الداخلي، بل هو على المستوى الإقليمي والعربي الدولي؛ فلماذا نجصره بالبحث في الداخل؟

فأردت أن أوسع نظرة الشاب وأجعله بعيد النظر؛ لا ينظر فقط داخل حدود الدولة، بل ينظر لعلاقتها الدولية، وهذا ما حصل؛ وبذلك خرج الكتاب بالصورة التي طبع بها.

ولما انتهيت من كتابة مادة هذا الكتاب، كانت لي زيارات إلى تركيا؛ أذهب وآتي مع بعض الإخوة الأفاضل. أذكر أننا زرنا أول مرة تركيا على أثر مذبحة حلبجة، التي تعرض فيها الأتراك للإبادة بالسلاح الكيمائي من قبل صدام حسين؛ ووقتها ذهبت أنا ومجموعة من الإخوة الكويتيين، وأخذنا بعض التبرعات وجمعنا بعض الأموال من باب الإغاثة، لطائفة من المسلمين أوذيت وقتل كثير من نسائها وأطفالها وشيوخها؛ فذهبنا إلى تركيا.

وأظن هذا لم يكن مباشرة، كان لي ذهاب إلى تركيا من قبل، كنت أشتغل وأعمل؛ لأنني في فترة من الفترات كنت أعمل في مطبعة، فكنت أنا المسؤول عنها المباشر، فكنت ما يأتيني مما أعتقد أنه مباح أطبعه، وما يأتني مما أعتقد أنه حرام وفيه إعانة على المنكر أرده.

فالقائمين على هذه المطبعة من الإخوان المسلمين طوّروا هذه المطبعة وكبّروها، وصار يجلس معي في المطبعة شريك من شركاء هذه المؤسسة أو المطبعة؛ فصار يأتيني بأشياء فيها مخالفات شرعية من منشورات للانتخابات لناخبي الإخوان، ومن كتب فيها صور الأمير وصور الطواغيت وأعلام الكويت وغير ذلك؛ فتحرجت من الاستمرار في العمل في هذه الوظيفة؛ وعرضوا علي زيادة فأبيت وتركت العمل في هذه الوظيفة؛ فمنذ ذلك الوقت لم أرتبط بوظيفة، بعد أن تركت هذه الوظيفة.

طبعًا حاول معي الشيخ سيد عيد – رحمه الله –، وهو الذي وظفني في هذه الوظيفة، وقال أنه سيكلمهم لي لعلهم كذا وكذا، وأنهم سيزيدون راتبي وغير ذلك.

فأنا قلت له: "يا شيخ هذا رزقي ورزق أولادي، ولا أستطيع أن أكسبه من حرام، وهذا أمر أتحرج فيه؛ فلا سبيل زادوا أو نقصوا، فليست المشكلة مشكلة المال، وإنما المشكلة أن هؤلاء الإخوان يتساهلون في هذه المسائل، ويعتقدون أن البرلمانات والانتخابات كلها أمور مباحة، وبعضهم يعتقد أنها واجبة؛ لأن هذا هو السبيل لنصرة الدين عندهم، فكيف أعينهم على أمر لا أعتقد أنه محرم فقط كالتصاوير، بل هو أعظم من ذلك، فالمسألة تدخل في الشرك والكفر؛ لأنه مشاركة في المجلس التشريعي والبرلمان وغيرها؛ فأصررت على ترك الوظيفة وتركتها.

ومنذ ذلك الوقت بدأت أنا حتى أتكسب لأولادي، أخرج فكانت الأمور ميسرة في الكويت، أتدبر مبلغ من المال؛ فأسافر، فإذا ذهبت لأفغانستان، أمر في طريق عودتي على تايلند أو على الهند، وآتي بكمية من العطور والبخور وكذا؛ فأتاجر بها وأتدبر أمور عائلتي.

وبعد ذلك غيرت وجهتي، فجربت مرة أن أذهب إلى تركيا، وجئت بعسل وبعض العطور وبعض الفراء وكذا، وبدأت أشتغل بهذا المجال؛ أسافر سفر وآتي ببعض البضائع، وكانت الأمور ميسرة في الكويت، وليس هناك عقبات جمركية وهناك تساهل؛ فاستغللت هذا الأمر أن التجارة مفتوحة للكويتي والغير الكويتي، وليس مثل هذه الدول التي تشدد وتصعب.

في كل سفر كنت آتي بنوعية من التجارة؛ فخلال ذهابي وإيابي، تعرفت على بعض الشباب الأكراد الموحدين من جماعة سعيد النورسي؛ الذين يسمون هناك بجماعة النور، تعرفت على بعض هؤلاء الشباب.

والتقيت هناك بأخوة ليبيين، كانوا فارّين بدينهم من ليبيا يريدون أن يذهبوا إلى أفغانستان، وكانوا جالسين مدة طويلة هناك، وضاقت بهم الدنيا، ولم يجدوا من يعينهم على الحصول على فيزا؛ ومنهم الأخ المجاهد البطل – رحمه الله –، قيل أنه قتل في السجون الليبية، محمد أبو تركية، التقيت به هناك ولم يكن متيسرًا له السفر إلى أفغانستان.

وكانت أول مرة ألتقي به وأتعرف عليه في اسطنبول، فوعدته أن أساعده؛ فكان معنا بعض المال ساعدناهم به، ثم لمّا رجعنا إلى الكويت، دبرت له أوراق من بعض جمعيات الإغاثة، على أنه يريد أن يذهب للعمل في مجال الإغاثة في باكستان؛ وهذه الأوراق ساعدته في الحصول على فيزا من السفارة الباكستانية، التي كانت تشدد آنذاك في منح الفيزا خصوصًا في المناطق هذه كاسطنبول وغيرها.

فحصل على الفيزا وانطلق إلى أفغانستان، وتدرج حتى صار مسؤولًا في معسكر خلدن – كما عرفت بعد ذلك –، وزارني في الأردن بعد سنين ولم يجدني؛ لأنني كنت في المستشفى مع زوجتي، فرجعت إلى البيت، فوجدت ورقة منه مكتوبة على الباب، فعرفت أنه قد مر بالأردن، وعجبت لهذا؛ لأنه أصلًا مطلوب في ليبيا وعليه مشاكل كثيرة، وهو أصلًا فار من الجيش في ليبيا، وإذا رجع إلى ليبيا فمن الممكن أن يبتلى.

فبلغني بعد ذلك أنه كان راجع إلى ليبيا بجواز سعودي، ودخل للإعداد للجهاد ونحو ذلك؛ ولكني بعد ذلك سمعت أنه اعتقل، وأنه قتل في السجن، ولا أعرف تفاصيل ذلك، ولا أعرف مدى دقة هذه الأخبار؛ – رحمه الله وتقبله في الشهداء – إن كان قتل فنسأل الله أن يتقبله في الشهداء، وفك الله أسره إن كان أسيرًا.

على كل حال هذه كان زياراتي إلى تركيا، وقد عرفتني في تلك الفترة على كثير من الشباب في تركيا، والتقيت ببعض الشباب الذين كنت أعرفهم من أيام دراستي في العراق؛ بعضهم أكراد هاجروا إلى

تركيا تزوجوا واستقروا، تعرفت عليهم، ومن خلالهم تعرفت على أكراد أتراك؟

وهناك سمعنا بمذبحة حلبجة، وهجرة كثير من الأكراد، وطلب منا الأخوة أن نأتي بمساعدات؛ فرجعت إلى الكويت بعد أن أتيت معي ببعض الصور والأوراق والمنشورات عن المذابح، عن مذبحة حلبجة والمهاجرين وأعدادهم الكبيرة في تركيا؛ فرجعت واستعنت ببعض الشباب الكويتيين الأفاضل، وبدأنا نجمع التبرعات؛ لنسافر سفرة إلى تركيا، لنعين هؤلاء المسلمين بالمعونات.

تقرير مرئي للمذبحة:

وكانت النتائج 5540 جثة، ما بين طفلٍ وشيخٍ امرأة؛ توزعت في الأزقة والشوارع والبيوت والمزارع والطرقات والحقول؛ ونقل أكثر من 25 ألف جريح إلى المستشفيات الإيرانية بواسطة الحكومة الإيرانية، معظهم توفي متأثرًا بجراحه و آثار الغازات السامة.

أبو محمد المقدسي:

فكنا نفاجأ في ذلك الوقت، وكان ذلك الوقت وقت وقوف الخليج كله بثقله مع صدام حسين ضد النظام الإيراني؛ فكنا نفاجأ عندما نذهب إلى الكويتيين، وعندما نذهب إلى أصحاب رؤوس الأموال وأصحاب المؤسسات؛ لنطلب منهم تبرعات، ونريهم هذه المنشورات وصور القتلى والأطفال؛ أنهم يكذبون بهذا، وكأن هذه الصورة مزورة أو مزيفة.

يعني صدمنا كثيرًا من قبل كثير من المسؤولين، ذهبنا مثلًا إلى رئيس بيت التمويل الكويتي؛ وهي مؤسسة مالية ضخمة جدًا للإخوان المسلمين، ذهبنا إليه فما صدقنا الرجل، وأخذ يكذب بالأوراق التي جئنا بها، أخذ يقول: "مستحيل صدام حسين يقتل السنة، مستحيل هذا، أكيد صدام حسين رش الكيماوي على الشيعة، والريحة رجعتها على الأكراد السنة، مستحيل يقصد هذا".

وأخذ يتكلم بكلام سخيف، ذكرته في بعض كتاباتي التي تفصل حال هؤلاء القوم؛ وكان يصر ويتكلم وكأنه يبوح لنا بأسرار، يتفوه بها لأول مرة، بأن صدام حسين سني قح، وأن هناك تيارين يتصارعات بشدة داخل حزب البعث؛ تيار سني وتيار علماني، وأن التيار السني يمثله صدام حسين، وأن وأن وأن ...

الرجل كان مبهورًا بصدام حسين آنذاك؛ مع أن صدام في تلك المرحلة كان في قمة جبروته وطغيانه، ينكل بأخواننا المسلمين السنة في العراق، وأباد الأكراد إبادة معلومة لكل أحد؛ حتى أن أمريكا أنكرت هذه الإبادة؛ لأنه استعمل فيها سلاحًا كيماويًا؛ لأجل ذلك وليس حرصًا على المسلمين.

حتى أن جمعية إحياء التراث آنذاك وقفت مع صدام، وأخرجت منشور تنصر فيه "القيادة العراقية الفذة" و"بطلها الصنديد"، ضد المؤامرة الأمريكية كما سمتها؛ ونشرت هذا المنشور في الصحافة وفي الجرائد.

وذهبنا وقتها أنا وهؤلاء الأخوة إلى جمعية إحياء التراث، وتناقشنا حول هذا البيان مع الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، وكان آنذاك هو رأس هذه الجمعية؛ فأخذ يبرر بمبررات سخيفة لا طائل تحتها، يعني كلام من الواقع وأحداث وأشياء ومبررات والخطر الشيعي، ونحو هذا من المبررات التي لا تبرر الانحياز إلى طاغية كصدام، بل مدحه والثناء عليه وتضخيم أمره؛ بل قالوا: "إنه في رقبة كل عربي ومسلم، دين للعراق الأبي وبطله الصنديد"؛ فـهذا الدين دفعوه من دماء أبنائهم بعد ذلك، عندما اقتحمت الدبابات العراقية الكويت، وفعلت أفاعيلها في الكويت؛ وفر هذا الشيخ وأمثاله، فروا من هذا "البطل الصنديد"، الذي كانوا يدافعون عنه.

على كل حال هذه ملفات قديمة نذكرها للتاريخ؛ وقد بلغني أن الشيخ عبد الرحمن تغير الآن، وتوجه توجهًا طيبًا لم تصلني تفاصيله؛ ولكنه

تاريخ لابد أن يشار إليه إشارة، ولا نريد أن نفصل وأن ندخل في التفاصيل، نذكره على سبيل الإشارة.

فالشاهد، لما ذهبنا إلى تركيا وأخذنا تبرعات، وذهبنا أيضًا بالفعل إلى الجنوب والغرب؛ وذهبنا إلى ماردين وإلى مخيمات ديار بكر وموش، والتقينا بالأكراد الذين قد نزحوا بعد مذبحة حلبجة، وأوصلنا إليهم ما استطعنا أن نوصله من التبرعات.

وحصلت مواقف لطيفة ذكرت إني قد أشرت إليها؛ أن بعض الأكراد العوام قاموا يشكرون حكومة الكويت وحكومة خادم الحرمين وغيرها؛ لأنهم أرسلوا هذه المساعدات؛ فصححنا لهم هذا الخطأ، وذكرنا لهم أن هذه مساعدات من إخوانكم وأخواتكم المسلمات، هذه ليست من الطواغيت والحكام؛ بل نحن نعاني من هؤلاء الحكام، كما تعانون من صدام وهؤلاء كفرة مثل صدام.

وغير ذلك من قصص ذكرتها في بعض كتاباتي، وليس المقصود هنا تفصيلها؛ ولكن المراد أنني من خلال هذه الرحلات، التي سبقت انتهاء إعداد كتاب (الكواشف)، تعرفت على شباب في تركيا، منهم بعض الشباب الذي كانوا يدرسون معي في العراق؛ فوجدت أن بعضهم كان عنده مكتب يصف فيه الكتب ويطبع فيه الكتب؛ فقررت عندما انتهيت من كتابة كتابي أن أرسل كتابي لهذا الشاب؛ ليصفه لي في تركيا من ناحية أمنية؛ حتى لا ينكشف أمره قبل أن ينتهي في الكويت، فإذا صففته في الكويت وإذا علم به أحد؛ لأنني أول مرة – في تلك المرحلة أكتب كتاب بهذا التفصيل.

يعني كتاب "كشف النقاب"، وإن كان متعرضًا للنظام الكويتي؛ ولكن نحن طبعناه على الآلة الكاتبة، فلم يكن هناك أي خطر من انكشاف أمره؛ في بيت طبعناه، ولم نعطه لأي مؤسسة صحفية أو مؤسسة طباعة. أما هذا الكتاب، فكانت النية قائمة على طباعة هذا الكتاب؛ كتاب (كشف النقاب) لم نكن نفكر في طباعته، ولكن نشره بين

الشباب في الكويت، أما هذا الكتاب فكنا نفكر في طباعته حقيقةً، في أي مكان عالميًا؛ ولذلك فكرت في صفه وطباعته.

فأرسلته لهذا الأخ في تركيا، وطلبت منه أي يصفه، وعندما يكون الصف جاهزًا يرسل لي نسخة؛ لأصححها وأبعث له بالنسخة النهائية. فإذا كان الصف قريب من النهائي يرسل لي؛ فآتي وأزوره وآخذ هذه النسخة وأفكر أين أطبعه؟

وبالفعل اتصل بي الرجل، عندما انتهى من صف الكتاب؛ فذهبت إليه وجلست تقريبًا أسبوع معه، نعدل بعض التعديلات، ونضيف بعض الإضافات، ونضع الخطوط النهائية للكتاب؛ ووعدني وقال لي: "تأتيني يوم الخميس، لأعطيك النسخة النهائية".

ففوجئت في صباح ذلك الخميس، عندما جئته لأستلم النسخة النهائية، بأنه يقول لي بأن صدام حسين قد دخل الكويت هو وجيشه؛ وأنا كنت سآخذ هذه النسخة وأرجع إلى الكويت، ولم يكن في ذهني آنذاك قرار أين سأطبع الكتاب؟ كنت سأفكر وسأشاور وسأستخير.

فالحسابات كلها تغيرت؛ صدام حسين دخل الكويت بجيشه، لم أصدق الأمر، أنا أعرف أنه قد كان هناك مناوشات، ومشاكل على مسائل نفطية وديون ونحوها؛ ولكن لم أكن أتصور أن الأمر سيصل إلى هذا الحد، وأنا في تركيا وأولادي في الكويت.

فاتصلت بالكويت؛ وفعلًا أكد لي أهلي بأن الجيش العراقي في كل مكان منتشر، وأنه احتل الكويت، وأن الحكومة فرت، وأن الناس اختلط الحابل بالنابل؛ فاحترت أنا ولم أعرف أين أتوجه؟ ولكن من تقدير الله –عز وجل – أنه كان ما زال في جوازي (فيزا) صالحة آنذاك لباكستان؛ فصورت نسخة من الكتاب الذي كان قد جهز نهائيًا، وأرستها في البريد إلى باكستان قبل أن أسافر؛ مخافة أن تؤخذ مني النسخة التي سأذهب بها بيدي.

وسافرت إلى باكستان، وهناك ذهبت إلى الشباب دكتور أحمد الجزائري والأخوة الآخرين، الذي يتحمسون لطباعة أمثال هذه الكتابات؛ بل أن الدكتور أحمد الجزائري كان قد يئس من أفغانستان، وكان قد ضاقت به الدنيا بما رحبت، ويفكر بالعودة إلى لجزائر.

ولكن لأنه هو ومن معه قد قلتهم الجماعات، فلم تعطهم حتى تذاكر السفر، التي تيسر لهم العودة إلى بلادهم، رغم أنهم قد شاركوا في الجهاد الأفغاني سنين؛ ولكن لما وصلوا إلى هذه القناعات في المرحلة النهائية، صاروا يرمون بقوس العداوة، ويوصفون بأنهم تكفيريين وغير ذلك من الأوصاف؛ ولذلك حرموا حتى من تذاكر السفر، التي يعودون بها إلى بلادهم.

فلما جئت تلقفوا هذا الكتاب وطبعوه مباشرةً، وكان عندي مبلغ من المال، خصصته لطباعة هذا الكتاب فطبعوه مباشرةً؛ حتى أنني علمت بعد ذلك أنه من ريع بيع نسخ هذا الكتاب، تدبّروا أمر تذاكرهم وسافروا إلى بلادهم، إلى الجزائر بعد ذلك.

فعلى كل حال طبع الكتاب في باكستان (أول طبعة)، وكان له صدى واضح في بيشاور؛ بيع في كل مكان ووزع في كل مكان؛ أمام المساجد، وفي المضافات، وفي المعسكرات، وفي كل مكان انتشر الكتاب.

حتى أن كثير من الشباب من الجزيرة أخذوا هذا الكتاب، وتحايلوا بحيل شتى لإدخاله إلى الجزيرة؛ منهم مثلًا: أعرف شاب وضعه في مغلف، وكتب رسالة: "إلى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز، المرجو النظر في هذا الكتاب الخطير، الذي يكفر الدولة والرد عليه".

والأخ يحب الكتاب ويريده، ولكنه يريد إدخاله بأي طريقة، حتى يصوره وينشره؛ فكتب هذه الرسالة موجهة كفتوى إلى الشيخ ابن باز – كأن هذا الكتاب مرسل إليه ليرد عليه –، وأغلق المغلف وكتب عليه في الخارج: "إلى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز"، ووضعه في ملابسه؛ حتى إذا فُتح في المطار، وجدوا كأنه رسالة إلى الشيخ ابن

باز مطلوب منه فتوى فيها، يعني إذا فتح في المطار فلا ضير عليه؛ فتمكن كثير من الإخوة من إدخال الكتاب، بهذه الطريقة وبغير هذه الطريقة؛ وانتشر الكتاب كالنار في الهشيم في الجزيرة، في كل مكان بفضل الله – عز وجل –.

وأنا أعرف كثير من المشائخ والدعاة ورؤوس الجماعات الإسلامية، – بفضل الله عز وجل وحده – تغيرت وجهة نظرهم في هذا النظام، وتغير حكمهم على هذا النظام بعد قراءتهم لهذا الكتاب؛ وحُدِّثْت بذلك، حُدِّثْت بأن أقطاب وأعلام في التيار السلفي الجهادي – ولا أريد أن أسمي أسماء –، ولكن بلغني أن كثير من الأسماء اللامعة في زماننا هذا، ورؤوس الجماعات الجهادية والتيار السلفي الجهادي، غيّرت نظرتها إلى هذا النظام، الذي كان مُشكلًا عليهم قبل ذلك، بعد قراءتهم – بفضل الله عز وجل وحده – لهذا الكتاب.

على كل حال؛ أنا بلغني أن كثير من المشائخ أثنوا على هذا الكتاب، حتى داخل الجزيرة، وكان بعضهم سرًا يمتدحه ويوجه الشباب إلى قراءته؛ بل إنه – كما أخبرت من قبل – الشيخ مقبل بن هادي الوادعي على تساهله في مسائل التكفير، رضي بأن يجعل الكتاب في مكتبته؛ وبلغني أن ملاحظته عليه كانت فقط على عنوانه، فقال: "لو أنه قال (الكواشف الجلية في فضائح الدولة السعودية)، أفضل من أن يقول (... في كفر)".

وأنت تعرف حساسية هؤلاء الناس في مسائل التكفير، أو جهلهم في هذا الباب أصلًا، هو الذي أورث هذه الحساسية؛ ولكن الإنسان عندما يتكلم فيه بعلم، فلن تكن هناك هذه الحساسية.

على كل حال؛ انتشر الكتاب – بفضل الله عز وجل – في كثير من الساحات، وأنا أعرف بأنني صنفت، والذي يُصنّف قبل أن يبدأ بالتصنيف يجمع مادته؛ ولأنني قلبت الكتب في المكتبات الخاصة والعامة، ودرت في السعودية ونظرت وبحثت؛ فأنا أعرف أنه لم يكن

قبل ذلك قد كتب إنسانًا سنيًا ضد هذا النظام – أنا لا أعرف في حدود علمي –، بهذه الصورة الصريحة في الحكم على تكفير النظام.

نعم كتب ضد هذا النظام طائفتين؛ ولم تكن كتابتهم علميّة كما نرتضيها نحن في منهجنا، ولم يتكلموا عن التكفير أصلًا، وإنما تكلموا في فضائح هذه الدولة وعمالتها؛ الطائفة الأولى: الشيوعيين أمثال ناصر السيد، وكتاباته تفتقر إلى لدقة؛ لأنه كما يذم آل سعود فهو يذم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويطعن في المشائخ، ويطعن في الدين، ويطعن في الإسلام، فهو رجل شيوعي وشيعي، في كتابه (تاريخ آل سعود)؛ فكتابه يفتقر إلى المصداقية، عند طلبة العلم وعند الموحدين، وعند شباب الجزيرة الموحد الذي يحب الكلام العلمي الشرعي.

والطائفة الآخرى التي كتبت: هم الشيعة الروافض؛ ففي إيران طبعت كثير من الكتب، التي لا تذم آل سعود فقط، بل تذم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتصفه بأوصاف شنيعة؛ والكذب فيها واضح، والافتراء فيها بين؛ ولذلك لا مصداقية لهذه الكتابات عند أهل السنة.

لذلك كان هذا الكتاب أول ما كتب من سني متوجه؛ يعني ينقل عن علماء نجد وعن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير، وأمثالهم من العلماء الربانيّين؛ فكان لهذا السبب قيمة علمية لهذا الكتاب، وكان له قصب السبق، يعني بعد هذا الكتاب جاءت كتب كثيرة بعد ذلك؛ مثل ما يقول المثل العامي: "إذا سقط البعير كثرت سكاكينه"، فإذا اقتحمت أنت الباب يتجرأ الناس بعدك.

فجاءت بعد هذا الكتاب رسائل كثيرة جدًا، بعضهم هذّب كتابي ونشروه، وبعضهم كَتب كُتب جديدة في النظام؛ مثل مثلًا جماعة المسعري والفقيه وغيرهم، كتبوا كثير بعد ذلك في النظام السعودي، وكثير آخرين كتبوا؛ حتى أني أظن المسعري اختصر وهذّب كتابي وأنا في السجن أو أخذ منه، وأظهر إعجابه به، ولكنه انتقد عليه أشياء لا تستحق النقد؛ انتقد عليه: "أن المؤلف يتوجه التوجه السلفي

التقليدي، وينقل تحريم الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ لقضايا الدخان".

وهؤلاء التحريريين هذا دأبهم، يزعجهم دائمًا الكلام في الدخان؛ وأنا لم أتكلم في أحكام تفصيلية في الدخان، ولكني نقلت فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم؛ في مسألة الحكم في المحاكم الشرعية، وتقليص الدولة لصلاحياتها، وتلاعبها في اختصاص المحاكم الشرعية؛ هذا الذي انتقدته.

ومن ضمن الأمثلة التي ذكرتها وسقتها في هذا الباب مسائل كثيرة؛ مثلًا: حكم الشيخ على أن سرقة الصليب لا يجب فيها قطع اليد – من الأحكام الغريبة، التي لا تتناسب من أهواء آل سعود –؛ لأن الصليب مال غير محترم ، يقول ولو كان ذهبيًا مثلًا، ومن أمثال ذلك أيضًا: حكمه عل من سرق كمية من الدخان أنه لا يقطع؛ لأن الدخان مال غير محترم.

فذكرت هذا، وقلت أن هذا لا يتلاءم مع سياسة آل سعود؛ فهم ليسوا حماة الدخان فحسب، بل حماة الخمور أيضًا؛ فكيف يقبلون بمثل هذه الفتاوى من الشيخ؟!

فلا بد أن يهيئوا أماكن أخرى غير المحاكم الشرعية، ترقع لهذه المفاسد التي أدخلوها؛ من الدخان والخمور وغيرها؛ ولهذا أنشؤوا مكاتب سموها بالمكاتب التجارية ومكاتب العمال ومكاتب المخدرات وغيرها؛ التي تحال إليها القضايا، التي لا تناسب فيها أحكام المحاكم الشرعية آل سعود وغيرهم من المفسدين.

فلذلك أنا مثلت هذه الأمثلة على سبيل التمثيل، ولم أتكلم في حكم الدخان وغيره؛ ولكن – سبحان الله – هؤلاء الناس يُدققوا في هذه التفاصيل.

على كل حال، الكتاب انتشر – بفضل الله عز وجل –؛ ولم يعد في الإمكان مع ثورة الإنترنت منع هذا الكتاب من دخول السعودية وغير

السعودية؛ فانتشر – بفضل الله – وتعدى الحدود، هذه كانت مرحلة كتابة هذا الكتاب وطريقة طباعته.

11- مرحلة الكويت

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين:

بعد أن طُبع الكتاب في باكستان وحقيقةً الساحة الأفغانية آنذاك في ظل هيمنة الأحزاب المتخبطة لم تعد تعنينا؛ لأننا نشرنا هذا الكتاب ومن قبله نشرنا ملة إبراهيم وبدأنا نفكر في الرجوع إلى بلادنا للعمل الجهادي هناك، حتى أنني في تلك الفترة كتبت رسالة صغيرة -ضاعت لا أمتلك منها نسخة- نشرتها في باكستان عنوانها كان (لماذا الجهاد في أفغانستان وليس في عربستان؟) وجعلتها أسئلة مقارنة بين نظام نجيب وبين الأنظمة الحاكمة في بلادنا، وأن هناك مساجد تحت ظل نظام نجيب العميل الشيوعي، وأن هناك مساجد تحت هؤلاء وأن هذا يدعي الإسلام وأولئك يدعون الإسلام، مقارنة بين هذه الأنظمة ولماذا يكون الجهاد فقط في أفغانستان، لم أنكر أن يوجد الجهاد في أفغانستان ولكن قلت لماذا يوجد الجهاد فقط في أفغانستان ولا يكون الجهاد في عربستان؛ فهي دعوة للشباب بأن يتبصر؛ أنت جاهدت هنا أيضًا وإذا رجعت إلى بلدك فهناك أيضًا جهاد، عُدَّ العدة له واسعَ للعمل للدعوة والإعداد لأجل هذا الجهاد الذي هو يشبه الجهاد الذي خضته في أفغانستان، فأولئك طواغيت كما أن نجيب طاغوت، رسالة صغيرة؛ رسالة مقارنة بين طواغيت الأنظمة العربية والطاغوت نجيب وأنهم كما يدعون هم الإسلام يدعي هو الإسلام، كما هم يبنون المساجد يبني هو المساجد، وأتيت بمنشورات كان لهؤلاء الشيوعيون ودعاويهم أنهم يحبون الإسلام وأنهم مسلمون واستشهدت بأقاويل كثير من الشباب أنهم كانوا عندما يحققون مع بعض الأسرى الأفغان، يدَّعون الإسلام وكنا نسمع أحيانًا أذان الأفغان المقاتلين للمسلمين، نسمع أذانهم من بوسطاتهم وقت الإفطار في رمضان، كنا نتحين وننظر غروب الشمس إذا كنا بين الجبال أو كذا لا نعرف وقت الإفطار، فكنا نعرف أحيانًا الإفطار من أذان هؤلاء الذين يحاربون المسلمين وينصرون نظام نجيب، فكنت أمثل بأمثلة كثيرة

جدًّا مقارنةً بين هذه الأنظمة ولماذا يكون الجهاد فقط، أو لماذا يجب الجهاد فقط في أفغانستان ولا يجب في عربستان؟

على كل حال، رجعنا إلى بلادنا، وأنا بالنسبة لي رجعت إلى الكويت وصدام محتل الكويت، فطبعًا الرجوع للكويت لم يكن مباشرة ولكني رجعت إلى الأردن ودخلت إليها والتقيت هناك بأحد الشباب الذين كانوا قد شاركونا في المعسكر الذي ذكرته في جاجي، كان عندي عنوانه فكنت أحتاج المكوث في يوم لإجراء بعض المعاملات لكي أرجع إلى الكويت؛ فذهبت وبتُّ عند هذا الشاب، وهذا الشاب هو أحد الشباب الذين اعتقلوا معنا بعد ذلك في التنظيم الذي سمته المخابرات ببيعة الإمام، وهو مجاهد نبيل أبو حارثية فذهبت وبتُّ عنده ليلة وكانت هذه الأوقات التي جئته زائرًا بها أوقات ما قبل اعتقال هؤلاء الشباب في قضية ما عرف باسم جيش محمد، فحتى أنه لما استقبلني أراد أن يأتي بالكلاشنكوف ويرمي بالهواء علامة على استقبالي وفرحًا بقدومي فقلت: ما هذه الفوضى نحن جالسون في بيشاور أو أفغانستان؟ قال: عادي؛ فوجدت التساهل الأمني عند هؤلاء الشباب، بل وجدت اختلاط الحابل بالنابل ليلتها عندما بتُّ عنده جاءه شاب ممن يصنفون بالمرجئة الذين يجادلون عن الحكام والذين لا يكفرون الحكام، شخص كان قديمًا مع جماعة جهيمان حُبس فترة وجاء هنا ودخل مع هؤلاء وهؤلاء ثم أُفرج عنه واتهموهم بالعمالة...، أي أصبح الأمور بينهم، مختلطة وغير منضبطة، ولذلك ليس من الغريب أن يُعتقل هؤلاء الشباب ويُجمعون كلهم وتُعمل لهم مثل هذه القضية؛ لأن الأمور كانت أمنيًّا ومنهجيًّا ملخبطة، فمكثتُ عنده هذه الليلة وأخذت هذا الانطباع، وذهبت إلى الكويت حيث أهلي.

دخلت الكويت ووجدت العراقيين مسيطرين على الأمور كلها، وجدت أن كثيرًا من الشباب الذين كنت أعرفهم قد فروا إلى الجزيرة، ووجدت هناك بقايا من الشباب، وجدت بعض الشباب الذين كانوا في الجيش ممن لم أكن أصافحهم وكنت أهجرهم لأنهم في الجيش قد تَخفّوا ولم يعد هناك جيش، فتجدهم قد أعفوا لحاهم

ويصلون في المساجد فأخذت أتألف قلوبهم ويحضرون دروسي، وعملت بعض الدروس في بيوت بعض الشباب حينها، وكنت أؤمُ في المسجد وأخطب في الناس وأحثهم على الصبر، كانت خطبًا عامة تحث على الصبر والرجوع إلى الله -عز وجل- وإصلاح الأحوال وغير ذلك.

وبفضل الله -عز وجل- كانت لنا فرصة في تلك الفترة بمساعدة بعض الشباب الكويتيين الذين ضاقت بهم الأمور، كمساعدتهم في تزوير بعض الهويات لتغيير هوياتهم؛ لأن الكويتي كان يضيق عليه وربما يعتقل ويؤسر فساعدتُ كثيرًا من الشباب بعمل هويات لهم لأن خبرتي في مجال الطباعة والأختام وغيرها من قديمة، فقد عملت في المطبعة واستطعت عمل أختام عراقية بل والكويتية القديمة التي قبل سقوط النظام، وعملت لكثير من الشباب هويات كيمنيين وكأردنيين وغير ذلك من الجنسيات التي كان العراقيون يتساهلون معها حتى يستطيعون التحرك، وكان الكثير من كبار السن الكويتيين قد هربوا بأولادهم وأسرهم فكنا نساعدهم بأن نجلب لهم الطعام والخبز غير ذلك.

كانت هذه مهامنا في تلك الفترة التي كان صدام محتلًا للكويت فيها، وكانت هذه ظروفنا؛ فكنا نطلب العلم وعملتُ بعض الدروس لبعض الشباب الذين منهم من كانوا عساكر ففهموا العقيدة وفهموا التوحيد ووعدوا بأنهم إذا رجع النظام الكويتي سيُلقون رتبهم وسيخرجون من الجيش وغير ذلك من الأشياء، كانت هذه فترة مفيدة ولما رجع النظام الكويتي وانهزم صدام وانسحب هو وجيشه كان لهذه الأعمال التي كنا نحتسبها عند الله -عز وجل- أثرًا عند الكويتيين؛ لأن الذاكرة تبقى منحفرة من الجيران والأهالي من كان يأتي إليه العراقيون ويستقبل العراقيين، ومن كان لا يتدخل بالعراقيين وكان يتلطف لجيرانه ويحسن إلى هؤلاء الكبار، فهذا يبقى محفورًا في الذاكرة ولذلك بفضل الله -عز وجل- الكثير من الإخوة الكويتيين حفظوا لنا هذا الأمر ودافعوا عنا عندما كنا نتعرض لبعض

الاستفزازات من الكويتيين؛ لأن الكويتيون لما رجعوا خاصة ممن كانوا بالخارج أجرموا بكثير من الفلسطينيين والجنسيات التي سموها وصنفوها أنها متواطئة مع صدام ولم يكن هناك إنصاف فأخذوا البريء بجريرة الظالم، وحدث خلالها نهب أموال وهتك أعراض وإساءة، فبفضل الله -عز وجل- وببركة الإحسان إلى الناس أحسن إلينا هؤلاء الناس وحفظوا عهدنا، حتى إني استمريت في الخطابة في المسجد الذي كنت أخطب فيه حتى بعد رجوع الكويتيين، خطبتُ ثلاث أو أربع خطب ووحينها كنت أشدد عليهم وتكلمتُ بأننا بريئون من صدام وبريئون أيضًا من كل طاغوت لا يحكم شرع الله وأشير إلى حكومتهم التي رجعت، وذكرت أن أسباب تسلط هؤلاء الطغاة على الأمة وعلى هذا البلد وغيره من بلاد المسلمين هو ترك شرع الله والتفريط في أحكام الله وغير ذلك، حتى أنه قام لي -بعد أحد الصلوات- أحد هؤلاء المتحاملون على من يصنفون عندهم بالمتعاونين -الجنسيات المتعاونة- أي الموازين كانت موازين جاهلية يصنف الجنسية إذا كان بعض الفلسطينيين وبعض الأردنيين أو اليمنيين تعاونوا مع المحتل العراقي فأخذ الجميع بجريرة هؤلاء المتعاونين، فقام لي أحد هؤلاء الكويتيون الذين يرجعون إلى هذه الأفكار الجاهلية فقال لي: لماذا لا تتكلم إلا عن تحكيم الشريعة والرجوع إلى أحكام الشريعة؟ لماذا لا تتكلم عن المتعاونين إذا؟ لم تتكلم الخطبة القادمة عن المتعاونين سنغيرك وسنأتي بخطيب من الأوقاف، فوعدته خيرًا، وقلت له: أبشر سأتكلم في الخطبة القادمة عن المتعاونين، وبالفعل خطبت الخطبة التي بعدها عن المتعاونين وكان الحديث كله دائرًا عن الذين يتعاونون مع الطواغيت المعطلين لشرع الله، وذكرت حديث كعب بن عجرة عن الأمراء الذين يبدلون ويغيرون وآخر الحديث ومحل الشاهد منه: (فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليسوا مني ولست منهم ولا يردوا على الحوض)، وذكرت الأدلة الأخرى التي تدل على أن إعانة الطواغيت ونصرتهم على تحكيم القوانين الوضعية هو من الكفر البواح، وأنه يجب البراءة والكفر بالطواغيت سواءً كانوا بعثيين أو

كانوا قوميين أو كانوا وطنيين أو كانوا ديمقراطيين، ويجب مولاة الله والمؤمنين وتحكيم شرع الله، هذه المعاني كلها كانت متضمنة لهذه الخطبة ولذلك كانت آخر خطبة لي ومنعت بعد ذلك، وجيء بخطيب يتكلم عن صدام وعن الغزو وعن المسائل التي يحبها الناس آنذاك، فكانت هذه تجربتنا في تلك الفترة.

في هذه المرحلة كان السلاح منتشرًا في البلد، والخنادق العراقية والدبابات العراقية والمواقع العراقية مبعثرة في كل أنحاء الكويت حتى بين البيوت، فمثلًا بيني كان قريبًا جدًّا من بيت -مسجد بين البيتين- فارغ، أهله كلهم فروا إلى السعودية فكان قاعدة للجيش العراقي وكان قد اتخذ على سطح هذا البيت مضاد طيران وداخل البيت ذخيرة وأسلحة، فبمجرد طلوع الصباح أصبحت وعرفت أن الجيش العراقي انسحب مباشرة، ذهبت إلى هذا البيت انظر وأجمع منه السلاح وما إلى ذلك، السلاح كان مبعثرًا فملأتُ سيارتي ربما خمس أو ست حملات ذهبت بها إلى البيت وملأت صناديق الذخيرة بها، كنت أظن أنها ذخيرة كلاشنكوف وبعد ما أنزلتها وعبأت المخزن في بيتي وطفحته بهذه الصناديق فتحت صندوقًا وإذا به مضاد طيران! كلها ذخيرة مضاد طيران فأرجعتها مرة أخرى.

كنا نبحث عما خف وزنه من السلاح وسهل اقتناؤه، إنسان يفكر بالجهاد، يفكر بأي شيء، سلاح يعني فرصة لا يفرط بها إنسان، فكان متوفرًا في خنادق العراقيين وكان بعض الشباب الكويتون يتخوفون من الذهاب إلى هذه الخنادق؛ لأن الحكومة كانت تشيع أن الخنادق فيها مصائد مغفلين، وأنها ملغومة وأن هناك خطر على المواطنين في الدخول إليها حتى لا يذهب الناس ويأخذون السلاح، فكنا مع بعض الشباب نشجع بعضنا بعضًا فيأخذوني وأذهب معهم ووفروا لي جوازًا كويتيًّا ووُضِعَت صورتي عليه حتى أتجول معهم؛ لأنه مع رجوع الكويتيين وحقد كثير من الجهلة منهم على الجنسيات الأخرى التي صنفوها بأنهم متعاونون كان التجول بأي هوية من هذه الهويات التي صُنفت أنها متعاونة خطر، ربما تقف على أي نقطة تفتيش فإذا عرفوا

بأنك يمني أو فلسطيني أو أردني أو حتى تونسي أو أحد الجنسيات التي صُنفت تُذل وتُهان وتُضرب وربما يجعلونك تزحف، وربما يعروك، وربما يأخذون أي شيء من سيارتك، ربما تُؤذى، ربما تُعتقل، كل هذا كان موجودًا وحصلًا بالفعل، تجاوزات عديدة تكلمت الصحافة المخالفة للنظام الكويتي آنذاك عن انتهاكات للأعراض وتكلم الناس كثيرًا عن أشياء من هذا القبيل ارتكبها الجيش الكويتي والجيش السعودي أيضًا، هكذا أنا قرأت تقارير نشرت في جريدة القدس العربي ورقة رسمية موجهة مرفوعة لحاكم الكويت آنذاك، حصلت مخالفات كثيرة.

نحن كنا ندور مع الشباب في الخنادق ونبحث، وكان بعض الشباب لهم اهتمام أن يجلب مسدسًا أو كلاشنكوف، أما أنا فكانت لي اهتمامات عديدة فإذا وجدت مسدسًا، أو كلاشنكوف، قرينوف خفيف، -أما الثقيل فلا- وبعض الأسلحة والقنابل اليدوية، كنت أجمع هذه الأشياء، فجمعت هاونات صغيرة، هاون 60، وهاون أكبر 85، أخذت مجموعة منها لأني كنت أفكر بعمل في داخل الكويت أو في خارج الكويت، حتى إني وجدت صواريخ سام 7 ولكن لكبرها والسيارة لم تكن تتحمل دفنتها في مكانها، كنت أفكر في عمل وقتال للأمريكان والبريطانيين المنتشرين في الكويت آنذاك، وكان هناك تسيب وارتخاء أمني، فهم دخلوا والشعب الكويتي يرحب بهم، فأخذوا راحتهم وينتشرون بين الناس، ومواقعهم غير محمية، فكنت أفكر بهذا الأمر ولكني أبحث عن من يقتنع بهذه الفكرة ويعينني، والكويتيون في تلك المرحلة كانوا يفكرون بأن هؤلاء الناس جاؤوا ليحرروا لهم بلدهم فكيف تدعوهم لقتال الأمريكان والبريطانيين آنذاك؟! الأمر عسير، لذلك طرحت هذه الفكرة على بعض الشباب الآخرين، طرحته على مصري فأيدني ولكن واحد لا يكفي.

كنت أفكر بقصف مواقع للبريطانين والأمريكان على ساحل البحر في منطقة الفنيطيس،كان لهم مواقع فيها العلمين البريطاني والأمريكي وكانت المواقع عبارة عن خيم وبيوت جاهزة ليست

كونكريت، بل بيوت جاهزة من فيبر قلاس، فهكذا ستكون الفاجعة عندهم شديدة جدًّا لأننا إذا قذفنا عليهم بالهاون فهذه البيوت والخيم من الفيبر لن تكون حائلًا دون شظايا الهاون، فكنت أفكر بأني بما جمعته من الهاونات وذخيرتها -كان عندي هاونات 60 وهاونات 80 و 85 -، وأخذت خمسة منها مع ذخيرتها وبما استكشفته عن المنطقة، المنطقة التي فيها المعسكرات هؤلاء على ساحل البحر، كان يمر بجوارها خط سريع فيه قاطع كونفريت في الوسط لا يتمكن أحد من الرجوع من الجهة الأخرى من السايد الآخر حتى يدركك إذا كنت تريد أن تقوم بعمل ثم تنسحب إلا بعد أن يسير مسافة طويلة حتى يذهب إلى الجسر ويلتف منه ويرجع، فهي كانت منطقة جيدة جدًّا بأن تضع من الجهة الأخرى التي كان بها مزارع مهجورة، تخيرت بيت منها مهجورًا أنصب على سطحه خمسة هاونات وبجوار كل هاون أضع خمس قذائف ويكون معي أربع إخوة وأنا الخامس، ونرى الموقع بأعييننا من فوق السطح ولا نحتاج إلى راصد، فيرمي الأخ القذيفة الأولى ثم يعدل على قذيفتة الأولى، أي على الأقل أربع قذائف تأتي على هذا المعسكر الواسع، ستكون الفاجعة لهؤلاء كبيرة، فكنت هذا الأمر يؤرقني وأفكر به ليل نهار.

نقلت الهاونا إلى مكان وأخفيتها في بيت كان مهجورًا -بيت أهله لم يرجعوا- وأخذت أبحث عن الشباب الذين يرافقوني في هذا العمل، وجدتُ هذا الأخ المصري ثم عرضت الأمر على شاب كان في أفغانستان التقيته قبل ذلك هناك فتحمس للأمر وقال: أنا آتيك بآخرين، فذهب وعرض هذا الأمر على شاب آخر لم يشارك في القتال الأفغاني -وفي حقيقة لم أكن مرتاحًا له كثيرًا ولكن كان له تأثير عليه- فأصبح عددنا أربعة، فبدأت أفكر أنا بخامس خلال هذه الأثناء، فجاءني هذان الشابان الكويتيان وعرضا علي أمر آخر، قالوا قبل أن نقوم بذلك العمل الذي أنت تريده نريد أن نُفجّر مركز الفنون، وهذا مركز الفنون كان لممثل خبيث شيعي اسمه (عبد الحسين عبد الرضا) وهو ممثل محبوب عند عوام الكويتين واستغل

محبة العوام له بأن تعدى حدوده وأخذ يستهزئ بأهل الدين والمسلمين والمشايخ في بعض مسرحياته، ولذلك تحامل عليه الشباب وحقهم أن يتحاملوا عليه فكان تفكيرهم منصبًا بهذا المستوى ويريدون أن ينتقموا من هذا الممثل بأن يفجروا مكانًا له أو شركة له تُسمى (مركز للفنون) موجود مركزها في السالمية وهي عبارة عن عمارة ومعرض هناك، فأرادوا أن يفجروها ووعدوني إذا قمنا بهذا العمل ونجحنا ولم يحصل شيء بأنهم سيقومون معي بالعمل الذي أردته، فأنا قلت لهم هذا عمل غير مهم وهذا عمل بسيط أنت ستفجر مركزًا لا عليه حراسات ولا هو عدو خطير والأمر لا يستحق، فأصروا أن نقوم بهذا ثم نقوم معك بالعمل الذي تريد فرضيت بهذا العمل معهم في سبيل أنهم سيوافقونني على العمل الآخر الأهم، وبالفعل رصدنا المحل وفكرنا بهذا الأمر وكان عندي في البيت قذائف RPG من النوع الذي يسمى RPG18 وهذه قذيفة تكون بقاذف فايبر كنا نراها في أفغانستان يحملها الكوماندوز الروسي معهم؛ لأنها قذيفة وفيها مقذوف تستعمل لمرة واحدة ثم يرمى القاذف، ليس قاذف دائم يستعملها هذا الرجل الكوماندوز مرة واحدة ثم يلقيها، فكان عندي مجموعة من هذه القذائف فأخذنا ثلاث قذائف منها، واستخدمنا سيارة هذا الشاب الثالث الذي لم يذهب إلى أفغانستان وبدلنا رقم لوحتها لأن السيارات المحطمة والمحروقة كثيرة في ذلك الوقت، ومن الأشياء التي كنت أفعلها آنذاك أني كنت أفك اللوحات التي أجدها للسيارات المحروقة وأضع في ذهني أني قد استعملها في المستقبل لأشياء من هذا القبيل، فركبنا لوحة مختلفة على سيارة هذا الرجل وجعلنا اللوحات معنا داخل السيارة وأخذنا ثلاث قاذفات في كل واحدة قذيفة، وجئنا بعد صلاة الفجر إلى الموقع وكنا متفقين بأنني سأرمي قذيفتين والأخ الآخر الذي كان في أفغانستان سيرمي قذيفة، وبعد ذلك نأخذ معنا حتى الفارغ هذا الذي سنلقيه ونلقيه في مكان آخر ثم نسير مسافة ونرجع أرقامنا الأصلية بعد أن نتخلص في أي حاوية من هذه فارغ القاذف، كان هكذا الترتيب فوقفنا بالفعل على شارع رئيسي الذي كان به المحل، وكان هناك عمارات ومنطقة

سكنية ولكنها عمارات بعيدة عن المكان الذي سنرمي به، ولأنه شارع رئيسي فالمسافة بين التقاطعات بعيدة وواسعة فلم نكن نخشى أن يتضرر أحد وكان ذلك بعد صلاة الفجر، توقفنا قليلًا حتى فرغ الشارع وكان المارة قليلين أصلًا، وسيارات قليلة، انتظرنا حتى ذهبت آخر سيارة ونزلنا أنا والأخ هذا الذي كان في أفغانستان فرمى هو القذيفة الأول وأصاب الهدف، ورميت أنا القذيفة الأخرى وأصبت الهدف ثم ذهبت لآخذ القاذف الآخر فإذا بالرجل الثالث الذي كان على مقود السيارة يتحرك ويتركنا وذهبنا نجري وراءه وركب الأخ الذي معي وأنا اردت أن آخذ القاذف الآخر ولكن صوت الانفجار بين العمارات يعطي صدى ويعطي نوع من الرهبة، فهذا الرجل أراد أن يهرب ويتركنا، فلم يدعني حتى آخذ القاذف الآخر وارمي القذيفة، ولكن سرنا وبقيت القذيفة معنا وانطلق بنا من الرهبة التي حصلت، فقلت في ذهني سبحان الله هذا مجرد رماية على مبنى وليس أمامنا عدو وأراد أن يتركنا ويذهب فكيف هذا سيرمي معنا ضد عدو أمامنا وكيف سيقتل وكيف سيفعل، بقيت في ذهني هذه المسألة متوجسًا أن هذا سيخذلنا ولن يقبل بهذا الأمر، وانطلقنا في هذا المكان وسرنا مسافة طويلة حتى جئنا إلى حاوية ألقينا بها القواذف الفارغة وأرجعنا لوحات السيارة الحقيقية وانطلقنا إلى البر نبحث أيضًا كما كانت عادتنا عن أسلحة وعن أشياء.

في ذلك اليوم انتشر خبر تفجير مركز الفنون ورجعنا إلى منطقتنا - وكنا نجالس بعض المرجئة وبعض الناس الذين هم الآن يطعنون بي ويخالفونني- دخلنا المجلس وكان بعض المرجئة فرحين بهذا الخبر مع أنهم لا يرون ذلك لكن لأن هذا الرجل كان من الخبثاء الذين يطعنون بالمشايخ كانوا فرحين بذلك ويدعون لمن فعل ذلك ولم يكونوا يعرفوا أننا نحن الذين قمنا به والتزمنا الصمت ولم نخبرهم بذلك، على أثر هذا العمل قام بعض الشباب بعد ذلك بأعمال مشابهة - فدائمًا الإنسان يسن سنة- فقام آخرون من الشباب لا نعرفهم وضربوا فرع مركز الفنون في منطقة خيطان، وآخرون أطلقوا النار

أيضًا على مركز للفنون في منطقة الفحيحيل أو المنطقة العاشرة، فهناك من يريد أن يعمل في الكويت ولكن هذا هو المستوى الشباب آنذاك لا أريد أن أظلمهم، هناك من كان مستواه أعلى ولكني لم أكن في تلك الفترة قد التقيته، مثل الأخ المجاهد البطل الشهيد -نحسبه من الشهداء، نسأل الله أن يبلغه الفردوس الأعلى ويجمعنا به في الفردوس الأعلى- الأخ عادل الغانم (أبو معاذ الكويتي) الذي قُتل في البوسنة، كان من الإخوة الذين أظن أني لو التقيتهم في تلك المرحلة فسيعينني، هذا من الإخوة الخواص، صحيح أنه كان يسير مع السلفيين ولكن كما ذكرت سابقًا كان يأخذ كتاباتي ويختصر منها أشياء ويحذف اسمي وينشرها بين الشباب، وكان له مشاركة في الجهاد أفغاني والشيشاني وبعد ذلك البوسنة وقُتل في البوسنة -رحمه الله-، فعلى كل حال قدر الله أني لم أجد هذا الأخ في تلك المرحلة؛ لأن تلك المرحلة كانت مرحلة عودة الكويتيين واختلاط الناس وأحوالهم والتحرك كان ليس سهلًا، وبعض الناس تأخروا في الجزيرة.

كان أبو معاذ آنذاك -عرفت هذا الأمر فيما حين رجعت الأردن- منشغلًا بجمع السلاح كما كنت أفكر كان هو يفكر ولكن قدر الله أننا لم نلتق في تلك الفترة ، وهو كان يجمع السلاح ويخزنه في مناطق في البر -كما فهمت بعد ذلك- لأنه يرى ويظن أن الروافض في الكويت كانوا يجمعون السلاح وأنه سيكون هناك قتال مع الروافض، فكانت هذه طريقة تفكيره التي بلغتني ولم أسمعها منه مباشرة، وبالتالي لابد لأهل السنة أن يجمعوا السلاح وأن يكونوا على حذر، فجمع كمية من السلاح وكانت كمية جيدة، وهو من الناس القلة الذين كانوا يشتغلون ويفكرون بهذا الأمر، واعتقل بعد ذلك لما اكشف أمره كما سمعت وأنا في الأردن وحوكم في محكمة أمن الدولة لأن عنده كمية سلاح كبيرة، ولكن لأنه كان على صلة مع الجهاد البوسنوي آنذاك سعى له بعض المحبين بأن جاؤوا له بأوراق من البوسنة ومراسلات وأشياء استدلوا بها أنه كان يجهز هذا السلاح ليشحنه إلى

مسلمي البوسنة دعمًا للمسلمين هناك، فكان الحكم مخففًا أو كأني أظن أنه خرج من القضية أو غير ذلك -لم أتابع الأمر لأني كنت وقتها في السجن-.

على كل حال بعد هذا الأمر أمهلت هؤلاء الشباب مدة حتى يبرد الأمر ثم جئتهم وقد كان كتب الحادث في الجرائد وأنه قد فجر مركز الفنون ونحو ذلك ورأيت صوره وهو يحترق، فجئت لهؤلاء الشباب بعد مدة وذكرتهم بما وعدوني به من أنهم قالوا إذا نجح هذا العمل سيوفون بوعدهم وسيقومون معي بالعمل الأهم الذي أنا كنت أتطلع إليه ،وكانت ما زالت الهاونات مخبأة في تلك العمارة المهجورة تنتظر، والناس بدأت تتوافد وترجع إلى الكويت وصاحب هذا لبيت عاجلًا أو آجلًا سيأتي إلى بيته، ولكن هذا البيت إجمالًا لم يكن مسكونًا كان تحت البناء ولذلك أنا اخترته لأضع فيه، وقلت حتى لو رجعوا أهل الكويت الذين هم خارج الكويت حتى يتفرغ ويعود إلى بيته هذا ويكمل بناءه يحتاج الأمر إلى مدة، فوضعت الهاونات وقواعدها وصناديق الذخيرة في سدة أحد الغرف -أظنها سدة الحمام- فجئتهم أعجلهم في الأمر وقلت لهم أن الأمر لا بد منه، فهذا موقع الأمريكان ما زال كما هو ومزارع المنطقة التي مقابلها في الجهة الأخرى من الشارع ما زالت فارغة والهاونات تنتظر فأين وعدكم؟ ففوجئت بأنهم بدؤوا يتململون ويتعذرون بأن هذا عمل كبير وعمل خطير وستذهب فيه دماء وأرواح، قلت طبعًا نحن نلعب! أكيد نحن سنذهب لاراقة دماء وذهاب أرواح، هل سنذهب للعب مع هؤلاء الناس؟ سنلقي هاونات على موقعهم، ألم تعرفوا هذا من قبل؟ أنا قلت لكم سنلقي عليهم ألعاب نارية؟! هذا الأمر من أول يوم عرضته عليكم، قالوا هذا أمر خطير وسنقبض في الإنتربول بعد ذلك...، وكان أكثر واحد متردد في هذا الأمر ورافضه رفضًا باتًّا هو ذلك الآخر وليس الأخ الذي كان في أفغانستان، وهو كان سببًا بعد ذلك في اكتشاف مركز الفنون، هذا الرجل كان له تاريخ تعاطي مخدرات والتزم مدة وبعد ذلك ضعف بعدما رجعت إلى الأردن أنا، ورجع لتعاطي المخدرات وخلال لحظات

ضعف يطلب من شرطي أو كذا في سجن حبوب مخدرة قال له إذا أعطيتني وأنا أعترف لك بقضية سُجلت عندكم ضد مجهول لا تعرفوها، وذكر له مركز الفنون وذكر له أنني أنا والأخ الآخر فجرناه معه وذكر له التفاصيل كاملة، وبالفعل اعتقل ذلك الأخ وحوكمت أنا غيابيًّا وحوكمنا في هذه القضية سبع سنوات وغرامة عشرين ألف لأجل ذلك المحل، ففكرت بعد ذلك بعد رفض هذا الشخص والأخ الآخر الذي أيده عندما وجده رافضًا، بقيت محتارًا ما الذي أفعله، الآن هؤلاء الناس عرفوا بالعمل وعرفوا بتفاصيل العمل فإذا قمت به وحدي أو مع آخرين فما الذي يضمن لي أن هؤلاء سيغلقون أفواههم، لا شك أنهم سيتكلمون فهم يعرفون، وهذا الأمر أمنيًّا غير صحيح، وهذا عمل على المستوى الدولي حتى لو عملت هذا العمل وخرجت من الكويت وتكلموا سيؤتى بي في أي مكان، وسألاحق أنا ومن سيقوم معي بهذا العمل، هذا عمل مكشوف لم يعد عمل متقنًا، فاحترت في هذا الأمر قلت إذا نفذنا هذا العمل بهذه الصورة يقينًا سيفتضح أمرنا؛ لأن هؤلاء لن يشاركونا وما الذي يضمن أنهم سيصمتون بدليل أنهم فضحوا العمل الأصغر فكيف بهذا العمل الذي سيثار إعلاميًّا وسيعمل ضجة وسيقتل فيه من يقتل من أعداد هائلة، منطقة كلها معبأة بالجنود والجنرالات والجيش الأمريكي والبريطاني، كان عملًا دسمًا وكان يسيل له لعاب كل من يستمع إليه من الشباب الذين يصنفون أنهم إرهابيون حقيقون، أما أمثال هؤلاء فمع الأسف لم أكن قد وقعت على أناس ربما يقومون ويقفون مع هذا العمل، كنت أتحرق لهذا العمل وبقي الأخ المصري يحثني هيا نقم به أنا وأنت وحدنا، أنا على هاونين وأنت على هاونين، يا أخي ما يصلح هؤلاء الناس عرفوا بالأمر، إذا قمنا به غدًا سيتكلمون مع أصدقائهم وأصدقائهم سيتكلمون مع أصدقائهم وهكذا سيصل الأمر، هذا عمل أصبح مكشوفًا ابحث عن غيره، حتى إنني في تلك المرحلة زار الكويت أحد إخواننا في أفغانستان من الإخوة الذين تعرفت عليهم في السابق وذكرته عندما كنت أدرّس في معسكر القاعدة، الأخ أبو مصعب الذي يشتهر برويتر، أمه متزوجة من كويتي في الكويت فجاء

يزور أمه وأخواته وإخوانه هناك، والأخ كان عنده تلفوني والتقيت به في تلك الفترة وذكرت له هذه القصة فجن جنون هذا الأخ وأصبح يلح ويصر أنه نقوم بهذا العمل، الأخ من الإخوة المتحمسين، وهذا لو كان عندي من قبل وكان معي ما تخيرت غيره مع إن رجله مقطوعة وعنده عين أيضًا مفقودة، انفجر فيه لغم عندما حاول ينقذ أخ ويخرجه من حقل ألغام، نفجر لغم في الأخ الليبي الأول فذهب يخرجه من حقل الألغام وكان يحمله على ظهره فانفجر لغم آخر في الأخ برجله وعينه، فهذا الأخ ما شاء الله أخ مجاهد وأخ لا يمكن أن يفوت مثل هذه الفرصة، لذلك لما عرف بأن هذه الخطة هكذا والهاونات موجودة والمواقع مدروسة جن جنونه وأخذ يلح عليَّ أن نقوم بهذا قلت له الآن هذا العمل انكشف لا أستطيع، وحقيقة هذا هو الصحيح العمل إذا لم يكن متقنًا من أوله وأمنيًّا مضبوطة أموره لا ينبغي الإقدام عليه، ولذلك حقيقة وجدت أن اختياري هذا كان صوابًا بعد ذلك عندما اعترف هذان الشابان بمركز الفنون وحوكمنا عليه غيابيًّا ولازلت إلى الآن معمم عليَّ ومطلوب للإنتربول -البوليس الدولي- لأجل هذا العمل، فقدر الله أن هذه الفرصة الذهبية ذهبت من أيدينا وبقيت الهاونات حتى رجع الكويتون، وأخبرني بعد ذلك بعض الجيران أن هذا الرجل صاحب البيت المهجور اكتشف هذه الهاونات واستدعى الشرطة فأخذوها، أي لم يعد لها قيمة لأن هذا هاون من النوع الكبير الذي كنت أنوي أن أنصب خمسة منه فوق تلك المزرعة وكل واحد يرمي خمس قذائف ونتركها في مكانها ونذهب، لم نكن نطمح ولم نكن نطمع أن نستعملها بأكثر من هذا، هذا كان هدفًا دسمًا عندنا فلم نكن نريد من هذه الهاونات أكثر من هذه الخدمة فقدر الله وما شاء فعل.

هذه كانت بعض الأحوال التي مررت بها في الكويت في هذه المرحلة، بعد ذلك بمدة بدأت هناك خلافات ومساجلات بيني وبين بعض الجماعات في الكويت وكانت الخلافات بيني وبين شباب من جماعة جهيمان وصلت لمرحلة فارقتهم بها وكنت أتكلم مع بعض

المرجئة في أخطاء ابن باز وابن عثيمين عندما كانوا يجعلون ابن باز وابن عثمين مجنًّا ودرعًا يدافعون بفتاويهم ويدفعون بها عن النظام السعودي، عندما كنت أتكلم في كفر الأنظمة ومن ذلك النظام السعودي؛ فلذلك حصلت خصومات بين وبين كثير من الشباب في تلك المرحلة فزهدت حقيقة في الكويت وزاد زهدي بها لما خرج والدي وعائلتي وأهلي أجمعون من الكويت مع من خرج من الفلسطينيين الذين ضاقت بهم الأحوال بعد رجوع الكويتين على إثر انسحاب صدام؛ فاخترت أنا مع أن هناك كان لي أصدقاء وإخوة أفاضل كويتون عرضوا علي أن يكفلوني وأن أبقى تحت كفالتهم -بمعنى الإقامات في ذلك الوقت-، ولكنني آثرت الرجوع إلى الأردن فيمن رجعوا فكان عندي كمية من القنابل والألغام والأشياء والآربجيهات والأسلحة الخفيفة والثقيلة، أخفيت بعضها من مسدسات وذخيرة وقنابل يدوية وألغام وصواعق كهربائية وغير كهربائية في عفشي، لم يكن عندي تلفزيون أخذت تلفزيونًا مستعملًا وفككته وملأته بالداخل وأغلقته، وقلت هذا تمويه وأتيت ببعض الأجهزة أخفيت فيها مسدساتي وأشيائي، ورحلت بعفشي إلى الأردن وأدخلتها هذه الأسلحة وهذه المتفجرات إلى الأردن، كان في ذهني أنني ذاهب إلى بلد هو مع حدود فلسطين فلعلي في المستقبل أستعمل هذه الأسلحة والقنابل والألغام في أي عمل جهادي، كان هذا هو تفكيري عندما أحضرت هذه الأسلحة وبقيت مخبأة عندي في البيت الذي استأجرته مدة حتى تعرفت على الإخوة.

12- الرحيل إلى الأردن والخلاف مع إحسان عايش

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

عندما استقررت في الأردن فوجئت في يوم من الأيام بالأخ أبا مصعب -الذي عُرِف فيما بعد بأبي مصعب الزرقاوي- يزورني في بيتي، كان الأخ أبو الوليد الأنصاري -حفظه الله- قد أعطاه عنواني في الأردن، وكنت قد تعرفت على أبي مصعب من قبل في بيشاور حيث التقيته في بيت أبي الوليد الأنصاري وعرفني عليه الأخ أبو الوليد، أي جلسنا يومًا مع بعضنا ثم ذهبنا نوصله إلى موقف الباصات، حيث كان متجهًا إلى منطقة ميرانشاه حيث كان يسكن مع أهله، وكان يدخل أفغانستان ويرجع إلى أهله في ميرانشاه؛ فالتقيت به عند أبي الوليد وتعرَّفنا.

فعندما رجعت إلى الأردن ورجع أبو مصعب كان الأخ أبو الوليد قد أعطاه عنواني، ونصحه بأن يتصل بي وأن يزورني وأن يتعاون معي في الدعوة، ووجهه هذه الوجهة؛ لأن الأخ أبو الوليد كان يحبنا ويقرأ بعض ما كنت أكتبه آنذاك كملة إبراهيم؛ فوجهه باتجاه أن يأتي ويتعاون معي من باب إحسان ظنه بي.

وبالفعل جاء الأخ أبو مصعب إليَّ وتعرفنا، وعرفني على بعض الشباب في الزرقاء وفي أرجان، وبدأت أعمل لهم دروسًا في التوحيد وفي المسائل التي تهم الشباب، وقمنا بتصوير كتاب (ملة إبراهيم) وتوزيعه، وكانت آنذاك الانتخابات البرلمانية على الأبواب؛ فكتبت كتابي (الديمقراطية دين)، هنا صنفته لم يكن مكتوبًا من قبل، كتاب "الديمقراطية دين، وَما يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ"، صنفتهُ في تلك الفترة، في فترة الانتخابات، وأنا كان عندي خلفية في هذا الأمر، وكان عندي تصور للانتخابات؛ لأننا كنا قد كتبنا من قبل، وذكرت أنا أيام الكويت وفي تجربة الانتخابات الكويتية لما لخَّصنا كتاب السيد الغباشي وسميناه

كتاب (القول السديد في أن المشاركة بالانتخابات مُنافٍ للتوحيد)، أو (في أن دخول المجلس مُنافٍ للتوحيد)، كتبت قبل ذلك كتاب (كشف النقاب)، فكان كتابة مثل هذا الكتاب أو مثل هذه الرسالة أمر يسير أمره؛ لذلك كتبتها في فترة قصيرة وجعلتها سهلة التداول على الشباب والناس عمومًا، وطبعنا هذه الرسالة ووزعناها في الأردن في ذلك الوقت.

كان هذا أول نشاط إضافة إلى الدروس التي عملناه، ووزعنا هذه الرسالة في أماكن كثيرة؛ وفوجئنا بأن هناك أناس، يصوروها أيضًا ويوزعوها دون أن نعرفهم، أي أنها لاقت قبول عند بعض الناس فساهموا أيضًا هم في نشرها.

وكانت هناك دروس دورية مرتبة، في الزرقاء وفي منطقة عويدان، وعملت أيضًا درسًا آخرًا لم يكن يعرف الشباب به في منطقة عمان، وكنا نصور بعض كتاباتنا ونوزعها بين الشباب.

كانت تقريبًا هذه هي النشاطات التي قمنا بها آن ذاك، هذه النشاطات وهذه الدروس لفتت انتباه النظام والمخابرات فبدأت تستدعي بعض الشباب الذين يحضرون هذه الدروس وتسألهم عن هذه الدروس، وماذا يدور بها، وتتحسس أخبارنا وأخبار هذا التوجه.

وأيضًا في هذه الفترة كنا نتنقل، ذهبت أنا وأبو مصعب وآخرين زرنا معان؛ ذهبنا عند شباب كانوا في أفغانستان، جلسنا عندهم وزرناهم، كنا نتنقل بين إخوة في جرش ربما في إربد وهكذا؛ نتعرف عليهم ونحتك بهم من باب الدعوة ومن باب نشر هذه الكتب.

ففي تلك الفترة، التقيت أنا بإحسان عايش، كان قد رجع من الكويت واستقر في إربد، فعندما التقينا كان يُصِر كلما رآني في إربد على ألا أبيت إلا عنده في بيته، وكان هذا في بداية أمره قبل أن تكون عليه أعباء يحسب حسابها، وقبل أن تكون له هناك صلات مع بعض الناس في الخارج ممن يكرمونه ويدعمونه؛ فلذلك لم يكن ربما يأبه في أن يوسع علاقاته معي ومع غيري.

بل أنه أول ما جاء، كان لا يبالي بما يتكلم؛ أنه في بعض المجالس التي كان يناقش بها التحريريين وحضرها بعض إخواننا في إربد صرَّحَ بتكفير أبي حنيفة وأشياء من هذا القبيل، ثم بعد ذلك غيَّر وبدَّلَ؛ لأنه بدأ يحسب حساب ما يُقال عنهُ وما يُنقل عنه.

فالرجل كان يستقبلنا، وكان دائمًا يُصِر على ألا يضيفنا في إربد غيره، وكانت أصلًا معرفتي به من أيام الكويت عندما كان يأتي ويتردد ويزور عديلي (عبد اللطيف الدرباس، أبو هزاع)، وهذا كان رجل قد سُجِن قبل حادثة الحرم، كان مع جماعة جهيمان فطلب العلم وحفظ كتاب الله وقرأ في السجن؛ فلما خرج كان إحسان عايش وغيره من الشباب يأتون يقرؤون ويدرسون عنده، فيرونني،كون هذا الرجل كان عديلي، تعرفوا عليَّ عنده فكانت هناك معرفة سابقة في الكويت.

ولذلك عندما كنت أذهب إلى إربد كان يصر على ألا أبيت إلا عنده، حتى عندما كان يأتي هو أيضًا إلى عمان كان يزورني، وأذكر عندما تزوجتُ زوجتي الثانية وكنت قد عملتُ طعام غداء بسيط -لم أعمل وليمة، لم يكن عندي إمكانية؛ فعملت طعام غداء بسيط-، وعزمت أخانا أبا مصعب وبعض الشباب، وكان هو أيضًا حاضرًا على هذا الطعام؛ أذكر عندما كنت أضع الطعام سمعت أصواتًا مرتفعة بين الشباب، وكان فيهم أخ من الجماعة الإسلامية المصرية وإخوة من المصريين؛ فسمعت أصواتهم ارتفعت وغضبوا حتى إن الأخ المصري يقول لي: "يا أبا محمد من أين أحضرت لنا هذا الإنسان أو هذا الشخص؟"، فقلت له: "خير؟"، قال لي: "إنه يطعن في المجاهدين في مصر، ويطعن في أبي عبد الرحمن، وأشياء من هذا القبيل".

هذا كان أول إظهار لإحسان لمخالفة هذه المسائل، لم يكن يظهر ذلك وهذه أول مرة أنا أسمع منه مثل هذا الأمر، لم يظهر مخالفتي أنا وإنما جرى نقاش بين الإخوة، على ما يقوم به الشباب في مصر من مواجهة للنظام ونحو ذلك؛ فأظهر مخالفته لهذا الأمر وطعنه في الشباب فأغضب الحضور عندي، أما غير ذلك فلم يكن الرجل

يراجعني بشيء؛ كان يعرف أنني أكفر الأنظمة، بل أكفر أنصار الأنظمة من جيوش وشرطة ومخابرات وغيرها، لم يراجعني في هذه المسألة في يوم من الأيام؛ بل كان يكرمني ويضيفني، ولم يكن ينكر عليَّ أي شيء مما أعتقده ومما أنتقد به المشايخ الرسميين أو السلفيين؛ بل بالعكس كان يظهر المداهنة لما أقوله.

حتى أنه كان ربما يستهزئ ببعض السلفيين الذين يتشددون بالفروع، ويتساهلون في الأصول، حتى أنه في مرة رأينا فيها صورة، لطاغوت من الطواغيت -لا أدري من هو- يصلي ويده على سرته فأخذ يستهزئ بطريقة السلفيين، وينتقد ويقول: "انظر انظر"، أي كيف يضع يده على سرته، ينتقده، فكان يستهزئ بالسلفيين الذين إذا أرادوا أن ينتقدوا طاغوتًا انتقدوه على هذه الفرعيات وتركوا أمر التشريع والحكم بغير ما أنزل الله ونحوه.

فكان هكذا معنا، كان يظهر هذه المسائل، وربما يداهننا فيما نقول ويظهر الاستهزاء بمن نخالفهم ويطعن بهم.

ولم يكن يُظهر أي مُخالفة، حتى أنه روَّج لبعض كتاباتي؛ فأول ما جاء إلى الأردن واستقر في إربد، كان شباب إربد وما زالوا إلى اليوم يشهدون ومنهم الأخ عمر مهدي وغيره، يقولون: "ما دلنا أحد على كتاب (إمتاع النظر) إلا إحسان عايش، كان ينصحنا يقول: "اقرؤوا هذا الكتاب، كتاب جيد" في أول مجيئه إلى الأُردن"، يقول –عمر مهدي-: "هو الذي عرفنا على الكتاب، وهو الذي دلنا عليه"، وبعد ذلك عند الخصومة، أخذ يستهزئ بمسمى الكتاب حتى؛ لما يذكر شخص، يقول: "هذا ليس من مرجئة العصر، ولا حتى مرجئة المغرب" وهو هكذا لسانه عنده الاستهزاء.

فعلى كل حال، نحن لا نريد أن نطيل الوقوف عند هذا الأمر، ولكن أُريد أن أقول أن هذا الرجل كان هكذا معنا؛ كان يرحب بنا، وكان يستقبلنا في بيته، وكان يصر أن لا أبيت إلا عنده إذا ذهبت إلى إربد، ولم يكن يظهر أي مخالفة مع أن عقيدتنا كانت في الأنظمة

وفي أنصار الأنظمة واضحة، وكانت كذلك عقيدتنا في تخطيء وتضليل المشايخ الذين يطعنون في المجاهدين ويبايعون الطواغيت أيضًا كانت ظاهرة واضحة، كتابنا (ملة إبراهيم) كان مطبوعًا مُتداولًا، كتابنا (كشف النقاب) كان معروفًا، أكثر من كتاب كان موجودًا، (إمتاع النظر) كان عنده ويعرفه ونصح الشباب به، كل ذلك كان ظاهرًا، لم أكن أستتر به ولم أكن أُخفيه ومع ذلك كان يرحب بنا وكانت العلاقة طيبة؛ فما الذي قلبه علينا بعد ذلك؟

هو يدعي بأن الذي قلبه علينا بعد ذلك طعننا في المشايخ، نحن من زمن نطعن في المشايخ الذين يوالون الأنظمة الحاكمة، خصوصًا منهم مشايخ السعودية ويطعنون في المجاهدين، دائمًا نطعن فيهم ليس بحديث هذا الأمر فهذه الدعوة مردودة لأجل أننا منذُ أن كنا بالكويت كنا نطعن في بيعة هؤلاء المشايخ للأنظمة التي تحكم بغير ما أنزل الله، النظام السعودي وغيره.

هذا من تناقضه؛ لأنه في مرحلة من المراحل كان يُكفر أبي حنيفة تقليدًا لبعض الشباب الذين كتبوا في ذلك، أو الذين تفوهوا بذلك. أذكر في الكويت أُثيرت هذه القضية بين بعض الشباب الذين كانوا في باكستان متأثرين بأهل الحديث الذين كتبوا ضد الأحناف، فهو تأثر ببعضهم وكان ينقل بعض هذه الأقاويل؛ لا يُبالي بتكفير أبي حنيفة ثُم ينكر علينا مجرد تضليل وتخطيء المشايخ الذين بايعوا الطواغيت!

على كل حال، دعك من هذه، هذه دعوى أنا لا أُصدقها، أنا لا أُصدق بأن سبب الخلاف معنا كان ذلك، هو ضخم هذه المسألة؛ لأن هذا يُرضي السعوديين ويُرضي مشايخ السعودية بأنه هو أفضل منا وهو يمقتنا وهو عادانا، يقول أنا نطعن في المشايخ؛ هو لا يُريد أن يقول شيء آخر، يقول هذا وهذا يُرضي عنه كثير من السعوديين وكثير من الكويتيين الذين يدفعون لمن وافقهم بالمذهب والاختيارات في هذا الباب.

وحتى أنني كنت أرى كلامه عليَّ، في بعض الأماكن وبعض المنتديات، ولم أكن أرد عليه لمدة طويلة، كنت أرى كلامه وخوضه فيَّ بعد ما خرجت من السجن ولم أرد عليه؛ ولكن أحد الإخوة من الجزيرة – سامحه الله –مرة استدرجني في بعض المنتديات، وأخذ يلح على أنه يريدني في أمر ضروري، وأن أرد عليه في منتدى من المنتديات؛ فلما جئت وقلت له: "أنا جاهز، ماذا تريد؟"، فذكر لي موضوع إحسان، ومقالات إحسان وهكذا فأصبح المجال محرج وأنه لا بد أن أتكلم؛ لأنه طلبني وجئته باسمي، ثُم بعد ذلك أنزل دعاوى إحسان وأقاويله، أنزلها كلها دفعة واحدة فما أمكنني إلا أن أرد ما أراه من باطل في هذه المسائل وأُبين التفاصيل.

فتكلم فجرَّ هذا الكلام وهذا البيان مهاترة مع إحسان لم أكن أُحبها ولم أكن أُريدها؛ لأن إحسان يخلُط الأوراق ويخلط الأمور ويتكلم في مسائل شخصية دون بينة، يتهمني بأنني سطيت على بنك في الكويت وليس عنده بينات، حتى لو كان ذلك حقًّا هو لا يملك بينات، لما حاججته وقلت: "ائتني ببينة"، عزاني لأحد الإخوة الكويتيين، اسمه جابر الجلاهمة وهو معروف، قال لي: "هو الذي يشهد بهذا، وهذا لا أظنه من مرجئة العصر، بل ولا من مرجئة المغرب"، هكذا يستهزئ.

فاتصلت بالأخ جابر، وقلت له: "يستشهد الرجل بك، هل أنت قلت لإحسان عايش، بأنني أنا سطيت على بنك؟"، فأنكر ذلك وقال: "هذا غير صحيح، وأنا لم ألتق بإحسان عايش، منذُ أن خرج من الكويت غير مرة واحدة في طوافي حول الكعبة؛ وهذا المقام لا تكلمنا فيه عنك، ولا عن أي شيء يتعلق بك".

كذلك من المسائل، التي كان يشنع بها عليَّ، أنني أقول بأن النساء الذين في الشوارع يجوز سبيهن؛ وهذه دعوى مردودة عليه عمري ما مررت في مثل هذا، وعمري ما تكلمت في هذا ولا كتابة ولا كلامًا، يدعي هذه!

وهو أيضًا عندما ووجه، وروجع في هذا الأمر، استدل بأن نسيبي أو عديلي "أبو هزاع"، يشهد بذلك تارةً يُقال، ينقُل عن من يقولون، بأن ذلك حصل أمام أبو هزاع في شوارع عمَّان كنا نتكلم وتكلمت وتفوهت بهذا الأمر، وتارةً يزعم أنه سمعه من آخرين يعني فيه تناقض في التهم التي يوجهها إليَّ في هذا الباب.

فما كان مني أيضًا إلا أن اتصلت بأبي هزاع وكان آن ذاك في اليمن، وسألته: "هل تشهد أنت، بأنه قد جرى أمامك مثل هذه الدعوى؛ بأنني أنا قلت أن النساء بالشوارع هؤلاء سبايا، يجوزُ سبيهن؟"، فقال: "هذا غير صحيح، وهذا مستحيل، ولم أسمعه منك قط؛ ولو سمعته لما أقررتك عليه ولأنكرته عليك، وأنت تعرفني أنني لا أسكت عن مثل هذا".

فالرجل ما عنده شيء، يتخبط تارةً يستشهد فلان، و تارةً يستشهد فلان؛ وجميع كلامه بنا ليس كلامًا علميًّا وإنما هي طعونات شخصية، حتى المسألة الوحيدة التي يتكلم فيها بمسألة شرعية مسألة الصلاة في المساجد ربما رآني عندما كنت أردد عليه في إربد تأخرت في الوضوء مثلًا أو كذا فأخذ من ذلك أن مذهبي أنني أتأخر بالوضوء وحاول تشنيع ذلك، "تأخر بالحمامات"، تعرف كيف الأسلوب الاستفزازي، الأسلوب غير العلمي، كيف الإنسان يُريد أن يشنع عليك، يقول: "كان يختبئ بالحمامات حتى تنتهي الصلاة!"، وما الذي يدعوني إلى الاختباء؟ هل هو إمام المسلمين، إذا صليت خلفه سيترتب عليَّ فتنة؟

إذا أنت رأيتني مرة تأخرت في الوضوء، أو إن حصل مني ذلك مثلًا عامدًا أو مُختارًا، أنا لا أذكر أن هذا حصل، لكن لو حصل مني هذا مثلًا مرة أو مرتين، هل تُؤخذ المذاهب الفقهية هكذا؟ أين كتاباتي المفصلة في هذا الباب التي أعرضت عنها كلها واستبدلت بأنك رأيتني مرة تأخرت في الوضوء، فزعمت أنني لا أُصلي خلف أمة المساجد؟!

أنا عندما جئت إلى الأُردن -للفائدة أذكر هذا وهذا سأُبينه في كتابي (مسائل الضرار، وحكم الصلاة خلف أولياء الطاغوت ونوابه)- وجدت هناك بدعة لم نعهدها في الكويت؛ قضية الدعاء للسلاطين على المنابر، هذه مسألة لم نتعود عليها في الخليج وغير موجودة عندنا في الكويت، ولم نرى خطيبًا يدعو للأمير ففوجئت بهذه المسألة، وأي إنسان يُفاجأ بمسألة لابد أن يحصل عنده اضطراب في بدايتها حتى يستقر مذهبه في هذه المسألة، ولكن لا ينبغي له أن يتركها ويهملها؛ لأن هذه مسألة تمس بها الحاجة يوميًا خمس صلوات أنت تصلي، فلا بد أن تدرسها وتأخذ بنتيجة.

فإذا كان الأمر في بداية مجيء الطلب واحترت في هذه المسألة وتلكأت، ولكني لم أُؤجل هذا الأمر ولم أُطِل الانتظار حتى عكفت وتفرغت ودرست المسألة وخرجت بهذه النتيجة التي هي: لا بأس من الصلاة خلف من يدعو لهؤلاء خلف السلاطين، مع كراهيتنا لهذا الدعاء إذا كان الدُعاء لهم بالهداية، وأن يحكموا شرع الله ونحو ذلك من الدعاء العام الذي يجوز حتى للكافر مع كراهية هذا الدعاء لما فيه من التلبيس وغير ذلك؛ لكن خرجنا بنتيجة: أن الصلاة جائزة خلفه، ولذلك استقام مذهبنا على ذلك، وأخذنا نفتي بهذا.

فهو تمسكه في مسألة والله إن تأخرت مرة في الوضوء يجعل هذا مذهبي! هذا من قلة إنصافه ولو كان منصفًا لنظر إلى حالنا على ماذا استقر؟ وكتاباتنا ماذا نفتي بها؟ لكن التعنت والخصومة تجعل الإنسان لا ينصف، وتجعل الإنسان يأخذك بالشبهة ويأخذك بالظن ويأخذك بأقاويل الشهود الذين لا يصلحون للشهادة؛ لكن الخصومة تُعمي وتصم.

فهذا كل ما عند الرجل، لم يرد على كتاب من كتاباتنا ردًّا علميًّا؛ بل بالعكس كما ذكرت من قبل كان ينصح شباب إربد بقراءة كتابي "إمتاع النظر"، ولكنه نسي ذلك والشباب الذين نصحهم،ومنهم عمر مهدي وغيره ما زالوا إلى اليوم يشهدون بذلك عليه.

على كل حال، دعنا نطوي صفحته الآن فلا أُريد أن أُكثر الخوض به لكن هو متلون، إذا جلس معه من يُكفر الحكام داهنه في هذا، وإذا جلس معه من لا يُكفر الحكام لم يُظهر ذلك، إذا جلس مع أُناس مثلًا يعرفونني ويمدحونني حاذر من الكلام عليَّ، وإذا جلس مع أُناس لم يشعر أن عندهم مودة لي أو كذا تكلم بأشياء كثيرة.

حدثني من أثق به -وهذا من الدلالة على تلونه- أحد الإخوة كان عنده موقع وهو طالب علم الحديث بل دكتور في الحديث عنده موقع، وله كتابات بالحديث والتخريج وهكذا، سأله ذات مرة عن رأيه في الكتابات فأثنى عليها ثناءً طيبًا وعطرًا؛ ولأن الرجل هذا الدكتور يعرف تلونه بعد ذلك أرسل إليه رسالة يسأله، يقول له: ما رأيك في موقع الدكتور الفلاني -يعني نفسه-؟ ولم يعرفه أنه هو السائل، لما كلمه في وجهه أثنى على موقعه، ولما جاءه هذا السؤال بالبريد الإلكتروني ولا يعرف صاحبه أخذ يذمه ويقول هذا لا يفهم، وهذا..إلخ

فهذه شهادة هذا الدكتور الذي أنا أعرفه جيدًا وهو أيضًا يعرفه ولا داعي أن نذكر اسمه أو نحرج هذا الأخ مع الرجل، ولكن هو عُهِد عنه هذا التلون وهذا التغير، فدعنا لا نريد أن نقف طويلًا عنده ونقلب صفحته.

وأنا ليست خصومتي مع إحسان أو غير إحسان، أنا آثرت أن تكون دائمًا خصومتي ومعاركي وحربي للطواغيت وأعداء الله، الذين يحاربون دين الله، أما الطوائف المنتسبة للإسلام حتى وإن خالفونا ربما نعرج عليهم تعريجًا هامشيًّا، ولكنهم ليسوا هم في صلب معركتنا وإن هم جعلونا من معاركهم التي يشتغلون بها، لكن نحن لا نجعلهم في معاركنا.

13- قضية بيعة الإمام

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، على نبينا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه أجمعين:

في مرحلة لاحقة، لما بدأ التشديد علينا، والطلب لنا؛ طوردنا ودوهمت بعض بيوت الشباب؛ جئت أنا ولم أطمئن، يعني بدأت المخابرات، تُداهم بيوت الشباب، الذين يحضرون عندي الدروس، واعتقلت بعضهم. فجئت أنا وتصرفت هنا، تصرف أُعده غير حكيم.

وهذه من الفائدة، لا بد من نقد الذات، وبيان الصحيح من التصرفات، والخطأ منها؛ لأننا نحن لم تكن عندنا، خبرة عسكرية، ولا تنظيمية ولا أمنية؛ فجئت أثناء المداهمات للإخوة وكذا، وأخرجت هذه القنابل والألغام، التي كنت قد جئت بها من الكويت؛ ولو بقيت في مكانها الآمن، دون أن يطلع عليها أحد، ربما لما اعتقلنا.

لن يعرف بها أحد، لأنه سرك في صدرك، إذا ما اطلع عليه غيرك، ما أحد يعرف؛ ولكن اذا ضاق صدرك عن سرك، فلا تلومن غيرك، فأنا جئت من باب، الأخذ ببعض الأسباب؛ وأن لا تبقى هذه الأشياء أمنيًا، عليّ في البيت، كوني أنا المتصدر للدروس، والدعوة والكتابة، والخطابة، خطبت في بعض المساجد، في تلك المرحلة.

فكنت متوقع مداهمة بيتي، لذا أردت أن أُخرجها من بيتي؛ فجئت بالأخ أبومصعب، فجاء أبومصعب معه برجل، هو ظله دائمًا معه؛ الذي هو أبو القسام خالد العاروري، يعني لا يأتي أبومصعب، إلا وهذا الرجل معه، ولا يذهب، إلا وهذا الرجل معه.

فكان هذا حاضرًا، ورأى أنني سلمت، القنابل والألغام لأبي مصعب، وطلبت منه أن يُخفيها، في مكان آمن؛ فأخذها أبو مصعب، وذهبوا بها إلى أبو المنتصر، محمد وصفي أبوخليل؛ ليضعوها في بيته.كون بيته كان آنذاك في منطقة جبلية وبعيدة؛ فالبنيان والسكان لم يكونوا وصلوا إلى منطقتهم؛ كانت منطقتهم مُنزوية، وكان قد بنى مسجدًا

صغيرًا، فيه بعض الأماكن، ممكن أن يُخبأ فيها؛ فخبؤوا هذه الأشياء، عنده فترة قصيرة.

ثم آلوا بعد أن وجدوا مكانًا أحسن، الذي هو في مزرعة لأبي القسام، فأخذوها منه ونقلوها إلى المزرعة. الآن هذه التنقلات، هي بداية الاختلال الأمني، وهذه فائدة، ليستفيد منها الآخرين من إخواننا.

يعني هذه القنابل، لوبقيت في بيتي، ولم يعرف بها أحد، خلاص لا أحد يعرف بها؛ لكن عندما سلمتها للأخ أبو مصعب، جاء معه أبو القسام، فأصبحنا ثلاثة؛ لو أخذها أبومصعب وحده، وأخبأها في مكانه، كان هذا أيضًا أأمن.

لكن عندما جاء أبو القسام، صرنا ثلاثة، عندما ذهبوا إلى أبو المنتصر، ووضعوها عنده؛ ثم رجعوا وأخذوها، أصبحنا أربعة، وخبئت القنابل في المزرعة. بعد ذلك، فكر الأخ أبو الهادي وآخرين، بالنزول لعملية بالضفة الغربية؛ فجاء أبو مصعب، وأطلعه بأن عنده قنابل، وأعطاه قنبلتين.

فلما أنا وجدت، أن الأمور بدأت هكذا تتوسع؛ رحت لأبومصعب، وقلت له: "ائتني بالقنابل، أرجعها عليّ"، الآن إرجاع هذه القنابل إليّ، أنا أعتبره خطأ أمني؛ هذه القنابل تسرب أمرها، في ناس أخذوا قنبلتين، فلان عرف، وفلان عرف؛ لفائدة إخواننا، لكي يتعلم إخواننا، ولا نجتر أخطائنا، ولا نكرر هذه الأخطاء.

وهذا ما كتبته في الوقفات، وهذا ما عنيته، في ذكر هذه التجارب؛ عندما يتسرب مثل هذا الخبر، وبهذه الطريقة؛ خلاص لم يعد هذا السلاح سلاح بيدك، أصبح سلاح بيد أعدائك، إن لم تستخدمه مباشرةً؛ وجوده في بيتك، عبء أمني عليك؛ لأنه خمسة ستة عرفوا، فلا بد أن يتسرب، هذا الأمر أولًا وآخرًا؛ ولابد أن يصل للجهات الاستخباراتية، ويصبح عبء عليك، ودليل مادي في محاكمتك.

فقبولي أن ترجع هذه القنابل، وإخفائي لها من جديد، بعد أن عرف بها، هذا العدد من الناس، هذا خطأ أمني لا شك، مجرد أن عرفوا، حتى لو كان الإخوة ثقات؛ أنا لا أشكك في الإخوة، فأنت لا تضمن، حالهم تحت التعذيب، وهذا ما جرى بالفعل.

أنا أول ما نزلت، أول ما اعتقلت، ونزلت على ساحة التعذيب، كنتُ آخر من اعتُقل؛ فوجئت أنا، وأنا أظن أني معتقل، لأجل الدروس، وهذا الذي كنا، نلاحق عليه ابتداءً؛ فوجئت في الساحة، أول سؤال تحت العصي، وتحت الفلقات، أين القنابل؟ أين القنابل؟!!

- أي قنابل؟ ما في قنابل.

- لا في قنابل، اضرب! جيبوله صاحبه!

فجيء بأبي مصعب، مثلي تعرض للتعذيب، وآثار الدم والضرب عليه، أين القنابل؟ أعطاك قنابل؟

- نعم أعطاني قنابل.

- جيبوا أبوالقسام، تعال، أعطاكم قنابل؟

- نعم أعطانا قنابل.

جيبوا أبو سليمان، وهكذا؛ الكل معترف، وأنا آخر من يأتي، وأحاول أن أنكر، أنّا لك أن تنكر؟ ومع هذا، حاولت أن أضللهم؛ وفكرت أثناء التعذيب والضرب، أن أتنازل قليلًا، لكن ليس دفعة واحدة؛ أقول لهم هناك قنابل، يعني صار لي، يوم كامل أنكر، فقلت لهم نعم.

لأن الشباب اعترفتوا لهم اعترافًا مفصلًا، فأنّا لك أن تنكر ذلك؟!! وهناك قنبلتين انمسكن مع الاخ عبد الهادي والآخرين؛ الذين كانوا يفكرون بالنزول لعملية، في الضفة الغربية؛ وكانوا قد ذكروا، أن أبا مصعب، أعطاهم هذه القنبلة، وأبا مصعب قد ذكر أنه أخذها، وأن هناك غيرها عندي.

فلم يعد هناك، مجال للإنكار المطلق؛ وهذا أيضًا من قلة تجاربنا، لو بقيتُ أُنكر، إنكارًا مطلقًا، هذا أنفع في المحاكم، حتى لو كانت الحقائق، أمامك كالشمس. إنكارك المطلق هو الأنفع، حتى لو ووجهت، بكل الناس تعترف عليك؛ اعترافهم يضرهم، أنت لا تعترف، لن يضرك اعترافهم، إذا بقيت غير معترف.

هذه التجارب، أخذناها فيما بعد؛ أتمنى أن يستفيد منها إخواننا، وأن لا يسجن أصلًا إخواننا، وأن لا يقعوا، بمثل ما وقعنا به؛ ولكن عدم الاستفادة، من هذه التجارب، وأن تضيق صدور إخواننا، من التحدث بها؛ والتحدث بهذه الأخطاء، ليستفيد منها الآخرين، هو الذي يوقع إخواننا بمثل هذه الأخطاء، ويجعلهم يكررونها، ويدفعون ثمنًا باهظًا، وقد قيل: "السعيد من وُعِظ بغيره".

يعني أن تتعلم، من تجارب غيرك، أحسن من أن تخوض هذه التجارب وهذه الأخطاء، مرات ومرات وتكررها؛ وتدفع ثمنها، سنوات من عمرك، في السجن.

فحتى إني حاولت أن أضللهم، ما اعترفت مباشرة، قلت لهم: "أنا بالفعل أعطيت أبومصعب، والشباب هؤلاء الذين جاؤوا"؛ واجهتم بها، أعطيتهم هذه القنابل.

(ولكن عندما أعادها لي أبومصعب، عرفت أن هذه الأمر افتضح"؛ وهو هذا بالفعل، الذي كان يجب أن أفعله، الذي ادعيته الآن، هو الذي كان يجب أن أفعله؛ فقلت لهم: "فلما شعرت، أن الأمر افتضح، أخذت هذه القنابل، وألقيتها في السيل؛ تحت منزلنا سيل مياه، يأتي من عمان إلى الزرقاء؛ ألقيتها في الماء، وتخلصت منها)، ادعيت هذه الدعوى.

فما كان منهم، من حرصهم على الحصول، على أي شيء؛ ليتأكدوا من ذلك، إلا أن أخذوني مع مرتب، ولبسوني البسطار ؛ لكي يخفوا آثار الضرب والتعذيب في رجلي، كانت ممزقة من التعذيب والضرب؛ الشاهد: حاولت تضليلهم، حاولت صرفهم عني، وعن إخواني.

والخبرات كانت قليلة آنذاك، وهذه أول قضية نقع فيها، وأول مرة نتعامل مع رجال المخابرات، ومكايدهم ومخادعهم؛ حتى إني حاولت، أن أمثل عليهم هنا بالسيل، وأخذت يعني بالفعل، أجعل نفسي كأنني أبحث، وكلما مسكت داخل المياه بصخرة، أخرجت أدعي أني لقيت واحدة.

مع ذلك بقينا، من الصباح حتى المساء، وهم يبحثون ويفرغون، الماء من السيل؛ آخر شيء رجعنا، وهم يتهددوا فيّ، ويقولون: "أنت كذاب، وسنُريك الآن على الساحة مباشرةً"؛ فذهبوا بي وضربوا وغير ذلك، ويعني لم تكن الخبرات كافية؛ لنعرف ماذا نفعل، خصوصًا وأن إخواننا، كلهم الآن مُسهَرين، وممنوعين من النوم.

وأنا لا أستطيع أن أقول، أن الإخوة أبو مصعب، وأبو القسام وغيرهم، قد اعترفوا بسهولة؛ لا شك أنهم قد نالهم، وذاقوا من العذاب ما ذقته، وكانوا طوال تلك الفترة، التي قبل اعتقالي، كانوا ممنوعين من النوم؛ حتى يدلوا على مكاني.

لكن لأني كنت قد اتخذت مكانًا لأسكن فيه، لا يعرفه أحد من الإخوة؛ فكان كل من يعرف، واحد تحت التعذيب، يدل عليه إلا أنا؛ لأني لم أكن أُعلمهم في آخر فترة، أين كنت أسكن؛ فلذلك تأخرت، وكنت آخر من اعتقلت، في هذه المجموعة.

في أثناء الفترة، يعني تقريبًا، أول تتبع مخابرات لنا، وأثناء قيامنا ببعض الدروس؛ وعندما كانت القنابل، مع الأخ أبي مصعب، جاءني عبد الهادي دغلس (الأخ أبوعبيدة – رحمه الله –) الذي قتل في كردستان؛ جاءني يشاورني ويستفتيني، بنزول عملية على الضفة الغربية.

وكان وقتها رمضان، قد جرت مذبحة في المسجد الإبراهيمي؛ اليهودي دخل على المصلين، وهم يُصلون صلاة الفجر، وقتل منهم عدد؛ فكانت ما زالت هذه المذبحة، آثارها ما زالت جديدة وحديثة؛ وكان الأخ متحمس، ومن قبل حاول أن ينزل، فكان متحمسًا في هذه

الفترة، أن ينزل هذه العملية؛ وكنا نحن في بداية دعوتنا وتوجهنا، وبدأت الدعوة تنتشر في البلد.

فحاولت أنا أن أبين له، أن الأمر ما زال مبكرًا، حتى نقوم بأعمال؛ فلنستمر قليلًا في الدعوة، حتى يكثر الإخوة، يكثر الأنصار، وبعد ذلك يأتي، وقت العمل المادي؛ يعني أن لا نتعجل، هذا الأمر الآن، والدعوة في بدايتها؛ فكان متحمسًا جدًا، وحريصًا على ذلك الأمر.

فما كان لي أن أخالفه، لأن هذا أمر شرعي ومشروع؛ وإن كنت حاولت، أن أؤجله، أو أؤجل هذا العمل، حتى تنتشر الدعوة؛ لأنه الأخ كان من الإخوة، النشيطين في الدعوة، وكنت أحرص على الإخوة، النشطاء في الدعوة؛ أن يبقوا بين الشباب، وأن يبقوا ينشروا هذه الدعوة؛ ولكنه كان متحمسًا، ومتأثرًا لأجل هذا الأمر؛ فلذلك قلت له: "على بركة الله، نسأل الله – عز وجل – أن يعينك، وييسر أمرك".

وبالفعل أخذ هو قنابل من أبومصعب، وكانت فيه هناك كلاشنات وكذا؛ وخطط هو وآخرين، للنزول للعملية، واعتقلوا بين إربد وعمان، ومسكت القنابل والأسلحة معهم؛ وكانت هذه بداية الخيط، الذي كشف القنابل، لأنه أخذ القنابل من أبي مصعب.

فلما دل على أبي مصعب، لا بد أن تقول، من أين لك هذه القنابل؟ وهكذا وهكذا، حتى وصل الخيط لي؛ كما هي عادة التنظيمات، أو الأعمال المسلحة والمادية؛ كيف يعني يجر الشباب، فيها بعضهم بعضًا؟

فكان اعتقالُنا في هذه القضية، التي سمتها المخابرات، بعد ذلك باسم "بيعة الإمام"؛ كان ظاهرُهُ ابتلاء ومكروه، عند أناس لم يخوضوا تجربة المخابرات قبل، ولم يدخلوا ساحة التعذيب، ولم يدخلوا السجون؛ ربما بعضنا كان قد دخل السجون، على قضايا دنيوية سابقًا.

بعض الإخوة هنا، عندنا في الزرقاء، كانت لهم سوابق مشاكل وكذا؛ ولكن أكثر الإخوة، بل أكاد أقول جميعُهُم، ربما قليل جدًا منهم، من

كانت له تجارب، سابقة مع المخابرات، وفي قضايا إسلامية؛ فلذلك كانت التجربة جديدة، ووفقنا الله - عز وجل -، لاستغلال هذه التجربة، التي ظاهرها كما قلنا مكروه؛ ولكنها تحولت إلى محبوب، وانقلبت المحنة إلى منحة، بفضل الله - عز وجل -.

لما وفقنا بفضل الله، أن نسخر هذه المحنة، نسخرها في المحاكم وفي السجون، وفي كل مراحلها؛ لأجل نشر دعوة التوحيد، وإظهار البراءة من الحكام والطواغيت، وقوانينهم ومحاكمهم وأنظمتهم؛ فكانت حقيقةً فاتحة خير، لهذه الدعوة في هذا البلد.

وكان تسلط الإعلام علينا، في تلك المرحلة، أعاننا لإظهار دعوتنا؛ والله - عز وجل - يسر لنا، أن يكون صفنا واحدًا، بفضل الله - عز وجل -، ثم بفضل بعض الشباب؛ الذين كان عقلهم واعيًا، يستوعبون مصلحة الدعوة، وغيرها في تلك المرحلة.

كان صفنا واحدًا مُوحدًا، لم يشذ عن هذا الصف، ولم يثبطنا ولم يحذفنا، إلا شخصٌ واحد؛ الذي هو أبو المنتصر، الذي ظهر بعد ذلك، في برنامج صناعة الموت، تحت عنوان "تكفيري تائب"، فكان مؤهلًا لمثل هذا من أول الطريق.

لأنه هو الوحيد الذي، كان كما يقولون، يغرد خارج السرب؛ بل هو الوحيد، الذي خالفنا واتخذ محاميةً، امرأةً نصرانيةً، من دعاة حقوق المرأة، وتحرير المرأة ونحو هذا؛ تخيل كان يعني، يأخذ محامي رجل، ولكنه اتخذ محامية امرأة؛ فكان شاذًا عن خط إخوانه، في هذا الباب، وفي غيره من الأبواب، كما سيأتي في المراحل اللاحقة؛ عندما أتكلم عن، تجاربنا في السجون.

لكن على وجه الإجمال، الله - عز وجل -، يسر أن نكون صفًا واحدًا، وأن نقف في المحاكم صفًا واحدًا، وأن ننشر دعوتنا، وأن نستغل هذه المحنة؛ لنقلبها إلى منحة، نرفع بها راية التوحيد، في السجون؛ ويخرج ذلك إلى خارج السجون، بفضل الله - عز وجل -.

مرحلة المخابرات كانت قاسية، لأنه كان فيها تعذيب، ليستخرجوا منا الإعترافات؛ كان فيها تسهير، منع من النوم مدد طويلة، الضرب المبرح من الفلقات وغيرها، والإخفاء عن الصليب الأحمر؛ عندما يأتي يسأل عنا، ويبحث عنا، إخفاء مدد طويلة، حتى تشفى آثار التعذيب، فكانت تجربتنا قريبة.

وكنا ننظر إلى هذا المكان، الذي نحن فيه، داخل المخابرات في الزنازن الانفرادية؛ لا يراها منا أحد، لا يرى بعضنا بعضًا، كان فيه نوع من الرهبة، ؛لأن هذه أول تجربة، فأكرمني الله – عز وجل –، بأن أشق سكون، هذه الزنازن.

هذه الزنازن انفرادية، فتجد السجن دائمًا ساكنًا وهادئًا، وهذا السكون يعمل رهبة، في نفس الشاب، الذي يأتي أول مرة للمخابرات؛ فأكرمني الله – عز وجل –، بأن أشق هذا السكون، وأن أسن سنة، هي لليوم بفضل الله – عز وجل –، جارية يتبعها ويفعلها الشباب.

فلأول وهلة فكرت أنا، وأخذت أنظر إلى هذه الطاقة [4]، يعني على أين تطل؟ فبدأت أنظر وأبحث في الطاقة، التي هي في أعلى الزنزانة، على ماذا تطل؟ ما الذي بعدها؟ فتسلقت في غفلة من الحراس ونظرت؛ وجدت بأنها تطل على الساحة، التي نتشمس بها أحيانًا.

وأن الساحة على شكل مثلث، وهذا المثلث فيه ثلاث كرادورات[5]، كل كرادور فيه، عشرة أو إحدى عشر زنزانة؛ جميع هذه الزنازن، تطل طاقاتها على هذه الساحة؛ بمعنى أنني لو تكلمت، أو صرخت أو ناديت، سيُسمع صوتي من سائر الزنازن، جميع الطاقات ستسمع صوتي.

فقلت: "إذن لماذا لا أستغل هذا للتكبير؟ لرفع معنويات إخواني، للتواصل مع إخواني"؛ هذه خطرت في بالي، فكانت تجربتي هذه،

---

[4] **الشباك الصغير.**
[5] **كرادور: الممر.**

أول يوم كانت يوم عيد الأضحى؛ فخرجت فصعدت على الطاقة، فناديت فقط بكلمات معدودات: "لَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا، لَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا"، حتى لم أُكمل الآية، وما أكملتها؛ لأنها كانت أول محاولة، فما صار رد فعل، العسكري ما انتبه، رغم أن صوتي كان عالي، ما أحد راجعني.

فتجرأت أكثر، فصعدت المرة الثانية، وقلت: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} بصوت أعلى؛ فسمعت واحدًا، من طاقة قريبة يقول: "الله يثبتك، الله أكبر، الله يجزيك الخير"، فهذا شجعني أكثر، قلت أصبح فيه تواصل، بدأت أسمع أصوات الآخرين، يفرحهم هذا إذن، ربما يعني نسن هذه السنة.

فصعدت مرة أخرى، وقلت: "استعينوا بالله واصبروا، الله مولانا ولا مولى لهم"؛ وإذا بشخص مباشرة، قبل أن أنزل مباشرة، يصعد على الطاقة، ويقول: "الله أكبر، الله يثبتك"، وإذا به من؟ عبد الهادي دغلس في طاقة أمامي.

هذه أول مرة، أرى شخص من الطاقة، هو ينظر إلي من الطاقة، وأنا أنظر إليه من طاقة؛ فتأخرت وأخذت أتكلم معه قليلًا، حتى جاء العسكري، ومسكني وأنا متعلق على الطاقة، وقال لي: "أنا سمعت الصوت، قبل هذه المرة، أنا أعرف، أنتم كذا"، بدأت يعني التشديدات والأمور.

ولكن هذه الشرارة، كانت هي التي سنت هذه السنة، بعد ذلك عبد الهادي بدأ يخرج، يعني تأسى بهذه السنة؛ وأصبح يخرج ويكبر، وينادي على الإخوة، وأنا من جهتي أخرج وأكبر؛ إذا قلت: "استعينوا بالله واصبروا"، يرد هو ويقول: "الله مولانا ولا مولى لهم"؛ ربما قلت: "الله مولانا ولا مولى لهم"، الضابط مولاهم، بئس المولى وبئس العشير"؛ يقول هو: "الله مولانا نعم المولى ونعم النصير".

وهكذا بدأنا نشق هذا الهدوء، الذي يفتعله أعداء الله، في السجن، ويكون فيه رهبة، في نفوس الإخوة؛ وبدأنا نسقط هيبة هذا السجن،

الذي يصطنعون له هيبةً، بهذا السكون وهذا الهدوء؛ الذي لا تسمع فيه، إلا أصوات الحرس فقط، ولا تسمع فيه أبدًا، أي صوت للمسجونين.

وأخذت هذه المسألة، تنتشر بين الإخوة؛ تجد واحد ينادي من هناك، وواحد يكبر من هنا، يعني يستغلون غفلة الحرس، يُمسك البعض، فيذهب به للإدارة، يُهدد ويعود. فبفضل الله – عز وجل –، انطلقت هذه السنة، حتى اليوم نسمع بذلك، في دائرة المخابرات، وكان هذا عامل، من عوامل التثبيت.

حتى إننا كنا أحيانًا، يعني مرة كنت أنادي، وكانوا يعملون تغيرات في الزنازن، وينقلون المساجين؛ فمرة صعدت على الطاقة أكلم، وإذا به أبومصعب، حاطينه في زنزانة في الزاوية جنبي، ورأيت وجهه وتكلمت معه؛ واتفقنا على أن تكون الإعترافات، بعد أن سُلِم كل السلاح والكذا.

اتفقت معه بأن تكون الإعترافات واحدة، بأني وهو نقول: بأن هذه القنابل وهذه الأسلحة، هي فقط للضفة الغربية؛ يعني أن يكون اعترافنا واحد، يعني لا يشذ واحد، ويقول: أننا كنا نفكر، بأي عمل داخل البلد؛ حتى نخفف عن أنفسنا البلاء، وهذا أيضًا ما اتفقته مع أخٍ آخر، قدر الله أني قابلته، بمثل هذه المصادفة، يعني بتقدير الله – عز وجل –.

ولذلك عندما حُولنا، بعد ذلك إلى السجون، كانت محاكمتنا تتركز على هذا؛ لأن إفاداتنا كلها، خرجت موحدة، أننا كنا ننوي، عمل مسلح في الضفة الغربية؛ فكان هذا مما يسره، الله – عز وجل – لنا، فخفف عنا الأحكام، وبذلك خرجنا بعد ذلك؛ في نهاية هذه الحبسة، خرجنا بعفوٍ، لم يكن خاصًا بنا، عفو عام شمل كثير من القضايا؛ ومن ضمن القضايا قضيتنا.

أما القضايا التي كانت، اعترافات المتهمين فيها، أن هناك عملًا داخل البلد؛ لم يشملها العفو العام، وبقوا بعدما خرجنا، وبقي لنا إخوة في

السجون، لم يخرجوا معنا. فالشاهد بأن هذه التجربة، كانت تجربة صحيحة؛ صحيح إنها كانت قاسية، لأنها أول تجربة لنا، كانت قاسية على البعض، على أهالينا وعلى أولادنا.

ولكنها كانت بفضل الله – عز وجل –، منبرًا استطعنا أن نسخره، لنشر هذه الدعوة؛ وكانت فرصة، لكي أتفرغ للكتابة، وتأصيل الكثير من المسائل، التي كنا نتكلم فيها؛ ولم نكن بعد، قد كتبنا بها، فكان فراغ السجن، والجلوس في السجن فرصة للتأصيل، للمسائل التي كنا نتكلم فيها؛ كتكفير الجيش والشرطة، والأنظمة وأنصار الطواغيت، ونحو ذلك.

وهذه المسائل أكثرها، كتبت في داخل السجن؛ مسائل الرد على بعض المرجئة، وضبط مسائل التكفير، وأخطاء التكفير؛ كل هذه المسائل خرجت من داخل السجن، كما هو معروف، مكتوب على الكتابات؛ التي طبعت ونشرت.

بعد ذلك، خرجنا من دائرة المخابرات، ولكن المخابرات وزعتنا؛ فبعثت بي أنا، إلى سجن قفقفا في الشمال، أبعدتني تمامًا عن الإخوة؛ وأخذت أبو مصعب، وذهبت به إلى سجن بيرين في الزرقاء؛ وأخذت أبو القسام، وذهبت به إلى سجن الجويدة، ظنًا منهم أننا نحن رؤوس هذه المجموعة، وباقي الشباب كلهم أخذوهم، وبعثوهم على سجن سواقة.

بقينا تقريبًا، قرابة الثلاث شهور متفرقين، ثم بعد ذلك جمعونا، في سجن سواقة؛ جيء بنا المتفرقين، وذهبنا إلى إخواننا في سجن سواقة. وهناك في سجن سواقة، عندما اجتمعنا، وجدت الإخوة؛ منطويين على أنفسهم، في الطابق الثاني، معتزلين سائر الإسلاميين، في غرفة صغيرة، هم باختيارهم.

تحاول الإدارة بهم أن ينزلوا، إلى باقي مهاجع الإسلاميين؛ مع التحريريين والأفغان، والتنظيمات الأخرى، والقضايا الأخرى؛ فيأبون لأنهم يخالفون أولئك الشباب، في تكفير الجيش والشرطة، كانوا

إخواننا ومجموعتنا يكفرون الجيش والشرطة، ومن ثم لا يصافحونهم، متخذين قرار عدم مصافحتهم، فهم ينتقدون الآخرين، في مصافحتهم للجيش والشرطة، وضحكهم ومُمازحتهم، ونحو ذلك.

فبذلك معتزلين لهؤلاء الشباب، وبعضهم يخاصمهم، بل بعضهم لم يكن عندهم ضوابط شرعية؛ فكان يكفرهم، لمجرد مصافحتهم للجيش والشرطة؛ وكان هناك بينهم حزازات، ومشاكل لأجل هذا الأمر. فعندما جئت، وجدت هذه الأوضاع أمامي، فبدأت أصلحها.

طبعًا الإخوة، كوني أكبرهم سنًا، ويعتبرونني شيخهم؛ أول ما جئت سلموني الإمارة، فبدأت أصلح هذه الأهواء، أول شيء فعلته، والإخوة يذكرون هذا جيدًا؛ أني لم أقبل أن نبقى معتزلين للناس، أصررت أن ننزل إلى المهاجع الإسلاميين الأخرى.

واقترحت بأننا نقيم صلاة جمعة، ونترك يأتي ويصلي عندنا من يريد، ونحن نريد أن ندعوا، ونريد أن ننشر دعوتنا؛ لا نريد أن نبقى متقوقعين؛ بدأت أنكر إطلاقات بعض الشباب، الذين كفروا من يصافح الشرطة، وأضبط المسائل، أصحح الأخطاء.

في هذه المرحلة، بفضل الله – عز وجل –، وهذا أمر كان ميسر؛ لأن الإدارة كانت تريد أن ينزل هؤلاء مع الآخرون، وهم الذين كانوا يرفضون؛ فكانت مفاجئة للإدارة، أنني عملت على إنزال إخواني، حيث جميع الإسلاميين من الجماعات الأخرى؛ ونزلنا إلى مهجع أكبر.

وكانت سياستي في بداية الأمر، أن نقبل أي واحد، يأتينا من الجماعات الأخرى؛ لأنه نحن حجتنا أقوى، ودعوتنا ظاهرة، فمن جاءنا سيتأثر بنا، وإذا عنده شبهة سنردها عليه؛ وبدأنا نقيم صلاة الجمعة، فكان الإخوة لا يصلون الجمعة؛ لأن الذي يقيم الجمعة، في مسجد السجن، هو ضابط من ضباط السجن، فلم يكن الإخوة يصلون خلفه.

وبالتالي لم يكونوا يصلون الجمعة، لأنهم كانوا يقولون: "نحن مسافرين"؛ يقصرون أكثرهم، لأن سجن سواقة بعيد، فيه مسافة

القصر، فكانوا يقصرون، ويقولون لا جمعة على لمسافر؛ ولكنني أنا أصررت، أن نقيم الجمعة، لأن هناك من لا يرى نفسه مسافرًا، فحتى نفتح له مجال؛ فبدل أن يصلي خلف ضابط السجن، يكون له بديل، لا يكون له عذر، أن يصلي هناك.

ثانيًا: أن هذه صلاة الجمعة، إن لم تكن واجبة علينا، فهي جائزة لنا، أن نتخذها منبرًا للدعوة والخطابات؛ فستكون منبر وبديل للشباب، الذين يصلون في مسجد السجن، خلف الضابط، أن يأتوا ويصلوا خلفنا؛ ونستغل ذلك في تبليغ دعوتنا، وبالفعل بدأت أخطب أنا، خطبت خطبة الجمعة، وإذا جاء العيدين، كنت أخطب العيدين.

وبعد ذلك بمدة، أخذنا ننوع، فكان الأخ عمر مهدي معنا؛ فكنا نجعلهُ أحيانًا يخطب، بفضل الله – عز وجل –، كان هذا العمل عملًا مباركًا؛ لأنه ليس فقط الإسلاميين، كانوا يأتون يصلون عندنا، والتحريرين كان يأتي، بعضهم يصلي عندنا؛ كان بعض الأفغان (من سموهُم بالأفغان العرب)، يأتي بعضُهُم ويصلي عندنا.

بل حتى الذين التزموا، وتدينوا من المهاجع الأخرى (القضايا الجنائية)؛ يعني السرقة القتل ونحوها، كان من يتدين منهم، يحب أن يأتي يُصلي، يترك مسجد السجن، ويأتي يصلي عندنا، فكانت منبر للتواصل مع هؤلاء.

وكنا ننسخ بعض ما أكتبه آنذاك، من مصنفات صغيرة، على مستوى المساجين، "دعوة إلى التوحيد" ونحو ذلك؛ كنا ننشره ويتداوله هؤلاء الشباب، الذين يأتون إلينا، من المهاجع الأخرى؛ فيأخذونه وينسخونه وينشرونه في السجن.

وكانت الإدارة في بداية الأمر، تغض الطرف، كان هذا الأمر في بدايته؛ لم يكن هنالِك مصادمات مع الإدارة، فكانت الأمور سهلة؛ ويأتي عندنا الشباب، من المهاجع الأخرى، ونذهب نحن إلى المهاجع الأخرى.

في هذه الفترة من التسهل، انطلقت الدعوة في السجن؛ وبدأ شباب كثيرين، من القضايا الأخرى، يطلقون لحاهم ويصلون، ويأتون معنا، ويصلون الجمعة عندنا، وكنا نعمل دروس؛ وبدأت أنا أعمل، درس أصول فقه، لأنه هناك كان احتكاك، بين إخواننا والتحريريين؛ والتحريريين دائمًا، يعني كون إخواننا، حديثي عهد بالدعوة، وبعضهم مستواهم العلمي قليل وضعيف.

بدأت يعني نعطيهم، مفتاح مهم من مفاتيح العلم، وهو أصول الفقه؛ كونهم أحيانًا يتناقشون مع التحريريين، ونحو ذلك، فعملت درس من لأصول الفقه؛ حتى التحريريون كانوا، يحضرون هذا الدرس، ولكن بعض إخواننا، فتروا ولم يواصلوا فيه؛ وهذه يعني حقيقةً، كانت مزعجة لي.

أن يحضر ويكون، عند التحريريين جلد، في حضور هذه الدروس؛ وإخواننا كانوا يفرغوا – بعض الإخوة – لا أريد أن أظلم الجميع. وكنت أكتب في كل مناسبة ما يناسبها، مما أحاول أن أنشر، دعوة التوحيد فيه؛ وربما يحصل نقاش، بيننا وبين الإدارة، فتثار بعض المسائل والشبهات، فأرد عليها.

فكتبت كتابي الصغير، الذي صنفته للسجن؛ لرد شبهات المجادلين، من الشرطة والأمن الوقائي ونحوهم، الذين يأتون ويجادلوننا في تكفيري، وبعض الشباب يذكرون لبعض الشبهات؛ فجمعت هذه الشبهات، التي كانت تتردد في السجن، سميتها "كشف شبهات المجادلين، عن عساكر الشرك، وأنصار القوانين"؛ ونُسِخت في داخل السجن، ووُزِعت بين المهاجع؛ كانت يعني مُيَسرة ومُبَسطة، على مستوى السجناء، فيما يستطيعوا أن يعينهم، على جدال هؤلاء، في تكفيرهم وفي تكفير أنظمتهم.

14- الاستقرار في السجن العام وبداية الدعوة فيه والتأليف

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، على نبينا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه أجمعين:

كانت فترة السجن في بدايتها، بعد أن نزلنا إلى المهجع الكبير، واختلطنا مع المساجين، واختلط بنا المساجين الآخرين؛ كانت فيها كثير من الإيجابيات، وكانت لا تخلو أيضًا من السلبيات.

فكون أكثر الموجودين، كانوا حديثي عهد بتجربة السجن؛ فلا بد من أن تصدر عن بعضهم أخطاء وتجاوزات، بل إن كثيرًا منهم، لم تكن له تجربة سابقة، بالانضباط في الإمارة، والالتزام في إمارة؛ ولذلك لم يكونوا قد تعودوا، على الانضباط، وعلى الالتزام، وعلى الطاعة؛ فلذلك كانت كثيرًا ما تصدر بعض الهفوات، بعض الأخطاء.

كنت – في الفترة التي توليت فيها الإمارة – أتسامح في أشياء؛ ولكنني كنت أشدد، في المسائل التي أرى أنها ستجر تجمعًا كاملًا في معارك؛ ربما في الغالب، تكون خاسرة مع الإدارة.

فكنت أرفض الدخول، في معارك مع الإدارة، إلا لأشياء محددة؛ خاطبت بها الإخوة، كما خاطبت بها الإدارة، مرارًا وتكرارًا؛ لأننا غير مستعدين، أن ندخل معركة، من أجل لباس السجن مثلًا، لأجل بعض المسائل السخيفة، مثل: مدة الزيارة، ووقت الزيارة.

لكن إذا تعرضتم لديننا، أو مثلًا: حلقـتم لحية أي أخ، بل أخ ليس من تجمع القضايا الإسلامية؛ حتى لوكان هذا الملتحي، من القضايا الأخرى الجنائية، الذين التزموا واهتدوا، وهم في السجن.

حتى لو حلقوا لحية أخ، من هؤلاء؛ فضلًا على أن تكون لحية أخ من إخواننا، من خواص إخواننا، أو يتعرضوا لدينه، أو أن يتعرضوا لزوارنا، ونسائنا وأعراضنا؛ أو أن نسمع منهم مسبة، لله والدين أو نحو ذلك.

كنا نقول لهم، عند ذلك لن نتردد، في قلب الأمور، وافتعال المعارك؛ ولو كلفنا ذلك ما كلفنا من الدماء. يعني كنت دائمًا أُفهم الإدارة هذا الأمر، وأُفهم إخواني كذلك، أنني غير مستعد، على الأشياء التافهة، أن أُدخل إخواني، معارك أضيق عليهم، أضيق على أهاليهم، في الزيارات بسببها.

لأنه دائمًا، عندما تدخل في معركة مع الإدارة، يحصل عادةً تضييق؛ إما تضييق عليك في الزيارات، أوعلى أهلك، أو منع للزيارات، أونقل من المكان العام (سجن المهجع العام)، إلى الزنازن؛ وربما إذا تجرؤوا، يشبحوا ويضربوا ونحو ذلك.

ولكن بفضل الله – عز وجل –، لأجل ما أعطانا الله – عز وجل – إياه، ببركة هذه الدعوة من هيبة؛ كانت عملية الضرب هذه، نادرة جدًا جدًا، لإخواننا في تلك الفترة.

وحصلت مرة، أن ضُرِب أخ من إخواننا، وكانت هذه تقريبًا، أول مرة تحصل؛ أنه خرج في وقت القيلولة، ولم نكن نعرف بخروجه، خرج ليأتي ببعض الحاجات؛ فحصلت بينه وبين شرطي مشكلة، فأخذوه إلى الإدارة، وشبحوه وضربوه، ولم نكن نعرف.

فجاءنا الأخ قبل أذان العصر، وأخبرني بما جرى معه، وكان يرى أن لا أخبر الشباب بذلك؛ يعني خلاص، قال: "حصل الأمر، بلاش تخبر الإخوة وتزعجهم"؛ فرفضت ذلك، وأجلست الإخوة، وبينت لهم ما حصل، وأن هذا الأمر، لا ينبغي أن نسكت عليه؛ وينبغي أن نظهر أي شيء، نهدد به الإدارة؛ حتى لا يكرروه مع إخواننا.

فبالفعل اغتنمنا فرصة العشاء، عندما يفتح الباب الرئيسي للمهجع؛ ليخرج اثنين أو ثلاثة من عندهم، ليذهبوا ويأتوا بالطعام ويأتوا؛ فكنا متجمعين أمام الباب، عندما فتح الشرطي الباب، أمسكنا بالباب، وأخرجنا كل الإخوة من المهجع.

وذهبنا بصف واحد طويل، إلى الإدارة، نكبر ونهتف هتافات، الله مولانا ولا مولى لهم؛ كانت هذه أول عمل، نقوم به بهذه الصورة، في تلك الفترة؛ فحتى وصلنا بعض الطريق، ونحن نكبر ونهتف الهتافات، التي هي ضد الإدارة؛ الله مولانا، ولا مولى لهم، الله مولانا، نعم المولى ونعم النصير، الضابط مولاهم، بئس المولى وبئس العشير، وتكبير وهتافات بصوتٍ عالٍ، هزت السجن؛ حتى إن المساجين، أول مرة يرون مثل هذا الأمر. وبدأ العساكر يضطربون، ويغلقوا الأبواب على المساجين، ويأخذوا الاحتياطات؛ لأنه هذا أمر جديد.

حتى وصلنا عند باب الإدارة، ووقفنا أمام باب الإدارة، وأغلقوه طبعًا هم؛ ولكن هو شبك يُسمع أصواتنا؛ وبدأنا نكبر، ونظهر تحدينا للإدارة، فجاؤوا وبدؤوا يطلبون منا التهدئة، وأن يتفهموا معنا.

فذكرنا لهم أنكم ضربتم أخ لنا، ونحن لن نسمح بهذا؛ وإذا تكرر، سيحصل ما لا تحمد عقباه، فأظهروا الاعتذار، وأن هذا الأمر، تصرف من شرطي من الشرطة، وأنه كذا.

فقلنا لهم – عندما وصلنا معهم لنتيجة –: عندما الأخ تحصل منه، مخالفة لتعليمات السجن – كما هم يسمونها –؛ فالأمر لابد أن نكون مطلعين عليه، وأن تكون العقوبة؛ على سبيل المثال: نقبل نحن بالعقوبة، أن يزنزن الأخ، أن ينزل بالسجن الانفرادي، ونقبل حتى أن يشبح؛ والشبح عندنا: أن يقف عند الشبك، والكلبشة بالقيد حول يده، ولكنه يبقى واقف.

ولكن بشرط، أنه وقت الصلاة يفك ليصلي، وأن لا يمانعوا، أن يمسك المصحف، طوال المدة يقرأ؛ كل هذه الأمور، مكاسب نحن فعلناها للمساجين الآخرين، لم تكن موجودة أصلًا في السجن.

يشبح السجين عادةً طوال الوقت، لا يذكر له صلاة، ولا يأكل، وليس بإمكانه أن يقرأ أوشيء. فنحن بسبب هذه الحادثة، وبسبب ما تكرر – من أخذ ورد، مع إدارة السجن؛ وصلنا إلى تحقيق هذه المسألة.

وأنت لا تستطيع، أن تنكر العقوبات، تمامًا في السجن، لأنك سجين؛ ولكن لك أن تصل في الأخذ والرد، والمناورة مع هؤلاء الناس، والضغط عليهم؛ تصل إلى عقوبات، تحفظ فيها كرامتك، وكرامة إخوانك.

بمعنى أنت سجين، من الفارق بأن تبقى سجين مع إخوانك؛ أو توضع لفترة، أسبوع أسبوعين في زنزانة. وكذلك إذا كنت أنا سأشبح، أقف هكذا، ساعة أوساعتين عقوبة، معلقًا يدي في الشبك؛ ما دام مصحفي معي أقرأ، وما دام وقت الأذان، أفك وأصلي؛ فالأمر هين، أتحمل في سبيل الله، وفي سبيل إغاظة أعداء الله، مثل هذه العقوبات.

خصوصًا وأن كثير من إخواننا، أحيانًا كانوا بالفعل يتجاوزون؛ ليس فقط تعليمات السجن، بل تعليمات الإمارة؛ يعني كنا نُفهم الإخوة، أنه لا داعي للمسبة المجردة، يعني هذه المسبة المجردة للشرطي؛ الإهانة والاستفزاز للشرطة، لا تناسب دعوتنا، وليس هو من خطاب، هذه الدعوة العظيمة المكرمة.

فينبغي أن يعزف الأخ، عن بعض الألفاظ، التي تشوه الدعوة؛ ومع ذلك تجد أنه، كان بعض الناس، حديثي عهد بجاهلية، ربما كانت تصدر منه أشياء، يعني حقيقة نحن نستقبحها؛ ولو ذكرت بعض الأشياء، لاستقباحها كل ما يسمعها، أمور ليست فقط في هذه الفترة من السجن؛ بل في فترات أخرى، ربما تكون، حركات من الجاهلية، كلمات ألفاظ، مع الغلط، تصدر من الشاب.

يعني يأتيني بعض الضباط، يقول لي: "ما رأيك في فلان؟ قال لي كذا"؛ مسبة لأمه لأخته، أشياء فاحشة ربما؛ وهذه طبعًا، أنا لا أريد أن أضخم شأنها؛ هي نادرة وقليلة، وحصلت في فترات لاحقة، في فترات سجن لاحقة، وفترات كذا.

فهذا الأمر لو صدر، لا ينبغي أن نسكت عنه نحن؛ هذا يخالف نهجنا، ويخالف أخلاقنا؛ ولذلك كنا ننكره نحن، وكان لا بد للأخ، أن يتحمل نوع من العقوبة، مقابل هذا الأمر.

لأنه أنت سجين، وبين يدي سجان في النهاية؛ فلا تستطيع أن تصبح أنت المدير، والإدارة السجانين؛ وترفض جميع أنواع العقوبة، وتسبهم وتشتمهم، ثم لا عقوبة؛ هذا أمر غير معقول، ولا يتقبله أحد.

ولكن من الإيجابيات التي حققناها، ومن المكاسب التي حققناها؛ أننا وصلنا إلى مرحلة، أن الأخ حتى لو ارتكب، مثل هذه المخالفات، التي نحن ننكرها؛ لا يُهان، لا تُحلق لحيته، لا يتعرض لدينه في شيء؛ بل يعاقب، ودينه محفوظ، لا يسب ربه ولا دينه، ولا يُهان أوتُحلق لحيته، أويُمنع من الصلاة، أو نحو ذلك.

العقوبات بقيت محصورة بعد؛ مثل الأحداث بين مثلًا: المنع من الزيارة، أو النقل من السجن العام، إلى الزنزانة الانفرادي، أو هذه الطريقة، التي ذكرناها، التي هي الشبح؛ ولكن بالشروط، والقيود التي أضفناها، أنه له أن يمسك المصحف، وله أن يقرأ بكتاب، ووقت الصلاة، لا بد أن يُفك؛ ويسمح له بالصلاة، ونحو ذلك.

هكذا تقريبًا كانت سيرتنا، مع إدارة السجن، وكانت الإدارة، تعتاد هذه الأمور؛ اعتادت على مسائل، يعني على سبيل المثال: نحن مُجمِعون كنا في السجن؛ الذي كانوا في الإمارة، مجمعون على موضوع عدم مصافحة الجيش والشرطة؛ فتجد الجميع ينضبط بهذا، والجميع يأخذ به، لا يشذ عنهم، إلا من كان خارج الإمارة.

من يخالفنا، ويسمينا تكفيريين، ويتقرب إلى الإدارة، هؤلاء لا شأن لنا بهم؛ ولكن الذين تحت الإمارة كلهم؛ من الشروط عندما ينضم، شخص إلى الإمارة، وينتقل إلى غرفتنا؛ أن يعرف أننا نحن، لا نسمح لأي شخص، أن يتعامل مباشرة مع الإدارة، بل من خلال الأمير.

لا ينبغي لك أن تذهب إلى الإدارة، وتكلمهم بأي شأن، دون إذن الأمير؛ بل أنت تطلب من الأمير، والأمير يطلب من الإدارة. هذا الضبط والربط مهم جدًا، لأنه إذا وجدك أخ، واقف مع الإدارة، أو مع بعض أفراد الأمن الوقائي، أو بعض أفراد الشرطة؛ سيلقي الشيطان في روعه، أنك تتعامل مع الإدارة، فهذا باب سد الذرائع.

وأيضًا لضبط الأمور، وحتى لا تتسيب؛ لأنه كل إنسان له طريقته، ربما هذا طريقته لينة، ربما هذا يداهن، فحتى نقطع هذا الباب، ونسد هذه الذراع؛ كان التعامل، من خلال الأمير، مباشرةً مع الإدارة؛ ولا نسمح لأي أحد، أن يتعامل بطريقة انفرادية، مع الإدارة.

هذا كان يشترط، على أي شخص، ينضم للإمارة؛ من الأمور أيضًا، يشترط أنه يلتزم، وينضبط بالإمارة، فلا يخرج من المهجع إلا بإذن، ولا يكتب استدعاء، أو طلب، أو أي شيء إلا بإذن؛ حتى موضوع الاستدعاءات هذه، وتقديم الاستدعاءات، كانت هذه مرفوضة عندنا، ونادرة جدًا جدًا للضرورة.

لأن الاستدعاء عادة، يكتب به ألقاب تزكية، أو ألقاب تعظيم للإدارة والمسؤولين؛ يعني مثلًا: عطوفة، مدير فلان، فلان المحترم، أو أي شيء من هذا القبيل؛ فكلنا نحن نرفض، مثل هذه الألقاب أو تبجيل هذه الإدارة، التي نعتقد أنهم، من أنصار الطواغيت؛ فكنا نرفض مبدأ الاستدعاءات أصلًا، ولا نكتبها.

ولكن عند الضرورات القصوى، كنا نكتب صيغة، هم يعجبون منها، صيغة مجردة من كل هذه الألقاب؛ حتى لا نكتب، ما يتعارفون هم، على تسميته في السجن، يسمونه مركز إصلاح سواقة مثلًا؛ نحن نرفض حتى هذه، لأنه لا نعتقد، أن هذه مراكز إصلاح، بل هي مراكز إفساد؛ فلذلك كنا نسميه، نقول مثلًا: إلى مدير سجن سواقة، هكذا فقط، لا عطوفة، ولا المحترم ولا مركز إصلاح.

هكذا إلى مدير السجن، المطلوب مثلًا كذا وكذا وكذا فقط، ولا شكرًا؛ ربما يتساهل البعض، في لفظة شكرًا، أما لو تجد

الاستدعاءات، التي درجوا هم عليها، تجد حتى مديح، في النهاية للملك؛ مع أنه لا دخل للملك، في هذا الطلب البسيط اليسير في السجن؛ ولكن هكذا اعتاد المساجين، وهكذا قبلت الإدارة.

فهذه الصيغة، كانت أصلًا مرفوضة عندنا، ولا صيغتنا الخاصة عند الضرورة؛ ولكن أصلًا مبدأ الاستدعاءات، لم نكن نتعاطاه؛ ولذلك كانت هذه الأمور كلها، يُعرف بها الأخ عندما ينضم إلى الإمارة، وينتقل إلى غرفتنا؛ ومن ذلك أيضًا، أنه لا نصافح هؤلاء الناس، وكنت أنا تحديدًا، أُفهم الشباب بأن هذه المصافحة.

يعني عندما جئت إلى سواقة، وكان الأمير قبلي، من قضية جيش محمد، كان في العلم ضعيف؛ فكان يكفر المخالفين من الشباب، ممن يصافحون الجيش والشرطة؛ يكفرهم تكفيرًا، وهذا أنكرته عليه، وبينت أن هذا خطأ، ونحن المصافحة أصلًا لا نص فيها؛ ولا دليل شرعي يحدد في المصافحة، ولا من باب.

ولكن من باب، مصارمة هؤلاء القوم ومفاصلتهم؛ وأن يكونوا هم في عدوة، ونحن في عدوة، ونظهر لهم دعوتنا، كما كتبنا في هذا الباب، وفصلنا وأيدنا؛ وأعطيناهم بعض الرسائل، التي كتبناها؛ كانت عنوانها في السجن، كنا نكتبها تحت عنوان: "هذان خصمان اختصموا في ربهم"، نبين أن خصومتنا معهم، في الله ولله، ولأجل دين الله.

ولأنهم من أنصار القوانين، ونحن من أنصار الشريعة، فهم في عدوة، ونحن في عدوة، وهم في صف، ونحن في صف؛ ولذلك فنحن لا نضع أيدينا بأيديهم، التي قد تلطخت، بنُصرة القانون الوضعي؛ ونحو ذلك من الأمور، التي كنا نوضحها لهم.

فكنا نفهم إخواننا، أن مسألة المصافحة، ليس فيها نص، السلام فيه نص: "لا نبدؤهم بالسلام"؛ وإذا بدؤونا هم لا حرج، على قول بعض العلماء، أن نرد عليهم السلام؛ كُنا نُفهم الإخوة، الحدود التي يستطيعون، التعامل بها مع هذه الإدارة، حتى لا يتشنج الأخ الجديد، أو قليل العلم لا يسبب لنا معركة؛ بسبب بعض الأشياء، التي لا يفقهها.

قضية المصافحة، حتى لا يزايد على إخوانه في المستقبل؛ إذا رأى أنه بعض الشباب، في الخارج أو في الداخل، أو حتى من زوارنا، ربما صافح الشرطة، أن تجد الزائر محرج، فيأتيه أمن وقائي أو شرطي، هكذا أمام الزوار كلهم يسلموا فيصافحه؛ هؤلاء الناس مساكين، فحتى لا يقوم الأخ، وينكر على هؤلاء، أو يفهم كما فهم الأول، بأن هذا كفر، أو أن هذا حرام.

كنا نفهمهم واكتب أشياء، تبين حدود هذه المصافحة، وحدود هذا المنع من المصافحة؛ أنه هذا المنع، ليس بالتحريم المصافحة تحديدًا، إنما هو من باب مفاصلة القوم، من باب أن تكون مواقف الجميع موحدة، إذا كانت متفرقة، واحد يصافح وآخر لا يصافح؛ هذا سيُدخل الخلاف والخصومة، وسيجعل ثغرة لأعداء الله، لكي ينفذوا على البعض، ويمدحوا البعض ويذموا البعض.

فكان هذا الموقف، ومع هذه التوضيحات، التي كنت أوضحها؛ فقد كان بعض الشباب عنده شيء من التعنت؛ فربما أدخلنا معارك مع الإدارة، بأشياء من هذا القبيل؛ فيفسر هو مثلًا: أننا لا نصافح لأنه نجس، كثير كان يأتيني بعض الشرطة والجيش، وانا رجل صاحب دعوة؛ ويُنظر إلي أن هؤلاء الشباب تلامذتي؛ فلا بد أن أوضح الحق.

إذا أساء التلميذ، فيأتينا مثلًا بعض الناس، من باب ثقتهم بعلمي، أمن وقائي أو جيش أو شرطة، يأتي ويقف معي، ويقول لي: "ما رأيك يا أبومحمد بفلان؟" يقول لما نقول له: "لماذا لا تصافحوننا، يقول أنتم نجس! فهل بالفعل إذا صافحتني ينتقض وضوئك ؟" يسألني مثل هذا السؤال؛ عرفت كيف؟ فأنا لا بد أن أبين الحق، الذي أعتقده، وأدين لله به.

دون أن ألبس الحق بالباطل، دون أن أقول له: "لا أنت ليس بنجس"؛ أنا أقر قول أخي، ولكن أبين أن النجاسة، المذكورة في الآية: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ}، المراد بها النجاسة المعنوية، وليست الحسية؛ والنبي – صلى الله عليه وسلم –، كان يتعامل مع الكفار، ويأكل طعام

اليهود، وربما مسه بعض اليهود، كما في قصة صلح الحديبية، وربما قبَّله بعض اليهود، قبل يديه ورجليه، في بعض الأحاديث.

ومع ذلك، لم يكن النبي – صلى الله عليه وسلم –، يتعامل على أساس أن هذه النجاسة حسية، بل هي نجاسة معنوية، كما ذكر الله؛ من باب نجاسة الأوثان، ونجاسة الشرك والمشركين، فهي نجاسة معنوية، وليست نجاسة حسية؛ كنت أقول له هذا، يعني معناه أنتم نجسين، ولكن نجاستكم معنوية، لا تبطل الوضوء ولا تنقضه، وهذا ما كنت أصرح لهم صراحةً وعلنًا.

وكنت أحاول أُفهم هذا الأخ، وأمثاله وهم قلة هذا الأمر؛ ولكن التعنت وضيق السجن، وردود الأفعال، ورغبته بإغاظة هؤلاء الشرطة والجيش وهكذا؛ كان البعض يصرون، ومنهم هذا الأخ، كان يصر ويلح، على أنني أحاول أقنعه، وأحاول أكلمه أبدًا.

ولكن العجيب والغريب، أنه عندما يخرجون من السجن؛ يعني هذا الأخ، كانت فترة سجنه، ثلاث سنوات فقط؛ وحقيقةً أتعبني في هذه المسألة تحديدًا، بتشدده في هذه المسألة تحديدًا؛ كم كلمته مرارًا وتكرارًا، بأن النجاسة المقصودة، هنا نجاسة معنوية، وأنت يا أخي خلاص، شأنك شأن إخوانك لا تصافحهم؛ لكن هذه التفسيرات والتبريرات، والإصرار بأنهم نجسين، وتكرار ذلك، وافتعال المشاكل؛ وإظهار هذا الكلام، والمسبة لهم، لا داعي له، ما دام المسألة نجاسة معنوية، وليست حسية، لماذا التعنُت؟!!

فكان يأبى ويبقى يقول لهم: "أنتم نجسين وأنتم كذا"، ويبادؤهم بالمشاكل، ونحن كان الواجب علينا؛ أنا كشيخ، يُقال أن هؤلاء طلبتي، لم أكن أداهن، بأن هذا خطأ وهذا صواب، لأن هذا دين ودعوة، وهو أهم حفظ جناب هذه الدعوة، وبيانه صورته المشرقة؛ هو أهم والله من توقيع لأخ، أو بيان أنه أخطأ؛ ليس بصعب أن، أقول أخي أخطأ، ولكن الدعوة كذا وكذا، والدين الحق هو كذا، والقول الحق هو كذا؛ فهذه لا باس بذلك، ولا أجد فيه حرج.

فلذلك كنت أحيانًا أبين، وكان هذا الأمر، يغضب بعض هؤلاء، الشباب المتعنتين، فتحصل احتكاكات، وتحصل مواجهات؛ وأنت يعني تصحح وتخطِئنا، أمام أعداء الله، وأنت وأنت وأنت؛ يعني هذا الأمر حقيقةً، من الأمور والحزازات؛ التي لم تخلو فيها، مرحلة من مراحل السجن، طوال المدة.

حتى في أيام، بعد تركي للإمارة، وإمارة أبو مصعب، وُجد أناس من هذا القبيل؛ وجد أناس كانوا يخرجوا علينا، بمثل هذه القصص؛ بل يعني قصة أبو منتصر، وتمرده على أبي مصعب، وعلى إمارة أبومصعب، وعلى إمارتي من قبل، مشهورة سنأتي عليها فيما بعد.

فالشاهد من هذا، أن هذا الرجل، المتشدد في هذه المسألة، عندما أفرج عنه؛ أول أسبوع تقريبًا رجع يزورنا، وطلبني أنا تحديدًا، على شبكة الزيارة؛ وقال لي: "يا أبومحمد، يجب أن تراجع أمورك؛ كيف نتعامل، مع الناس في الخارج؟ أنا ثلاث سنوات مسجون، وأبي متوفي، وعمي مقدم في سلاح الجو؛ طوال الثلاث سنوات، وهو ينفق على أخواتي، وعلى أمي، كيف أنا يأتيني، يقول لي: "الحمد لله على السلامة"؛ كيف أنا لا أصافحه؟ كيف أنا كذا؟ يجب أن تعيد حساباتك.

فقلت: "سبحان الله، أنا بقيت ثلاث سنوات، أحاول أقنعك، أن المسألة هذه، لا أعتقد بحرمتها؛ ولكن نحن متخذينها، توحيدًا لموقفنا، وإظهارًا لعداوتنا؛ ولكن إذا احتجت للدعوة في الخارج، حاولت أفهمك هذا، حاولت أفهمك أن النجاسة، معنوية وليست حسية؛ كل ذلك أتعبتني، وأنا أحاول أفهمك، وكتبته كتابة، وتكلمت في خطابةً، ولكن لم ينفعك؛ الآن عندما احتجته، جئتني تستفتيني، تريد أن تقول: "أبومحمد يفتي بمثل هذا"".

يعني القضية قضية احتياج، وليست اقتناع أو انكسار، أمام ظلمة الواقع، وأمام الانحراجات، وليست اقتناع؛ فالمسألة أن حقيقةً، كانت هذه التجارب، كثيرًا ما تتكرر في السجن، وكانت الأمثلة هذه، تتكرر

مرارًا وتكرارًا؛ ربما يضيق عقل بعض الشباب، ولا يكون عندهم صبر، ويكون عندهم حماس.

وضغوط السجن، وشدة أعداء الله، تورث أيضًا شدة مقابلة، وضغط مقابل، بالاتجاه المعاكس؛ كما قيل: "أن لكل فعل رد فعل، معاكس له بالاتجاه"؛ فهؤلاء الشباب، كانوا من باب ردود الأفعال، ربما يتعنتوا في بعض الاختيارات؛ يعني حتى لو أريد أن أستطرد، فسأذكر أمثلة كثيرة، لا فائدة من تفصيلها؛ ولكن هي أمثلة، تعرفك بطبيعة الشاب، الجديد على السجن، ذو التجربة القصيرة، الذي لم يتعود على الإمارة، وضبط الأمور.

فمثلًا: تجدنا نحن، لأجل تعاونا مع الإدارة، أحيانًا نختار بعض الاختيارات، التي تصرف عن التجمع، مفسدة أعظم؛ يعني مثلًا: أخ يتسابب مع مسؤول في السجن، فيسبه بالفعل، وهو يعترف أنه سبه؛ الأخ سب هذا المسؤول، وأغلظ له القول، وأنت تبقى في النهاية، سجين وهذا سجان؛ فيأتي هؤلاء، ويأخذوا هذا الأخ ويشبحوه، وفقًا للاتفاقات، التي نحن اتفقنا عليها.

الشبح: عبارة عن وضع القيد بيده، ويشبك القيد بشبك باب الإدارة، ليس وهو معلق، واقف على رجليه تمامًا؛ يعني ليس في هذا أي ضير، إلا احتمال فقط، نوع من التوقيف، كما يوقف الطالب في المدرسة، عند الحائط مثلًا، ارفع يديك عند الحائط وقف؛ مثلها ولكن هذه يد واحدة، تبقى واقف مثلًا: ساعة، ساعتين، ثلاثة، بحسب خطئك، ثم تفك.

أي عقوبة سخيفة هذه؟ تستحق أن أُدخل أنا، إخواني ثلاثين شخص، لأجلها في معركة مع الإدارة؟ أي عقوبة سخيفة؟ العقوبة سخيفة بالنسبة لأُناس، أرادوا أن يجاهدوا، وأرادوا أن يموتوا، وأرادوا أن يقتلوا؛ يعني تقف أنت، مع الشروط التي اشترطناها نحن؛ أن يكون معه مصحفه، وأن يفك وقت الأذان، ويقوم يصلي ثم يرجع.

يعني مسألة تافهة تعتبر، في مقابل أنت يا أخينا، تعد حتى تجاوزت أوامر إمارتك؛ فسببت على هذا الرجل وأهنته، ولم تحسب حساب، أنك ربما تجر، بسبب هذه المسبات؛ إذا استنفرت إخوانك لنصرتك، إذا هؤلاء تجاوزوا، الحدود المتفق عليها، فضربوك وأهانوك؛ ربما تجر إخوانك.

لأن إخوانك لن يقفوا متفرجين، يعني إذا أهين الأخ أو ضُرِب، لن نقف متفرجين، حتى لو كان هو مخطئًا؛ لأنا نحن اشترطنا عليهم، عقوبات معينة، فربما إذا أنت استفززتهم، باستفزاز عنيف، أو سببتهم مسبة غليظة، ربما يتجاوزوا الحد؛ فيفعلوا ما لا تحمد عقباه، ومن ثم، نحن لا نسكت على هذا، فتتسبب أنت بهذه المخالفة الشرعية أصلًا.

كونك خالفت بالألفاظ، وخالفت أمر الأمير، تتسبب بجر إخوانك، إلى معركة، في الغالب تكون خاسرة؛ أنت سجين أعزل، وهؤلاء هم المسيطرون والحراس، وبأيديهم السلاح، وبأيديهم كل شيء، فتبقى أنت سجين؛ لذلك نحن كلنا دائمًا نناور، حتى فيما بعد ذلك.

لما تركت الإمارة، وابتدأ أبو مصعب بمثل هذا، إلى حد بعيد؛ نناور نناور، ونصل معهم إلى خط أحمر، لا نتعداه؛ لأننا نعرف إمكاناتنا، فمن خلال ذلك، نبقى حافظين هيبتنا، ونبقى حافظين رهبتنا، ونبقى نرهب أعداء الله – عز وجل –، وأننا نحن لا نذل لهم، وأعزة في ديننا ومكاننا، رغم قيدنا ورغم سجننا ورغم استضعافنا، نبقى أعزاء، نبقى محافظين على هذه الهيبة.

فهذا الأخ مثلًا: عندما شبحوه، واحد من الشباب، الحدثاء الأسنان، مر جنب الإدارة؛ فرأى الأخ مشبوح، فجائني مباشرةً، وأنا كنت أعرف، بأن الأخ مشبوح؛ وكانت الإدارة وعدتني، أنه على أذان العصر، أفكه ويأتي عندك؛ أكون خلاص متابع الأمر، وليس تارك الأخ، عرفت المشكلة، وذهبت وسألت، وعرفت أن أخي مخطئ؛ فقبلت أن يشبح، كما هو متفق عليه، ومعه المصحف.

أحضرت له المصحف، ليقرأ به، وأخذت وعد من الإدارة؛ أنه على أذان العصر، لن يفك ليصلي فقط، بل سيفك ليأتي إلينا، يعني العقوبة فقط لأذان العصر، فكنت أعرف ذلك، وكتمت الأمر عن الإخوة؛ لأن الإخوة كانوا راجعين من الزيارة، وتغذوا ويريدون أن يقيلوا؛ فقلت: "لماذا أزعجهم، وأنا متابع أمر الأخ هذا؟".

فهذا الأخ رأى أخونا هذا، مشبوح على الإدارة، فجاءني وقال لي: " أبوفلان مشبوح على الإدارة"، قلت له: "أنا أعرف وعندي وعد، على صلاة العصر يفك، خلاص إذًا تغدى وارتاح"؛ فقال"الله أكبر، كيف نأكل؟ وكيف نتغدى؟ وأخونا مشبوح؟!!" قلت: "يا أخي، أخوك مشبوح معلق بالسماء؟!! أخوك واقف على رجليه، يقرأ كتاب الله، والأخ سبهم وسب فاحشة، وهو يريد أن يحتسب الآن؛ ما دام يعتقد، أن هذه قربة إلى الله هذه المسبة؛ إذن يحتسب ساعتين فقط، واقف هكذا، وعلى أذان العصر".

قال: "لا، لا نستطيع أن نسكُت"، قلت له: "اتقِ الله واسمع وأطيع، ولا تخبر أحدًا من الإخوة وادخل"؛ فدخل وما جلس، بقي يكلم هذا ويُكلم هذا ويُكلم هذا، حتى ثوّر جميع من في المهجع؛ "أنتم نائمون، وأنتم تأكلون، وأخوكم مشبوح في الإدارة"، ماذا تعني مشبوح؟ ما هي الشبح؟ هو ليس أول من يشبح، لا يفهم الأخ السامع، أن الشبح هو عملية، تعليق في الهواء مثلًا، أو جلد أو كذا؛ كانت عقوبات هزيلة، في مقابل ما يتصرفه بعض الإخوة.

وهذا بفضل الله – عز وجل – علينا، أنه نحن وصلنا، إلى مرحلة تقبل الإدارة، بمثل هذه العقوبات الهزيلة؛ وفي المقابل بشروط أيضًا، أن يكون الأخ معه مصحف، أن يفك وقت الصلاة، أن لا يُهان، أن لا يسمع ما يكره، فكل ذلك بفضل الله؛ لكن بعض عقول الشباب، لا تستوعب هذا الأمر، وتبقى المسألة مسألة الحدة والشدة؛ يظنون أن التشدد، في الأمور، دون النظر في العواقب، يظنون أنه هو الأفيد والأنفع.

ولذلك تجد دائمًا، في كل وسط، من هذه الأوساط؛ ينقسم الشباب إلى قسمين، غير محددين، ولكن هكذا الأجواء، توحي أنه طائفة، تسمى التصعيديين؛ والتصعيديين يسمون الطائفة الأخرى، المخالفة لهم بالتنييميين؛ وهذا يصعد ويواجه، وهؤلاء أصحاب الحكمة، يتهمون أصحاب التصعيد؛ بأنهم هؤلاء، يريدوا أن يُنيِموا، يريدون أن يعيشوا، ويأكلوا ويشربوا ويناموا.

فهذه الخصومة، إذا بقيت وتأصلت، ربما تشق الصف، وربما تجعل في النفوس شيء؛ أنت تتهم إخوانك، بأنهم جبناء، فما الذي جيء بهم إلى السجن؟ كلهم كان يفكر بالجهاد، كلهم كان يفكر إما بالدعوة، أو مواجهة أعداء الله، فلماذا هذه المزاودة؟ هؤلاء الإخوة حريصين، على أن يدخلوا المعارك، ويضيعوا أوقاتهم، ويقطعوا دروسهم ويقطعوا استفادتهم، في معارك سخيفة وتافهة.

وأنت لا تفكر بالعواقب، ونحن رأينا من بعدما دخل المعارك خاسرة؛ أصبح يترجى أعداء الله، ويستجديهم أثناء الضرب، وأثناء كذا؛ ولكن بفضل الله، خلال مرحلة إمارتنا كلها، نتكلم عن الآخرين؛ يعني نتكلم عن مرحلة إمارتنا كلها، مرحلة الإمارة هذه، مرحلة إمارتي وإمارة أبو مصعب، كانت بفضل الله؛ إلى أن أفرج الله عنا، لم نتعرض لمثل هذا بفضل الله.

كما أتكلم عن أمثلة، خارج الإمارة، وصلت بأناس، واجهوا الإدارة، وعملوا مشاكل؛ ووصلت فيهم بعد ذلك، أنهم أخذوا، يترجون الإدارة، ويستجدونهم ويقولون: "مشان الله"؛ يعني تحت الضرب، يقول: "مشان الله"، فيقول لهم الجلاد: "والله لا نطلقكم، حتى تقولوا مشان عبد الله، وليس مشان الله"؛ فقالوها!

فيعني هذه المسألة، لماذا أنت تكسر نفسك؟ ما دمت عارف، حدود قوتك وإمكانيتك، تعمل من خلال هذه الإمكانات.

هذا كلام داخل القيد، وداخل السجن، ولكل مقامٍ مقال، ولكل حالة تقديرها، ومع ذلك كنا أعزة، مع هذا كله؛ أصلًا اشتراطك، على هذه

الإدارة، هذه الشروط، وتقييدك لهذه العقوبات؛ تميزك في العقوبة، عمن سواك من المساجين؛ هذه عزة، متى كان السجين يفرض، ويشترط في العقوبة؟ إنه لا تحلقوا لحيته، لا تضربوه، تعطوه مصحف، تفكوه وقت الصلاة.

هذه المسائل، ليس لك كسجين أن تشترط؛ لكن بفضل الله – عز وجل –، وبركة تجمعنا حول أمير واحد، وطاعتنا وانضباطنا؛ جعل لنا هيبة، حتى إنه كان مدير السجن، إذا دخل على الغرفة؛ وهناك دائمًا تفتيش شبه يومي، يكون للمهاجع، يعني على الصباح، الساعة السابعة أو الثامنة صباحًا؛ يدخل مجموعة من الضباط، وينظرون ويدورون دورة داخل المهاجع.

فينبغي طبعًا، المعتاد في المهاجع العادية؛ أن يكون كل واحد، مرتب تخته، وواقف جنب تخته، ولابس أبرهوله، والحمامات منظفة، والأرض مشطوفة، وكل شيء مرتب؛ هكذا المعتاد، لكن بفضل الله – عز وجل –، لأننا اشتغلنا، مع هؤلاء الناس بالدعوة؛ ولأجل ما أظهرناه، من الولاء والبراء، والحب والبغض في الله؛ ولأجل مواقفنا الواضحة مع هؤلاء، صاروا لا يأتون إلا نادرًا.

لأنه عندما يأتي، هو نفسه يحرج، هذا الضابط عندما يدخُل، وحوله أتباعه، الذين يهزون له الذنب، والذين يعظمون شأنه؛ فيدخل من الباب، فالأمر لجميع الإخوة، كلهم جلوس على أسرتهم، ولا واحد يقف جنب سريره، هذا شيء؛ الشيء الثاني: أول ما يدخل يقول: "السلام عليكم"، ولا أحد يرد عليه التحية؛ مع أنه أنا كنت، لا أرى حرج، أن يقال "وعليكم السلام"، إذا سلم تسليمًا واضحًا.

ولكن القضية قضية مفاصلة، ونحن مظهرين لدعوتنا، لهؤلاء القوم، نظهر لهم عداوتنا، وبراءتنا منهم، فلا نريد أن تضطرب المواقف؛ فكان يدخل يسلم، لا أحد يرد عليه؛ إذا جاء وكلم واحد، في أي شأن، يقول له: "شوف الأمير"، أكثر من هكذا، لا يتكلم معه؛ هذه أعطت هيبة للتجمع، أعطت ميزة للإمارة.

يعني الآن، أي أمير يستلم الإمارة، ولو كان أصغر القوم وأضعفهم؛ هذه وحدة الكلمة، ووحدة الصف، والمواقف الموحدة، وعدم الانشقاق والاضطراب؛ تُعظم شأن هذا الأمير، وتُكبر أمره عند هؤلاء القوم، أيًا كان الأمير؛ يعني لا يشترط أن يكون أبو محمد أو أبو مصعب، حتى يبقى موقف التجمع قويًا؛ لأن القوة، ليست فقط بشخصية الأمير، وإنما القوة بمواقف التوحد للتجمع كله.

لذلك كانوا، عندما يتفردون بالأخ، في سجن آخر، يكون موقفه مختلف؛ يعني مثلًا: أنا ضربت في سجن الجويدة، وحلقت لحيتي وأوذيت؛ وأبو مصعب ضرب في سجن بيرين، وعلى أبواب سواقة، عندما دخل ضرب، وحاولوا أن يعروه وآذوه؛ وكذلك كثير من الإخوة، عندما يستفردوا فيه يجرموا، لا يرحموه، لأنهم مجرمين.

لكن بفضل الله – عز وجل –، ثم بفضل هذه المواقف، وهذه الوحدة، وحدة الكلمة، والوقوف وتعظيم شأن الأمير؛ كانت بفضل الله – عز وجل –، تعطينا هيبة، وتكسبنا مواقف طيبة، تجعل أعداء الله، يحسبوا مليون حساب؛ لأنه عندما يخاصموننا أو يواجهوننا، لا يواجهون شخص واحد؛ إنما هؤلاء ثلاثين شخص، إذا الثلاثين شخص هؤلاء، وقفوا موقفًا واحدًا، واجهوا الإدارة مواجهة واحدة.

فإيقاع الأذى، على ثلاثين شخصًا، إعلاميًا وضجةً، وأمام منظمات حقوق الإنسان ونحوها؛ هم هذه حساباتهم، وليست حساباتنا، يحسبون لها حساب، أكثر من أن تُوقع الأذى على شخص واحد؛ فإذا كان الثلاثين شخص هؤلاء، يقفون على قلب رجلٍ واحد، فهم يحسبون إذن لهم حساب؛ فلذلك بفضل الله – عز وجل –، أمضينا فترة السجن بعزة، وكانت مواقفنا، مع الإدارة مواقف الند.

وهذا الأمر، جعل بعض الشباب، ينسون أنفسهم؛ عندما يأتي مدير السجن، أو مدير السجون يأتي، ويدخل المهجع عندنا، ويبقى كل أخ، جالس على سريره؛ في المهاجع الأخرى، يقفوا ويعيشوا ويهتفوا، فيسلم فلا أحد يرد عليه السلام. في مرة من المرات، دخل علينا

وزير الداخلية، فالجميع جالسين، وكنت أنا أصلي، ركعتين الضحى؛ وقف أبو مصعب معهم وكلمهم.

فلما انتهيت، جاؤوا بجانبي، وقال لي أبو مصعب: "كلمهم في الدعوة"؛ فأخذت أكلمهم في دعوتنا، فعرضوا أنهم يسألون، يعني هل نريد من طلبات أو شيء؟ فقلت: "نحن لا نريد منكم طلبات، نحن نطلب من الله – عز وجل –، وليس بيننا وبينه واسطة؛ فلا نحتاجكم".

وأبو مصعب أيضًا، قال لهم: "أنا أذكركم، بأنه أنا أعرف، أن سيدكم الآن مريض، وهو يعالج في أمريكا، وسيرجع قريبًا؛ وربما تذهبوا إلى مهاجع أخرى، فيطلبوا منكم استرحامات، وعفو وغير ذلك؛ فنحن إذا أخرجتم استرحام، باسم السجون والمساجين، فنطلب منكم، أن لا تذكرونا بمثل هذا؛ لأننا لا نطلب، من أحد الاسترحام، ولا نسترحم إلا الله – عز وجل –".

هذه كانت مواقف عزة، هذا طبعًا أخيرًا، هذا قبل خروجنا بقليل؛ كان هذا في وقت، إمارة أبي مصعب؛ هذه المواقف، هذه العزة، هذا الاستغناء عنهم، هذا الترفع، عن أن نطلب منهم شيء، جعل للتجمع هيبة؛ وأيضًا من السلبيات، التي حصلت، أن بعض الناس، ظن نفسه دولة داخل دولة؛ يعني نحن كنا، دائمًا نحاول، أن نذكر الإخوة، أن هذا بفضل الله – عز وجل – وحده.

هذه الهيبة، وصرف مكر وكيد، وتسلط هؤلاء القوم، عنا وعن أهالينا، وعن زوارنا، وعن إخواننا؛ هذا الأمر بفضل الله – عز وجل –، ثم بطاعتنا لأميرنا، يجعل الله بيننا وبينهم حجاب، يصرفهم عنا؛ يجعل لنا هيبة، يجعل لنا عزة، فلا تظنوا، أن المسألة بقوتنا، وبعضلاتنا وبشطارتنا؛ يعني أنا أذكر، كنا كلما نعمل عمل، لم نكن نتوقع أحيانًا، أن تنتج عنهُ بعض النتائج.

كنا نقف مواقف معينة في المحكمة؛ نعمل مشكلة، بسبب استفزاز القاضي لنا، وطلبه منا، أن نقف احترامًا للمحكمة، فقلت له: "نحن لا نقف احترامًا، لمحكمة تحكم بغير شرع الله"؛ وتصبح هناك مشكلة،

ومشادة كلامية، يطردنا القاضي على أثرها؛ ويأخذوا الكراسي، حتى لا نستطيع نجلس، وتعمل مشاكل كثيرة.

في اليوم الثاني، نجد كلام مفصل في الصحف؛ أن هذه المجموعة، رفضت الوقوف، احترامًا للمحكمة، وقال أحدهم: "أنا لا أقف احترامًا لمحكمةٍ، تحكمُ بغير ما أنزل الله"، كله بالتفاصيل يأتي النص؛ فكانت يعني فتوح، هذه نشر للدعوة، والناس كانت تقرأ؛ فكانت عبارة لأخينا أبومصعب – الله يرحمه –؛ كان يقول عبارة لطيفة، هكذا ينكت فيها، أنه نحن ليس بشطارتنا هذا الأمور، كان يقول بالعامية: "نحن نتهبل، والله بيتقبل"؛ فكان يقول هذه العبارة، لأنه نحن نتصرف تصرفات أحيانًا، لا نحسب لها حساب؛ ومع ذلك الله – عز وجل –، يسددنا ويوفقنا، ويبارك في هذه الأعمال، التي نحن لم نكن نرجوا، أن تخرج على مثل هذه الطريقة.

15- إمارة أبو محمد وانضباط الجميع فيها وشذوذ ابو المنتصر عنها وترك الامارة للشيخ أبو مصعب

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه أجمعين:

ثم وفقنا الله – سبحانه وتعالى– إليه في هذه الفترة، وفقنا لاستغلال فترة السجن والمحاكمات لنشر الدعوة إلى الله؛ فلم يكن في هذه الفترة يشذ عن الصف إلا شخص واحد وهو أبو المنتصر محمد وصفي أبو خليل؛ هذا الذي خرج على برنامج (صناعة الموت)، مقابل ٥٠٠ دينار أو دولار لا أدري!

خرج ليقول: "كنت أنا وأبو مصعب وأبو محمد رؤوس لمثلث متساوي الأضلاع، نحن رؤوس السلفية الجهادية – وطبعًا لا بد أن يلمعوه وأن يضخموا شأنه؛ لكي يكون لتراجعه المزعوم أثر على هذا التيار–.

أبو المنتصر: *(نحن كنا مثلث متوازي الأضلاع في الجماعة، أبو مصعب وأبو محمد المقدسي وأبو المنتصر؛ أبو مصعب كان يريد إقامة حكم ويريد جهاد ويريد كل هذا مرةً واحدة، هذا لا يتحقق أن يقام حكم وأن يقام جهاد مرة واحدة لا يتحقق هكذا، ونحن لا نملك شيء أصلًا!)*

أبو محمد المقدسي مُكملًا: إما أن يقال أن هذا رجل كان أمضى أوقاته يبكي على أولاده، وهو الوحيد في الصف كله الذي كان يقول أبو مصعب و نصري الطحاينة هم الذين ضيعوني وهم الذين دلوا المخابرات على بيتي، هو الوحيد الذي كان يُغرَّد خارج السرب، هو الوحيد الذي وكَّل محامي بل محامية!

نحن الخمسة المتهمين الأساسيين لم نوكل محامي أصلًا، لأننا أحببنا أن نستغل الأمر للدعوة إلى الله، وكنا نعرف أننا محكومين لا محالة، وبالتالي قلنا نستغل الأمر في إظهار البراءة من القوانين وكل من يتحاكم إلى القوانين؛ فهو لم ننكر عليه توكيل محامي لأنه يعتقد أنه

مضطر، ولكنه مع الأسف وكل محاميةً امرأةً نصرانيةً، من المطالبين والمنادين بحقوق المرأة!

فكان شاذًا من بداية الطريق، فكيف له أن يزعم أنه كان هو ونحن رؤوس لمثلث متساوي الأضلاع – كما زعم –؟! وأنه رأس من رؤوس السلفية؟! وبالتالي جعلوا لتراجعه – الذي دفعوا له ثمن بخس، تراجع مقابل ٥٠٠ دولار – جعلوا له شأنًا، أن هذا خرج في حلقة تحت عنوان (تكفيري تائب)؛ فهو الوحيد الذي كان قد شذ عن هذا التجمع، مع أننا حاولنا استيعابه، وأنا تحديدًا في فترة إمارتي حاولت جاهدًا أن نستوعبه، كونه كبير بالسن وكون ظروفه المادية كانت صعبة.

فكانوا الإخوة يكرموه ويعطوه، وكنت أنا لا أشدد عليه؛ لأنه كان يحب أن يخرج من المهجع ويذهب مهاجع أخرى، يكتب الأشعار مع لأناس في بعض المهاجع، ويقرأ معهم الأشعار في مهاجع تسمى (مهجع الشكّات) ومهاجع القتل له أصدقاء، فكنت لا أحب أن أضيّق عليه، ولكن كنت أطلب منه؛ لأني أفاجئ أحيانًا تأتيه زيارة أو تطلبه الإدارة، فأبحث عنه فلا أجده، فأقول له: "يا أبا المنتصر، أنا لا أريد أن أحرجك، ولا أريد أن أشدد عليك، أنت رجل كبير، ينبغي أن تكون قدوة لإخوانك؛ فيا أخي أنا لا أقول لك استأذن على الأقل أخبرني، قل لي أنا ستجدني إن طُلبت ستجدني في المهجع الفلاني، عيب أنا أكون أمير وتأتيني الإدارة تسأل عنك وأقول: "والله لا أعرف أين هو!"، لا تضعنا في مواقف محرجة".

فلم أكن أشدد عليه في موضوع الاستئذان، فقط أخبرني وأعلمني أين ستذهب! كنت سامح له حتى يستحي وحتى يتنبّه، وحتى كنت أقول له: "يجب أن تكون قدوة لإخوانك أنت كبير"، فكان دائمًا يكرر المخالفات؛ حتى وصلنا إلى مرحلة، أنه عندما حصلت مشكلة في فترة إمارة أبي مصعب، ووضع أبو مصعب في الزنازن، فجلسنا نتفاهم ونتشاور في ما نفعله لإخراج أخينا من الزنازن، ففي ظل الجو المشحون بالتصعيد والتنييم كما يقال خرج علينا هو يصيّح ويقول –

ولا أذكر أيش السياق الذي جعله يقول مثل هذا الكلام –، أخذ يقول: "لا إمارة أبو مصعب إمارة – يعني أنه لا يعترف فيها –، ولا إمارتك أنت إمارة"، وتكلم كلامًا لا يليق بمثل هذا الجو – الذي هو جو نحن نريد أن نرفع منعويات إخواننا وأن نوّحد صفهم، والأمير غائب ونحو ذلك – تكلم كلامًا لا يليق؛ فتصديت له وقلت له: "أتق الله أنت بدلاً أن تكون قدوة لإخوانك في الطاعة في مثل هذا الموقف، تطعن في الإمارة وتسن سنّة عن النمردة عليها والخروج عليها!".

فالأمر هذا أجل حتى خرج أبو مصعب من الزنازن، فكان عندما بلغه الأمر قرر أن يطرد هذا الرجل من المهجع؛ وكانت هذه قاصمة الظهر التي جعلته يعني يتعبأ علينا ويمقتنا أكثر وأكثر، وبقي كونه إنسان متحامل، بقي متحامل علينا – سبحان الله – حتى خرج على الفضائيات وتكلم بما تكلم به عن أبي مصعب وعني.

وأنا حقيقةً السياسة التي كنت ماشي فيها ربما توصف بالتساهل، ولكني أنا أنظر إلى أنني باستيعابي لهذا الرجل أغلق فمه، استيعابي له وإنفاقي عليه بمشاركتنا بالنفقة التي تأتينا تسكت فمه، ولكن لكل إنسان اختياره؛ ولذلك لما قرر أبو مصعب طرد هذا الرجل نصرت أبو مصعب ولم أخالفه، رغم أني أنا كان بودي أن نستوعب هذا الرجل.

يعني أذكر أنه عندما قرر الأخ أبو مصعب طرده جلسنا، وأخذ مجموعة من الشباب الذين يشاورهم وجلسنا، وجاء بأبي المنتصر ليجلسه معنا على زاوية هكذا في مكان منفصل في المهجع وأخذ يواجهه؛ ويقول له: "أنت لا تلتزم بالإمارة وأنت ... وأنت ... وأنت ...، وأنت دائمًا تذهب إلى أحبابك التحريريين وتجلس عندهم دون أن تستأذن! فنحن نريدك الآن أن تأخذ فرشتك وتذهب وترحل إلى أحبابك هؤلاء ولا نريدك أن تبقى عندنا".

فأنا حقيقةً كنت أنتظر منه ردة فعل تكون طيبة أشفع له عند أبي مصعب – يعني كنت أتوقع أن يقول: "أنا أخوكم واستوعبوني و – إن شاء الله – انضبط وألتزم ... إلخ" – بعد هذا التهديد، ولكني فوجئت

بأنه خرج يصيح ووقف وقال: "هذا مهجع الحكومة ولا يستطيع أحد أن يخرجني منه، وسأبقى فيه رغم عن أنف الجميع"، وخاطبنا بنبرة التحدي؛ فقلت له: "يا رجل والله أنا كنت مشفق عليك وكنت أنوي أن أشفع لك عند هذا الرجل، ولكن ما دامت ردة فعلك تحدي وتنمرد وستجلس رغم عن أنوفنا؛ فوالله إن لم تسمع وتطع الأمير بالصباح وتخرج، أنا الذي سيأخذ فرشتك وثيابك وألقي بها خارج الباب، هذا نصرة للأمير".

لا بد من هذا الموقف، وأنا كنت وهذا الرجل بالعمر متقاربين؛ ولذلك حقيقةً أحببت أن أوقفه عند حده عندما علّا صوته على الأمير، وأخذ يظهر التحدي وكذا؛ بالفعل بالصباح خرج وذهب للتحريريين، وطبعًا طوال الليل أخذ يذهب ويأتي في المهجع، ويضرب أخماسًا بأسداس ويقول: "أبو المنتصر ينطرد؟! آخرتها أبو المنتصر ينطرد!"

وهكذا يتكلم إلى أن جاء جوار تختي، ويشير علي ويقول: "أنت السبب" ويذهب ويأتي، فبالصباح أخذ فرشته وخرج إلى التحريريين وبقي عندهم؛ وصار يكتب على الحيطان كلام يسبنا فيه ويتكلم علينا فيه، حتى إنني أذكر الحكومة كانت تسمينا ببيعة الإمام، القضية هكذا لفقت لنا هذا الاسم؛ وكان هو يكتب بيعة الفلافل وبيعة الحمص وبيعة الفول وأشياء من هذا القبيل، سيتهزئ بالإخوة.

فيعني نحن سفهناه ولم نتدخل به، وحتى أنه بقي يخرج معنا في المحاكم – طبعًا لأننا لم نكن محكومين بعد –، فكان يذهب معنا إلى المحاكم، رغم أنه يبات في غرفة أخرى عند التحريريين ولكن كان يذهب معنا إلى المحكمة؛ فقلنا نحاول أن نستوعبه ولا نتصادم معه ورغم ضيقنا أشد الضيق بتعامله مع هذه المرأة المحامية، يعني كم كنا نضيق عندما كانت تأتيه وتقف معه على قفص الإتهام وتأخذ وتتكلم معه بشأن القضية، يعني كيف موقفنا؟

كلنا كنا ملتحين ودعاة ونتكلم بالتوحيد وهذه المرأة المتبرجة التي تدعو إلى حرية المرأة والنصرانية وغير ذلك تقف مع هذا الشيخ بهذه

اللحية وتخاطبه؛ كانت مواقف رغم أننا لا دخلنا لنا بهذا ولكنه كان موقفًا محرجًا وضعنا به هذا الرجل، لم يُقدّر إخوانه ولم يرعى أمرهم وسمعتهم؛ فلذلك يعني حقيقةً اضطررنا في بعض المواقف أن نظهر براءتنا من هذا الفعل، وحصلت مشكلة بعد مدة عندما انتقل للتحريريين ذات مرة، كانت علاقات التحريريين معنا ظاهرها المودة، قبل أن يأتي ناطقهم الرسمي ويُسجن معهم، الذي هو (عطا أبو الرشتة)، كانوا يأتون ويحضرون دروسي ويحضرون خطب الجمعة عندنا، وربما لعبوا مع إخواننا كرة قدم وغير ذلك في ملاعب السجن عندما يكون فيه فرصة لذلك، وأحيانًا يفطروا معنا عندما نعزمهم على فطور.

وفي العيد يأتوا عندنا، كانوا يأتوا ويصلوا معنا صلاة العيد التي غالبًا كنت أتولى شأنها أنا، قبل أن يأتي عطا أبو الرشتة وتحصل المناظرات والمناقشات، التي جرت بيننا كانت هذه علاقتنا؛ فكنا ربما ذهبنا إليهم، وعند بداية مجيء عطا أبو الرشتة فوجئ بأن هذا الرجل موكل هذه المحامية، فذات مرة كنت جالس أنا وأبو مصعب وبعض الشباب معهم، لا أدري ما الداعي كان لذلك؟ أو ما الحوار؟ فأخذ هذا الناطق الرسمي (أبو الرشتة) يُعيّر أبو المنتصر وينكر عليه هذا الأمر أمامنا، فكأنه يوّجه الخطاب إلى المجموعة كلها؛ لأن هذا واحد منكم!

فلم أستطع أن أسكت على هذا الأمر، وأقر هذا الرجل يعني وأجعله يزايد علي وعلى إخواني في هذا الأمر؛ لأنه نحن لم نضع لأنفسنا محامين! فكيف نتحمل وزر هذا الرجل؟! فأخذ ينكر عليه: "يا أبا المنتصر كيف تضع محامية امرأة؟! هلّا وضعت رجل محامي؟"

فما كان مني إلا أن قلت لهذا الرجل (أبو الرشتة): "نحن أنكرنا عليه هذا، نحن لم نمنع أن يضع محامي إذا رأى نفسه مضطرًا، ولكن أنكرنا عليه أن يضع امرأة محامية؛ ونحن بريئين في هذا الأمر ولا دخل لنا فيه وهو يعرف جيدًا أننا أنكرنا عليه هذا، بل هو يتسبب لنا

بالإحراج عندما ينادي عليها: "يا أستاذة أسما، يا أستاذة أسما"؛ ينادي عليها من القفص ويتعاطى معها".

ذكرت هذا، فما كان من أبو المنتصر في هذا الموقف إلا أن بهتني وإلا أن رد عليّ ردًا كان فيه كاذبًا، فماذا قال؟ قال: "أصلًا أنا لم أضع هذه المحامية إلا لتخرج لك سيارتك المحجوزة عند المخابرات"؛ ادّعى أنه وضع المحامية لكي تُخرج لي سيارتي المحبوسة، وسيارتي هذه كنت أنا قبل أن أُعتقل بفترة قصيرة، كان ألح هو علي أن يذهب إلى العمرة، ألح أن يأخذ سيارتي ويذهب بها إلى العمرة.

فوقتها أنا قلت له: "أن سيارتي قديمة ومنهكة وأنا لا أأمن عليها أن توصلني إلى إربد أو لمشوار بعيد داخلها، فلا تصلح لعمرة، فأنصحك لا تأخذها؛ لأنها ستُتعبك"؛ ومع إصراره وإلحاحه ذهبت وعملت له وكالة، سجلتها باسمه وذهب بها عمرة، فلما عاد من العمرة كان الشباب قد اعتقلوا فاعتُقل هو على الحدود وأُخذت السيارة معه.

أنا لم أطالبه بالسيارة، والسيارة لا تسوى شيء، السيارة منهكة تعبانة يعني ما تستحق أن أوكل لأجلها محامي، وأنا لم أوكل لرقبتي محامي فكيف أوكل لسيارتي؟! فضلًا أن أوكل محامية، يعني لا يُخرج السيارة إلا محامية أنثى؟ ألا يستطيع أن يخرجها محامي ذكر؟ ومع ذلك لم يُخرجها ولم يأبه بها، وبقيت السيارة عندهم إلى اليوم لا أدري ما حالها.

هو ادّعى أنه وضع هذه المحامية لأجل ذلك، ولم يفعل شيء ولم أطالبه أنا بفعل شيء أصلًا؛ فلذلك عندما قال هذه العبارة غاظني وجدت أنه يكذب، الرجل الآن أراد أن يلبسّني أنا هذه المحامية التي أنا أنكر عليه..

فقلت له: "يا عدو نفسك، أنا لرقبتي لم أضع محامي، فكيف أرضى أن تضع محامي بل محامية لسيارتي؟!"، فأخذ يجادل ويقول ...؛ فأحرجني أمام هؤلاء الخصوم فخرجت مني دعوة، ربما يعني بعض

الشباب يقول أصابته دعوة أبي محمد بعدما افتُتن، أنا لا أقول هذا؛ لأن البعض أخذ علي هذه الدعوة ولبّس الحق بالباطل وشوّه الصورة.

أنا قلت له عند هذا المقام، عندما أخذ يؤكد أنه لأجلي وضع هذه المحامية وأمام خصومي من التحاررة وغيرهم قلت له: "يا أبو المنتصر، إن كنت كاذبًا في هذا – وهذه دعوة مشترطة – إن كنت كاذبًا في هذا فأسأل الله أن يفتنك"، قلت له هذه الدعوة وتذكرت حينها دعوة سعد على من افترى عليه.

فحقيقةً أنا كنت أريد أن أرهّبه، ليرجع ويقول: "لا والله أنا هذه وضعتها لنفسي"، ويبرئ ساحتي أمام خصومي الذين يتصيدون في الماء العكر، فما كان منه إلا أن أصر! طبعًا بعض إخواننا عندما سمع هذه الدعوة حزِن، "يا أبو محمد، تدعو عليه هذه الدعوة!"، قلت: "يا أخي أنا دعوت عليه دعوة مشروطة، قلت – إن كنت كاذبًا –، أريد أن يظهر الصدق.

فأُخذت عليّ، حتى أن بعض من كتب الأشياء عني وأنا بالسجن زوّر هذه القصة، وجعل أني أدعو عليه لأجل السيارة! يعني أنني أظهر بالصورة كأنني دعوت عليه أن يفتنه الله عن دينه – هكذا هو قال –؛ لأجل سيارتي التي أضاعها، هكذا تفهم من سياقه القصة وهذا تشويه حقيقي!

يعني أنا دعوتي كانت غضب لأنه حاول أن يشوهني وحاول أن يلبسني أنا لباس هذه المحامية أمام خصومي، حاول يلبس الحق بالباطل؛ وخرجت الدعوة مشروطة بينما الصيغة نقلها هذا الكاتب حقيقةً كانت مشوهة ومكذوبة وغير حقيقية، على كل حال هذه أحداث ربما لا يحسن ولا يفيد أن نخوض بالكثير من التفاصيل في فترة السجن، ربما يعني تُفهم خطأً؛ ولكن الخلاصة التي أردت أن أوصلها أنا من خلال ذكر بعض هذه التفصيلات:

أنه بفضل الله – عز وجل – على هذا التجمع، أنه كان موقفه موقفًا واحدًا في المحاكم وفي السجن وأمام أعداء الله وأمام الصحافة،

كان إذا أخطأ أخ قومناه، وإذا زل أخ علمناه؛ فلذلك بارك الله – عز وجل – بالدعوة وخرجت من السجون ومن المحاكم، ووظفنا المحاكم والسجون لإظهار هذه الدعوة ولإبراز دعوة التوحيد؛ وأردت بالذكر من هذا فقط أن أبين أنه لم يشذ عنا إلا أناس معدودين عُرف حالهم فيما بعد، يعني هذا الرجل ماذا كان من أمره؟ خرج على (صناعة الموت)، هو الوحيد الذي خرج بمثل هذه البرامج الساقطة وأخذ يتكلم عن إخوانه، من بين سائر الإخوة الذين كانوا متجمعين في هذا التجمع وفي ذلك السجن.

فيعني لذلك نستطيع أن نقول هذا الشخص أو هذه السيئة مغمورة في حسنات هذا التجمع، ولا يُحمّل التجمع مسؤولية هذا الشخص؛ لأن كما يقال "كل شاة معلقة من عرقوبها"، فهو يتحمل مسؤولية نفسه ولا نتحملها نحن ما دمنا بُرآء مما يقول؛ بل أنه افترى وكذب علي وعلى أبو مصعب بأشياء هو يعرف نفسه أنها كذب، ويعرف الإخوة الذين كانوا معنا بالسجن أنها كذب.

اتهم أبو مصعب بأنه محبٌ للإمارة ومحبٌ للتصدر، واتهمني بأني محب للشهرة، وذكر أنني وزعت أوراق كنت وعدت بأنني لم أوزعها وكل الإخوة يعرفون أن هذا كذب وربما نعاود عليه فيما بعد أو نذكره؛ ومع ذلك هذا الرجل بعد أن تركنا كنا نحاول مرارًا وتكرارًا أن ننهض به لم نسلمه للشيطان، رغم أنه كان يبات في غرفة أخرى وخرج من الإمارة، ولكن كنا مضطرين به ملزومين به؛ لأنه كان يخرج معنا عندما نخرج من المحاكمات في نفس القضية، فكنا نحاول أن ننهض به.

أنا كنت دائمًا عندما نذهب إلى المحكمة نستغل المحكمة عندما تمتلئ القاعة بالصحفيين وبالمحامين وبالحضور من أهالينا وآخرين، وقبيل دخول القاضي بقليل نعرف أن تجمع الناس قد اكتمل تقريبًا؛ كنت أقف في القفص بفضل الله – عز وجل –، وهذه سنة سننتها، أظن أنني أول من فعلها في قفص الاتهام، كنت أقف أحمد الله وأثني

عليه وأخطب عادةً خطبة عن القوانين الوضعية والحكم بغير ما أنزل الله، وأتكلم عنهم وأستغل مثلًا بعض الآيات المعلقة – تلبيسًا – في المحكمة.

كان هناك آية كبيرة مبروزة ومكتوبة: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}؛ فكنت أشرح هذه الآية وأبيّن أن العدل هو فقط حكم الله، وأن كل ما سواه مهما وصفه الناس بالعدالة فهو ليس بالعدل، بل هو الظلم والكفر والشرك والعصيان وأتكلم في هذا...

وكان الصحفيين ربما سجلوا بعض المقتطفات، بل كان أحيانًا التلفزيون الأردني إذا كان موجودًا وحاضرًا يسجل ويصور هذه الخطابات، لكنها لم تبث طبعًا؛ لأنها كانت خطابات صريحة في تكفير النظام وفي تكفير أنصار النظام، وفي تكفير محاكمهم وقضاتهم وفي البراءة منهم وفي الدعوة إلى التوحيد ودعوة العساكر – أخاطب العساكر الواقفين إلى البراءة من أتباعهم؛ لأنهم سوف يتبرؤون إن لم يتبرؤوا في الدنيا فسيتبرؤون ويتمنون أن يتبرؤوا منهم في الآخرة وسيلعن بعضهم بعضًا... –، إلى غير ذلك من الخطب التي كنت دائمًا أتكلم فيها بغير المحاكمات.

وفي مرة من المرات، قلت للأخ أبو مصعب في فترة إمارته: "فلننوع؛ حتى لا يقول الناس أنه والله ليس فيهم متكلمين إلا هذا الرجل، دعنا ننوع منها أيضًا نرفع معنويات إخواننا"، فقلت: "دع أبو المنتصر، يحب هو أبو المنتصر أن يخطب ويتكلم، دعه يخطب مرةً"، مع أنه ليس بالإمارة معنا في تلك الفترة، ولكن من باب النهوض به وبنفسيته قلت دعه يخطب.

فبالفعل خطب مرةً خطبة وانطلق وتحمس وأخذ يتكلم حتى أنه تكلم عنهم وعن الحكم بغير ما أنزل الله، وبعد الخطبة الإخوة هنؤوه وشدوا من أزره وفرحوا بخطبته؛ فكنا دائمًا نحاول أن ننهض به ولكنه لم يحفظ لإخوانه حقهم ولم يحفظ لهم ما فعلوه معه، أبو مصعب

كان يكرمه وكان يعطيه إذا جاءه مال عام أو شيء يخصه، ولكنه لم يرعى هذا لأبي مصعب وأساء إليه.

وأنا أذكر جيدًا أن أبا مصعب قبل أن يذهب إلى أفغانستان، رغم الخصومة ورغم ما تكلم هذا الرجل فينا وفي أبو مصعب جاءه زائرًا إلى بيته؛ يسلمه ويستسمح منه ويزيل كل الأضغان بينه وبينه قبل أن يسافر إلى أفغانستان، أذكر جيدًا أن أبا مصعب فعل ذلك قبل أن يسافر إلى أفغانستان؛ ولكنه أساء إلى أبو مصعب فيما بعد واتهمه بما اتهمه به في هذا الكتاب الذي سمي (الجيل الثاني للقاعدة).

تركي للإمارة أنا كان باختيار مني، والشباب عندما جربوا فترة إمارتي كنت أحاول أن أجنب الشباب أي صدام سخيف وتافه يقطع علينا الهدوء الذي استثمرناه في الدروس وفي الخطب؛ خطب الجمعة التي لم تكن من قبل أصلًا، لم يكن الشباب يصلون الجمعة، أصبح يأتي إلى مهجعنا شباب من المهاجع أخرى، ويحضروا دروسنا ويحضروا خطب الجمعة عندنا ويتداولوا أوراقنا التي كان ينسخها الإخوة.

وكتاباتي التي كنت أكتبها بمستوى السجون، كتبت أذكر من كثرة ما كان يحصل أخذ ورد بيننا وبين العساكر، فكنت أكتب أمثلة يتعلم بها الشباب؛ مثلًا حوار بين عساكر التوحيد وعساكر القوانين، أذكر أمثلة من حواراتنا ونقاشاتنا التي تجري بينهم حتى يتعلمها الشباب المبتدئين، كتبت رسالة صغيرة بأهم الشبهات التي يتداولها العساكر ويرددونها ليتعلم الشباب كيف يردون عليهم، كتبتها تحت عنوان: (كشف شبهات المجادلين عن عساكر الشرك وأنصار القوانين)؛ كانت رسائل صغيرة ينسخها الإخوة وتتوزع داخل السجن، فهذه الفترة كانت فترة ذهبية وجميلة، وكنت حريص على أن لا يدخل الشباب في معارك.

لذلك عندما فكرت بترك الإمارة، خشي كثير من الشباب أن يفقدوا هذا الهدوء ويفقدوا هذه الدروس وهذه الصورة التي تمتعوا بها؛

وتذكروا أيام إمارة الأمير الذي كان قبل أن آتي، وكيف كان يكفر من يصافح الشرطة، وكيف كان يزج بهم إلى معارك لا فائدة منها، فخشوا أن يعود الأمر كما كان في العهد السابق؛ ذلك عندما بدأت أتحسس الشباب قبل أن أقرر هذا القرار، وألف عليهم شاب شاب، سجين سجين وأقول له: "أنا أنوي أن أترك الإمارة وأتفرغ للكتابة أو التدريس وكذا، فأرجو أن لا تعارضني عندما أجالس الشباب؛ فأنا أنوي أن أجالس الشباب جميعًا، فأرجو أن لا تعارضني وأرجو أن تقبل".

أكثرهم كان يُظهر أكثرهم معارضةً شديدة ويقول: "لا، لا نريد الأمور ترجع كما كانت وكذا"، فقلت له: "لا تخف ولا تحزن سأختار أخ – إن شاء الله – لن يُعيد الأمور إلى ما كانت، وكان في ذهني أنا قررت أن أختار أبي مصعب؛ لأني كنت أراه هو أفضل الموجودين وله تجربة جهادية سابقة، والأخ يعني إضافة إلى ذلك كانت علاقتي معه أقوى علاقة موجودة في السجن؛ فقد كنت أعرف جيدًا أنه سيبقى التنسيق قائم وستبقى الأمور كما كنت أحبها، أو كما أظن أو كما يترجح لدي أنها وفق ما يحب الله ويرضاه.

فدرت على الشباب واحدًا واحدًا، وكان يواجهني دائمًا قضية التخوف من رجوع الأمور إلى ما كانت عليه سابقًا؛ ولذلك كانت الأغلبية رافضين لتغيير الإمارة؛ ليس لأجل شخص أبو مصعب ولكن مخافةً من أن تتغير هذه الظروف التي اِكتسبناها، وهذه الأحوال التي كنا فيها؛ فطمأنت الشباب، وبالفعل جمعتهم بالمساء بعد العدد بعد أن يُغلق الباب، وجمعتهم وأجلستهم، وقلت لهم بأني: "أنا حقيقةً فكرت مليًا في هذا الأمر وفي هذا العبء الذي على ظهري، وهو موضوع الإمارة؛ ووجدت أنني لا أستطيع أن أجمع بينه وبين طلب العلم والكتابة والتصنيف والتدريس، وأردت أن أترك هذا المنصب مُختارًا لم يطلب مني أحد منكم هذا الأمر.

فأنا أتمنى أن تقبلوا مني أن أطلب هذا الأمر، أن أترك هذا الأمر؛ وأنا – إن شاء الله – سأولي بعدي شخص هو – إن شاء الله – خيرٌ مني وسترتاحوا مع إمارته ولا تخافوا – كثير من الشباب تخوف أن يرجع الأمر على ما كان –؛ ف – إن شاء الله – سيكون الأمر على ما يرام، وهذا الأخ هو أبو مصعب"، فنزعت طاقيتي عن رأسي ووضعتها على رأسه وقلت: "أنا أوليه أميرًا عليكم، وهو الآن أميركم فتسمعونه وتطيعوا – إن شاء الله –"؛ وكان أبو مصعب قد كلمني قبل هذه الجلسة لما ذهبت إليه وصارحته بأنني أريد أن أوليه الإمارة.

كان قد تفاجأ ورفض في البداية رفضًا قاطعًا حتى أصريّت عليه، وقلت له: "أنا تارك الإمارة لا محالة، فلا يحسن أن نضع شخص لا يليق في هذا الأمر وتخرج الأمور من أيدينا؛ أنا أعرفك وأثق بك، وأنت – إن شاء الله – على المنهج وعلى الجادة وعلى عقيدتنا، فلا ينبغي أن نأتي بشاب حديث عهد يُخبّط ويتخبط، ويَضل ويُضل"، فأقنعته بهذا الأمر.

فكان عندما تنازل قال ابتداءًا: "أقترح اقتراحًا"، فقال: "أكون أنا واجهة أمام أعداء الله أمير، وتكون أنت الأمير الحقيقي خلف الستار أو كذا"، فقلت له: "لا هذا غير شرعي أنت الأمير حقيقةً، و – إن شاء الله – الجميع يسمع لك ويطيع"؛ فأخذ عليّ عهد أن أناصحه وأن أقف معه وأن أعينه، فوعدته وعاهدته بذلك.

وفي البداية كان يقول لي: "أنا لا أريدك أن تستأذني أنت شيخي وأنت أكبر مني سنًا"؛ يعني أتولى الإمارة ولكن أنت تبقى لا تستأذني في شيء، هكذا كان الإتفاق ابتداءًا، لكني رفضت ذلك وأصررت على أن أكون قدوة لإخواني؛ فكنت بفضل الله – عز وجل – طوال الفترة التي لم يكن فيها أي احتكاكات وأي إشكاليات بدخول بعض المغرضين والمنافقين كما كان يسميهم أبي مصعب.

قبل ذلك كنت دائمًا مثالًا وقدوة لإخواني في الاستئذان من الأمير، حتى أن أبو مصعب كان يُحرج من كثرة ما أستأذنه في أشياء؛ حتى

أكون قدوة لإخواني، كلما أردت أن أخرج أو آتي أستأذنه؛ هذا كان الأمر عندما سلمته للإمارة، وفي الفترة الذهبية كما يقال لعلاقتنا معًا، طبعًا هناك تفاصيل قد لا يحسن ذكرها.

دخل بعد ذلك كثير من الناس، من ضعيفي الإيمان ومن لم يتربوا في ظل هذه الدعوة، ممن كانت لهم وما زالت يعني علائق بالجاهلية في ألفاظهم وتصرفاتهم وظنونهم، فحقيقةً أدخلوا بعض المفاسد على التجمع، وكنا دائمًا نتصدى لهم؛ ويحصل بسبب التصدي لهؤلاء الذين يظهرون بظاهر أنهم تصعيديين، وأنهم يريدون المواجهة مع أعداء الله ونحو ذلك، كان يحصل ربما بعض الحزازات؛ بسبب هؤلاء وبسبب مواقفهم وبسبب أشياء ...؛ تطورت هذه الحزازات وحصلت بسببها أشياء كثيرة جدًا في فترة سجننا، لكنها بفضل الله لم تشق الصف، حتى بعض الخلافات التي جرت في آلية التصرف مع الإدارة وفي سياسة الشرعية وفي غيرها؛ وإن وصلت أحيانًا حتى بيني وبين أبو مصعب بسبب هؤلاء، وبسبب بعضهم، من كان أبو مصعب نفسه يسميهم المنافقين، الذين كانوا يثيرون بعض الإشكاليات؛ فرغم ذلك كله لم ينشق الصف، نحن خرجنا من سجن الجفر في آخر حبستنا معًا أنا وأبي مصعب وسائر الإخوة الذين أُفرج عنهم، إخوةً بفضل الله -عز وجل- متآلفين.

خرجنا ونحن صف واحد، وهذا مما أغاض أعداء الله؛ لأن أعداء الله كانوا دائمًا يفتخرون بشيء واحد بشيء واحد يكتب بالجرائد؛ لا يفتخرون فقط باعتقال مجموعة مسلحة أو تنظيم مسلح، بل كانت العبارات التي تكتب دائمًا في الأخبار: (أنه نجحت المخابرات بتفكيك التنظيم الفلاني)، تفكيكه كيف؟ أن يخرج التجمع من السجن يتهم بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا، ويسب بعضهم بعضًا، بل ويكفر بعضهم بعضًا؛ ورأينا ذلك؛ رأينا كثير من التجمعات والتنظيمات التي خرجت، يتهم هذا ذاك بأنه مُخبر بأنه هو الذي اعترف عليه بأنه هو ورطه بأنه هو...

ونحن بفضل الله لم يصدر من أحد منّا هذا أبدًا إلا من أبي المنتصر، فكان يقول مثل هذا؛ وهو الوحيد الذي كان يقول: "أبو مصعب ونصري الطحاينة هم الذين اعترفوا علي، وهم الذين جاؤوا بي إلى المخابرات". وهذه فتنة وهذا بلاء، وتحمل الإخوة من الأذى ومنع النوم والضرب والجلد والتعذيب ما لم يكن لهم به تجربة سابقة؛ فيعني الأول يعترف على الثاني وعلى الثالث ولا يجعلوا له مجال أن لا يعترف، والإخوة ليس عندهم أي خبرة، فهذا الأمر لا يستطيع أحد أن يقلل من شأن أخٍ أو يطعن به بسببه؛ لأن هذه يعني مفسدة وفتنة.

16- نشر الدعوة في المحاكم والتعامل مع ليث شبيلات

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

وبفضل لله – عز وجل – علينا كانت مرحلة السجن مرحلة أظهرنا فيها دعوتنا، فخرجت من داخل السجون، وحتى أني أذكر موقف يبيِّن لك كيف انتشرت هذه الدعوة، حتى بين القضاة أنفسهم الذي كانوا يظهرون عداوتنا أمام النظام وأمام الصحافة؛ وهذه قصة أذكرها بعد أن أذكر مقدمة لها: وهي أنني عندما أُخبرنا بموعد الجلسة الأولى، التي سيسلمنا القاضي بها لائحة الاتهام، التي سيعرفنا بها تهمتنا والأدلة علينا ونوع المحاكمة؛ عندما علمت أننا سنذهب لاستلام هذه اللائحة أعددت أنا للقضاة لائحة اتهام، فكتبت الرسالة المنشورة الآن في (منبر التوحيد والجهاد)، تحت عنوان: (لائحة الاتهام؛ محاكمة محكمة أمن الدولة وقضاتها إلى شرع الله).

فكتبت هذه اللائحة ووجهت التهمة فيها إلى ملك البلاد وإلى القضاة وإلى أنصار الطاغوت وإلى ... وإلى ... وإلى ...؛ وذكرت التهم: تعطيل شرع الله، والتشريع مع الله ما لم يأذن به الله، والحكم بغير ما أنزل الله، وموالاة أعداء الله، ومعاداة المؤمنين؛ فذكرت تهم عديدة ثم شرعت أخاطب هؤلاء القوم بأنهم مشركين قد أشركوا بالله ما لم يأذن به الله، وأنهم شرّعوا مع الله، وأنهم حكموا بغير ما أنزل الله، وبينت التوحيد الذي نخاطب به الناس، ودعوتهم إلى التوحيد، ودعوتهم إلى البراءة ممّا هم فيه من الشرك والتنديد؛ وهي رسالة لطيفة منشورة يستطيع الأخ أن يرجع إليها في هذا الموضوع، وهربتها معي عندما خرجنا إلى المحكمة، فوضعتها في (البنطلون)، وهو اللباس الذي نخرج به إلى المحكمة وأخفيتها، ويسر الله – عز وجل - إخراجها ووصلت معي إلى المحكمة.

فكانت اللحظة الحاسمة ونحن في القفص؛ وبدأ المدعي العام يقرأ لائحة الاتهام، لما انتهى فقلت له: "أنت انتهيت، أعطيتني لائحة

الاتهام؟"، فقال: "نعم"، فأخرجت له هذه اللائحة وقلت له: "نحن أيضًا قد جئنا لك بلائحة اتهام لك ولأوليائك فخذها"، فحاول الشرطي أن يدخل يدي للداخل، فقال له القاضي: "لا، ائتني بها، ائتني بها"؛ فأخذوها وسلموها للقاضي، وكان رئيس محكمة أمن الدولة آنذاك القاضي حافظ أمين، فسلمه إياها؛ وقلت له: "هذه لائحة اتهامك، اقرأها جيدًا"، فقال لي: "اقرأ لائحة اتهامك أنت جيدًا"، فقلت له: "جيد، أنت تقرأها وأنا أقرأ لائحتي".

تعليق القاضي على اللائحة:

سلمت إلي لائحة اتهام المتهم الأول فيها: المغفور له جلالة الملك الحسين – رحمه الله – والمتهم الثاني فيها: أنا شخصيًا، ويبلغ المتهم الأول من خلالي أنا شخصيًا؛ وكانت التهمة أننا خارجون على الشرع، وأننا لا نطبق أحكام الدين الإسلامي ولا حكم الشريعة، وكان هذا غريبًا...

أبو محمد المقدسي:

فهذا الموقف كنّا نظن نحن بطاهره، أن هذه اللائحة أخذت ووضعت في الدرج أو أنها مزقت وألقيت في الزبالة، ولكن حقيقةً لم يكن الأمر كذلك؛ كان هذا أمرًا غريبًا عند القضاة، أن يعطي متهم يعطي قاضي لائحة اتهام، ولذلك ربما – وهذا الذي أظنه قد حصل، بدليل القصة التي ذكرت أني سأذكرها – أخذوا يصورونها ويتداولونها، من باب الاستغراب، يأتي هذا يصور له نسخة، وهذا يصور نسختين نسخة له ونسخة لآخر ، حتى إنها انتشرت بين القضاة ونحن لا ندري، نحن أصلًا بالسجن؛ وبفضل الله – عز وجل – الله – عز وجل – يسوق هذه الدعوة ويوصلها في المحاكم الأخرى.

فالذي أريد أن أستدل به بهذا الأمر؛ أننا في فترة من فترات المصادمات في السجون حصلت مواجهة بيننا وبين الإدارة، وقام واحد من الشباب أو اثنين من الشباب، وهذه كانت في فترة إمارتي وكان الأخ أبو مصعب (مزنزن)، الفترة التي كنا نتشاور لإخراجه –

القصة التي ذكرت –؛ حصلت بيننا وبين الإدارة مصادمة، فجاؤوا وأرادوا أن يرشّوا علينا الغاز، واستدعوا الأمن وجاؤوا بعددهم، ونحن واقفين نتحداهم، فما كان من أحد الضباط المغفلين – لأنه له علاقة مع بعض المساجين الإسلاميين في القضايا الأخرى وليس في قضيتنا – فجاء وتقدم ودخل في هذه المعمعة.

هؤلاء يقفون من بعيد، ونحن نقف في مواجهتهم وبينا وبينهم مسافة، ونحن نتهيّأ لمواجهة الدخان والضرب وكذا؛ وجاء هذا الغبي ودخل في الصفوف بيننا يظن أنه يستطيع أن يصلح؛ لأن له علاقة جيدة مع المساجين الآخرين، فطن أنه سيسلم، فتناوله بعض الإخوة وأشبعوه لطمًا ورفسًا وضربًا، وبإعجوبة فكّه الإخوة العاقلين من بين أدي أولئك الإخوة.

فبسبب هذه الحادثة سجلت لنا تهمة اعتداء على رجال الأمن، وإثارة الفوضى في السجن، وإقلاق رائحة المساجين، وغير هذا من التهم السخيفة؛ ووجهت التهمة لي أنا كوني كنت الأمير آنذاك، ولأبي مصعب لأنه لأجله كانت الأحداث، وهاذين الشابين الذين قاما بمباشرة ضرب ذلك الضابط، ونقلنا إلى محكمة خاصة غير محكمة أمن الدولة تتناول مثل هذه القضايا الصغيرة.

وعندما ذهبنا إلى المحكمة، وكان القاضي قاضي آخر وليس قاضي أمن الدولة؛ فالمحكمة ليست محكمة أمن الدولة، بل محكمة أخرى لا أدري ماذا يسمونها؟ محكمة جزاء أو محكمة صلح، التي تهتم بقضايا (الجنح) كما يسمونها؛ فوقفنا أمام المدعي العام، وهو مدعي عام جنائي وليس أمن دولة، وكانت أول مرة نراه وأول مرة يرانا، ولكن يعرفنا جيدًا ولكن نحن لا نعرفه؛ فبدأ يسألهم وكنت أنا أقف آخر واحد، وكان الإخوة هكذا الثلاثة إلى شمالي، فبدأ يسألهم واحد واحد، يقول: "أنت متهم بالاعتداء على رجل أمن، وإثارة الفوضى بالسجن، وبإقلاق راحة المساجين، وبعدم الانضباط بأوامر السجن؛ هل أنت مذنب أو لا؟".

فسأل الأخ الأول: فيقول بأنه غير مذنب.

وسأل الأخ الثاني: فقال: "غير مذنب".

وسأل أبو مصعب: فقال بأنه غير مذنب.

فلما سألني أنا، كنت متهيّئ أن أستغل الظرف، في دعوة هذا الرجل الذي لأول مرة يرانا - بفضل الله عز وجل -، فلمّا سألني قلت له: "أنتم المذنبون".

فقال لي: "من تقصد؟".

فقلت له: "أقصدك أنت وحكومتك ودولتك، أنتم مذنبون عطّلتم شرع الله وحاربتم دين الله، وحكمتم بغير أنزل الله، وواليتم اليهود وحاربتم المجاهدين".

فقال لي: "يا رجل امسك لسانك، لأنسّب لك تهمة جديدة غير التهمة التي جاءت بها؛ أنت الآن تطيل لسانك على الحكومة".

فقلت له: "نسّب".

فقال أخونا أبو مصعب - جزاه الله خيرًا -: "إذا أردت أن تنسّب له تهمة جديدة، فسّبها لنا نحن أيضًا؛ فنحن نقول ما يقول أيضًا ونعتقد ما يعتقد".

فجزاه الله خيرًا، رآى أنها فرصة ورأى أنها فاتته فأراد أن لا تفوته، وأراد أن يشارك بذلك الأجر - رحمه الله -، ولم يكن يفوت فرصة مثل هذه؛ فالرجل لمّا رأى أنّ الأربعة وقفوا وقفة رجل واحد أخذ يهدّئ، وكان يظن أنّني سأبقى وحدي أو أنّني سأتنازل؛ لأنه بعد أن قال أبو مصعب تلك المقالة، قال باقي الإخوة: "ونحن كذلك"، فلمّا رأى هذا الأمر أخذ الرجل يهدّئ ويقول: "يا شباب ليس من صالحكم هذا، وأنتم جئتم بقضية فترجعوا الآن بقضيتين؟".

فقلنا: "عادي الأمر، نحن الآن نجلس في محكمة أمن الدولة، وننتظر أحكام ربّما تصل للإعدام؛ فلا يهمّنا أن تواجهنا بمثل هذه التهمة الجديدة في سبيل الدعوة، وفي سبيل أن نُسمعك، فنحن نشفق عليك ونريد أن نخرجك من هذا الشرك والباطل الذي أنت فيه؛ فأنت تحكم بغير ما أنزل الله، وذكرناه بحديث (قاضيان في النار وقاضٍ في الجنة)، وهكذا شارك الجميع – بفضل الله عز وجل – في هذه الدعوة.

فقال: "يا شباب والله أنا أعرف كلامكم، وأعرف كل ما تدعون إليه، وأعرفكم وأنتم لا تعرفوني".

ثم فتح درجه وأخرج صورة لائحة الاتهام التي أوصلتها لحافظ أمين، وقال وهو يصوت: "أليست هذه أنتم أعطيتموها لحافظ أمين، أنا صورت منها نسخة وقرأتها وأعرف دعوتكم".

فطبعًا فرحنا جدًا أن لائحة الاتهام التي سلمناها في محكمة أمن الدولة، هي الآن في محكمة أخرى وعند المدعي العام، الذي هو ليس من أمن الدولة أصلًا؛ لكنها كيف تسربت بين القضاة لكونها شيء غريب؟ وربما يقرأها إنسان فتحدث عنده شيء أو تبلغه الدعوة ، وربما يأخذها لبيته فيقرأها أحد أبنائه؛ فهذه من البركات التي كان الله – عز وجل – يوفقنا إليها، ليس بفضلنا وليس بذكائنا ولكن كله بتدبير الله، كما كان أخونا أبو مصعب – الله يرحمه – يقول: "نحن بِنِتهَّبلْ والله بيتقبَّل".

طبعًا كان هناك بعض الأحداث تطرأ على السحة في خارج السجن؛ فيرد إلى السجن شخصيات جديدة ربما كان بعضها مشهور؛ مثل (ليث شبيلات) سجن في فترة معنا، وعندما جاء أجلسنا الإخوة أنا وأبو مصعب، وبيّنت لهم أن هذه الشخصيّة القادمة للسجن الآن، وكان وقتها بالزنازن أفردوه؛ وهذا مؤقتًا عندما يأتي إنسان جديد للسجن يعزلوه مؤقتا في الزنازن، وفي النهاية لابد أن يخرج، وإذا كانت قضيته مصنفة أنها من جنس قضايانا سيوضع في المهاجع التي

حولنا، وسيكون هناك احتكاك ورؤية لهذا الرجل وتعامل معه؛ ولذلك هيأت إخواني، وأنا أعرف أنه من إخواني من هو مستواه العلمي قليل، وأيضًا نظرته ونضوجه قليل، ولذلك يحتاج إلى تنبيه.

بعض الإخوة بلغ من تعنته أنه حتى الشباب في القضايا الأخرى، الذين يخالفوننا في تكفير الإدارة والطواغيت وأنصار الطواغيت ويصافحون ويبشّون في وجوههم ويضحكون معهم؛ كردة فعل كثير من الشباب بل معظم الشباب الذي كانوا في قضيتنا تأثر بعضهم ببعض، فأصبحوا يصارمون هؤلاء الناس ويقاطعونهم ولا يصافحونهم ولا يسلمون عليهم ولا يزاورونهم ولا يتعاملون معهم، بل تطورت الأمور إلى أنهم أصبحوا يغضبون ممّن يصافحهم ويتعامل معهم.

يعني إذا أنا أبو محمد الذي أدرّسهم ويعدّوني شيخهم، عندما يرونني واقف مع واحد من أولئك الذي يصافحون الجيش والشرطة، من باب الدعوة أو من باب أي شيء، أقف معهم أمام شبك الزيارة مثلًا، يؤخذ علي هذا ويحسب عليّ مثل هذا؛ مع أنّني صاحب دعوة ويجب أن أقف مع هؤلاء ومع غيرهم، وكان بعض المجرمين من الجيش والشرطة والأمن الوقائي يتعمد أحيانًا افتعال مثل هذه الحركات، حتى يثير هؤلاء الشباب؛ لأنهم يعرفون أن بعض الشباب عقولهم صغيرة، وربما يثير بهذه المواقف البغضاء بين الشباب.

مثلًا تجدني أنا واقف مع من ينتظرون عند مدخل الزيارة، فيأتي رجل من الأمن الوقائي يقف أمامي ويقول: "كيف حالك يا أبو محمد؟"، ويبتسم، وأنا واقف مع الناس أنتظر دور زيارتي، فيقف ويبتسم ويقول: "كيف أخباركم؟ وماذا حصل معكم؟ وماذا جاءك من الكتب؟"، ويفتعل أي كلام سخيف ليقف ويخاطبني أمام الناس، وربما هو يبتسم وأنا أقف عادي أخاطبه.

فقلت لأحدهم مرة: "أنت تقف هذا الموقف تريد أن تحرقني، وتريد أن توهم الذين يروننا أنك صديقي، وأن الأمور بيننا (آخر حلاوة)؟ تريد هذا يعني؟ فإذا كنت تريد أن تحرقني، فأنا ضد الحرق وأخواني يثقون

بي؛ بل أنت خف على نفسك، بوقوفك معي ستُرفع التقارير لجماعتك، أنك تقف مع الإرهابيين ومع التكفيريين – كما يسموننا –".

فكنت أحاول أن أوصل له أن إخواني يثقون بي، وأن مثل هذه التصرفات والمكائد لن تنفع ولن تجدي؛ ولكن حقيقةً رغم أنني كنت أقول لهم هذا، حقيقةً كان هناك بعض صغار العقول كانت تجدي معهم مثل هذه التصرفات، وكانت تتراكم وكان يجمعها ويحفظها في ملفات في الذاكرة؛ ثم عند الخصومة وعند الخلاف كانت تخرج وتطفوا على السطح، وبعضها ربّما كتب ونشر كما ترى في بعض المنتديات الآن وقبل ذلك.

على كل حال كانت تضبط سياستي وتوجهي مع الإدارة السياسة الشرعية، فثوابت العقيدة معروفة، وأنا من درستها لهؤلاء الشباب؛ والإدارة كلها والنظام كله يعرف أنني شيخ هؤلاء الشباب، بل شيخ هذا الفكر الذي يسمونه الفكر التكفيري، فثوابتي واضحة؛ أكلمهم بأنهم كفار وأكتب ذلك وأأصّل له، وأرد على الشبهات التي تقوم بينهم، كل ذلك مني، وأعرف أن هناك سياسة شرعية للتعامل مع الإدارة داخل السجن، وأعرف أنه لا بأس أن أقف وأتكلم معهم بالدعوة، وأن أخاطبهم بالأسلوب الحسن والأسلوب الجيد، من باب إظهار الدعوة ومن باب توصلها ومن باب رد شبهاتهم؛ وأقف الساعة والساعتين في الرد على شبهاتهم، فأنا جالس في هذا السجن ولا عمل لي إلّا الدعوة كتابةً وخطابةً، أستغل وقتي وأستغل الأمر.

ولكن بعض الإخوة الحديثي عهد بهذه الدعوة، والذين يؤثر فيهم الكبت والضيق داخل السجون، كان هذا لا يعجبهم ولا تستسيغه مزاجاتهم؛ ولذلك ربما صدرت بعض الهنات، وبعض الأمور التي لا نريد أن نخوض فيها الآن.

الشاهد بأنه عندما جاء ليث شبيلات، وكان قبل أن يكون سجين كان نائبًا للبرلمان؛ ونحن نعتقد وندين لله أن البرلمان معقل من معاقل الوثنية، وأن الذي يشاركون فيه بصفة أعضاء في هذا المجلس

التشريعي، أي مشرعين أنهم قد قارفوا عمل تكفيري ونكفرهم؛ ولكن الرجل قد جاء سجينًا معارضًا الآن ولم يعد نائبًا في البرلمان، وهو أصلًا تربيته كانت صوفية؛ فهو يصلي وعنده أوراد وعنده أذكار ويحب العبادات ويصوم، وهو أيضًا مؤدّب ولسانه لطيف، ويتوقف للمخاطبين.

ولذلك جلست أنا مع هؤلاء الشباب؛ لأنني أعرف أن من إخواني من ربما يتعجل وتصدر عنه بعض الأشياء التي يسيء بها إلى الدعوة؛ فأفهمتهم أن هذا الرجل جاء سجينًا ولم يأتي نائب في البرلمان الآن، وهو محسوب عند النظام معارض للنظام، بغض النظر عن ما هي وجهة معارضته وما هو اتجاهه؛ وهو أيضًا يظهر الصلاة والصيام والعبادة والتصوف وغير ذلك، ولم يكن يظهر منه التصوف الشركي، بل كان التصوف بالعبادات من التسبيح بالمسبحة وغير هذا؛ وعلى كل حال كان شيخه من مشائخ الصوفية المعروفين في البلد واسمه (أبو غزالة)، ولأجل ذلك كان يقال عنه صوفيًا، أما أنا فمن خلال تعاملي معه لم يظهر لي من معالم هذا التصوف شيئًا ظاهرًا، على الأقل أمامي أنا.

فأجلست الشباب وأفهمناهم هذا الأمر، وأن هذا الرجل إضافةً لهذا كله فيده طائلة للصحافة، لأن له أصدقاء صحفيّين كثيرين، وكل ما أراد أن ينشر مقالةً أو يتكلم بكلمة فيستطيع بسهولة ويسر أن يوصل كلامه للصحافة؛ ومن ثمّ يا أخواني فيجب أن نتصرف مع هذا الرجل بحكمة؛ لأجل مصلحة دعوتنا، ومن أجل أن تظهر الدعوة بالصورة المشرقة التي نريدها نحن، لا الصورة المشوهة التي ربما تسبب بإيصالها بعض الشباب بتصرفاتهم.

ونحن يا أخوة لا نجبركم إجبارًا على تبنّي ما أتبنّاه أنا، مع أنّي لا أكفر هذا الشخص؛ لأنه يصلي ظاهره الإسلام، ولم يعد نائبًا في البرلمان، جاء وسجن معارضًا للنظام؛ فأنا لا أطلب منكم أن تحكموا بإسلامه كما أفعل، ولكن أطلب منكم أن لا تنكروا عليّ وعلى من سيوافقني

في هذا الحكم، ومن ثمّ فلا تنكروا عليّ مصافحتي له وسلامي له وكلامي معه وتعاملي معه؛ شأنه شأن سائر المساجين، فلا ينبغي أن يكون هذا الرجل سبب في الإفساد والفتنة بيننا وسبب في شق الصف، فنضع النقاط على الحروف.

وكذلك من يكفره منكم، نطلب منه طلب، بأنه يتجنبه، فلا داعي إذا كان هذا الرجل سائر في السجن أن يأتي له وجهًا لوجه؛ لأنّ ذلك الرجل مؤدب، وهذه طبيعته يتلطف للآخرين، يعني لو رأى شابًا من أخواننا سيمد له يده ليصافحه، فإذا كنت تكفره ولن تصافحه فنطلب منك أن تتجنبه؛ حتى لا يحصل هذا الموقف المحرج بأن يمد لك يده ليصافحك فتقول له: "أنا لن أصافحك"؛ لأنه إذا سألك عن السبب فلن تحسن أن تجيبه بسبيل مقنع، وأنا أعرف أخواني الذي يتبنون هذا الأمر؛ لأنه ليس من أنصار الطواغيت في هذه المرحلة، وليس بمشرع وهو سجين وجاء معارضًا للبرلمان، وأيضًا هو معارضًا للنظام، وهو يصلي ويقوم بأركان الإسلام، فإذا كان الأخ سيتكلم بشيء، فأنا أعرف أنه سيتكلم بشيء ضعيف ولن يحسن أن يبرر لمثل هذا الفعل؛ ولذلك يا أخواني أنا أطلب منكم أن تتجنبوا الرجل، إذا كنتم مصرّين على تكفيره وعلى عدم مصافحته، ولا تنكروا على إخوانكم الآخرين الذين سيعملوا معه ومع غيره في الدعوة.

وهذه الجلسة حضرها أبو مصعب وحضرها سائر الإخوة، واتفقنا على أننا منذ أن يخرج من الزنازن أن ندعوه إلى مهجعنا على طعام إفطار، وأن نعطيه بعض كتاباتنا وأن نبين له دعوتنا، حتى يسمعها منّا ولا يسمعها من خصومنا مشوهة، حصل هذا أمام الجمع كله.

وبعد هذه الجلسة التي جلسناها مع الشباب، وبينًا لهم الموقف من هذا الرجل، قرّرت أنا أن أكتب ورقة لهذا الرجل قبل أن يخرج من الزنازن؛ ليقرأها وهو داخل من الزنازن بتروٍّ وتدبّر، فكتبت ورقات سمّيتها (النصائح الغاليات إلى المهندس ليث شبيلات)، بيّنت فيها

مختصر ما نعتقده من التوحيد ومختصر دعوتنا، وبينت أهم الأصول ومعنى لا إله إلا الله وما تحويه من النفي والإثبات.

ودعوته إلى أن يبرأ إلى الله من هؤلاء الطواغيت؛ لأنه كان – كما هي سياسة كثير من المعارضين في بلادنا – يفرق بين رأس النظام وبين الحكومة، فتجد كلامه كله منصب على الحكومة، ولكنه يتجنب الكلام على رأس النظام؛ فكلامي كان مركزًا على مثل هذه النقاط، وأخذت هذه الأوراق ونسخ الإخوة منها نسخة، وكنت دائمًا في كل ما أكتبه في السجن أنسخ منه نسخ احتياطية؛ نسخة ينسخ منها الشباب داخل السجن، ونسخة أخرجها إلى بيتي مع أي زائر يزورني أو مع أي صديق يزورني من ثقوب كانت في شبك الزيارة؛ وهكذا خرجت جميع كتاباتي داخل السجن بهذه الطريقة، كنا نكتبها على أوراق ونطويها هكذا رفيعة، فأذهب للزيارة ومعي خمسين ورقة أو عشرين ورقة، وأنا أربطها في خيط تحت كمّي؛ ثم إذا رأيت الشخص المناسب قد جاءني في الزيارة، أخرجها ورقة ورقة عن طريق ثقوب كنّا نفتحها ونغلقها وهكذا.

فأخرجت من هذه النصيحة نسخة، كما هو شأني مع سائر كتاباتي، تحفظ إلى أن يحين أوان نشرها، فأوصلت نسخة لليث شبيلات من أسفل باب الزنازن، وبالفعل استلمها.

ثم عندما خرج هذا الرجل دعوناه إلى الإفطار، فجاء عندنا وأفطر وجلست معه أنا وأبو مصعب وبعض الإخوة المنتخبين من الكبار الفاهمين؛ وتكلمنا معه عن الأوضاع في السجن وعن دعوتنا وعن سبب اعتقالنا، وأعطيناه رسالة كانت عندنا وهي رسالة (ملة إبراهيم)، وبعض الكتابات التي كتبناها، وأفطر معنا ثم ذهب إلى حال سبيله؛ وبقيت الأمور على هذه الطريقة، أنا أتعامل معه وربما أصافحه في الكلدرات أو في السجن عندما ألتقي به، وأعطيه بعض الكتب، وإذا دخلت إلى الغرفة التي هو فيها مع جمع آخر من السجناء أسلم عليه كما أسلم على الآخرين.

وكان يشاركني في ذلك البعض (قلة)، ولكن عندما تتأزم الأمور، يكون تأثير الذي يصنفون بأنهم تصعيديّين ومتشدّدين يكون أقوى على الآخرين؛ فتجد بعض الشباب الضعفاء يتراجع عن المصافحة وهكذا، فيبقى في الساحة الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، الذي يفعل فعله بتأصيل شرعي وليس تقليدًا وليس هوىً، ولذلك سأبقى أنا وحدي بهذه الصورة.

ولذلك وجدت فيما بعد من عيّرني بمصافحتي لهذا الرجل، مع أنّنا جلسنا جلسة متفق عليها؛ يعني وصلنا إلى مرحلة أثناء الخصومة مع بعض الأشخاص وبعض الشباب من عيرني بهذه المصافحة وهذه المخالطة وهذا التعامل مع هذا الرجل؛ الغريب أنه كما أنّني لم أسلم أنا من ألسنة هؤلاء البعض، حتى أبو مصعب لم يسلم من ألسنة البعض.

فأذكر على سبيل المثال عندما كنّا نذهب للمحاكم، فوجئ أبو مصعب في أحد المرات أن أحد الحراسات الذين كانوا معنا -وهو شخص من قوى الأمن-؛ فوجئ أنه كان يعرفه، وكان صديقًا له من الصغر، من أيام حتى طفولته وصغره؛ وكأنّني فهمت أنه كان يسكن بقرب بيت أبي مصعب، أو أنه أخًا له في الرضاعة أو شيء من هذا القبيل، يعني كان قريب جدًا من أبو مصعب؛ وحاول أن يعانق أبو مصعب وحاول أن يسلم عليه، فدفعه أبو مصعب وقال له: "لا تسلم عليّ".

فقال له: "أنا أخوك أنا حبيبك أنا أبو سلامة...".

فقال له:" ليس بيني وبينك مصافحة، وأنا أصبحت في عدوة وأنت في عدوة. الله يجزيه خير بين له المعتقد الذي نعتقده، وقال له: "أنا لا أصافحك حتى تترك ما أنت فيه، وتصبح من أنصار الشريعة والدين، وليس من أنصار الطواغيت والقوانين".

ففوجئ هذا الرجل ولم يستوعب الأمور، حتى أنه من شدة حبه لأبي مصعب مسك يده وقبلها، فنحن تأثرنا أن هذا الرجل متعلق كثيرًا بأبي مصعب؛ فقلت لأبي مصعب: "ما رأيك أن تدعوه لغرفتنا ونجلس

معه وندعوه ونعطيه بعض كتاباتنا، من باب الدعوة؟"، ففعل ذلك أبو مصعب، وقال لذلك العسكري: "عندما نصل للسجن – هم كانوا من الحراسات الخارجية يذهبون بنا إلى السجن ويعيدونا –، فإذا استطعت أن تدخل إلى داخل السجن وتزورنا في مهجعنا؛ حتى نتكلم معك ونفصل لك وتفهم منّا أكثر".

وبالفعل جاء الرجل بعد أن أوصلونا، دخل وجاء إلى مهجعنا وجلس على سرير أبي مصعب وجلت أنا وأبو مصعب معه، وجئنا بكاسة شاي ووضعناها أمامه، وأخذنا نكلمه عن دعوتنا وأعطيناه بعض الأوراق، وفصّلنا له لماذا لا نصافحه، وما موقفنا والتفصيل كامل؛ وكان هناك البعض من المجموعة التي كانت تثير الفتن، حتى أن أحدهم صار بعد ذلك من المغالين في التكفير، كانت هذه المجموعة في زاوية من الزوايا، وهذا كان في فترة إمارة أبي مصعب، كانت لهم زاوية يجتمعوا فيها ويغطوها بالبطانيات، وكان أبو مصعب يسمّيها خيمة الضرار؛ فكانوا ينتقدون كل تصرف يقوم به الأمير وغير هذا، وهم من أزعجني في فترة إمارتي وأزعج أبو مصعب في فترة إمارته، وأحدهم أصبح من الغلاة في التكفير، وأحدهم خرج من الإمارة، والآخرين أفرج عنهم بكفالات ولم يتابعوا معنا.

على كل حال لمّا رأوا هذه الجلسة لم يعجبهم هذا الأمر؛ عسكري ونشرّبه شاي فضاقت عقولهم بهذا، طيب ألم يقل الله – عز وجل –: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}، فهل إذا أردت أن تسمعه كلام الله تقول له أحضر أكلك وشربك معك؟ وما المانع أن تطعمه حتى تسمعه كلام الله، وأن تتلطف إليه بكوب شاي أو غير ذلك؟

ولكن عقول هؤلاء تضيق على استيعاب هذا؛ فأخذوا هذا علينا، حتى أنّنا عندما كرّرنا ذلك وطلبنا منه أن يأتي في اليوم الثاني، فجاء ووضعنا له كوب شاي آخر، وأخذنا نكلمه وأعطيناه بعض الأوراق؛ سمعنا بعض من يتكلم علينا وهو موجود، يقول بالعاميّة: "والله قلبت

حلبية"، وهذا مصطلح عامي يستخدموه، يعني به أنه لم يصبح هناك حواجز بيننا وبينهم، وهذا الرجل يجلس معنا؛ فأخذوا يطعنون في أبي مصعب بسبب هذه الجلسة التي تكررت مرتين.

فحقيقةً كان هناك في التجمع من كانوا يسيئون إليه، وكانوا يبلبلونه ويثيرون الفتن؛ لذلك قرّر أبو مصعب أن يأخذ هؤلاء بالشدة، ومن لم يستقم يطرده من التجمع، فكان أن شدّد في هذا الجانب في فترة من الفترات، و بفضل الله – عز وجل – في هذه المسائل وأمثالها كنت أقف معه وأناصره بها.

17- مناقشة التحريريين وقصة نشر المناظرة وقصة تأليف التبصير والثلاثينية

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، على نبينا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه أجمعين:

هذه الحادثة للتحريريين، بعد نقاشنا مع عطاء أبوالرشتة، وهوالناطق الرسمي بحزب التحرير، هذا قبل أن يأتينا إلى السجن؛ كان شباب الحزب، علاقتهم معنا ودية، وكنا نعاملهم معاملة أصدقاء السجن، نحن مجبورين على المعاملة، مع هؤلاء الناس؛ هم جيراننا، يأتي بعضهم يفطر معنا، ويحضر دروسنا، كان بعضهم يدرس ويحضر عندي، دروس أصول الفقه؛ ويحضرون خطبة الجمعة عندنا.

وان كان بعضهم يذهب، ويصلي خلف ضابط السجن؛ لا فرق عندهم، أن يصلي خلفه، يعني هم غير مضطرين للصلاة خلفنا، لأنهم يرون الصلاة، خلف ضابط السجن في مسجد السجن؛ فبعضهم يصلي عندنا، وبعضهم يذهب ويصلي هناك، وبعضهم يلعب كرة قدم ورياضة، مع بعض إخواننا؛ كانت العلاقة هكذا ودية، أوعلى الأقل علاقة مداراة، ولم يكن هناك مصادمة، ولم يكونوا يفتعلون نقاشًا، لأنهم كانوا كلهم شباب.

فلما جاء شيخهم هذا، بدأ بعض شبابهم يتحرشون بإخواننا، ويقولون لماذا لا تناقشوننا؟ وأنتم تكفرون الجيش والشرطة؟ تعالوا ناقشوا المهندس عطاء أبوالرشتة، وناقشوه في هذا؛ وأخذوا يتحدون إخواننا في هذا الأمر، فلما رأيت الأمر كذلك، أنا قلت للإخوة: "نحن مستعدون، إذا أرادوا نحن مستعدين؛ لا تتحرجوا منهم، ولا تنكسروا أمامهم، إذا عرضوا عليكم، مثل ذلك مرة أخرى، فقولوا لهم: "نحن مستعدون".

وبالفعل حصل ذلك، فرتبت جلسة مناظرة، بيننا وبينهم؛ أرادوا أن يناقشوننا، في كفر الجيش والشرطة تحديدًا، فرجعناهم إلى الأصل،

قلنا لهم: "لا نناقشكم بهذه الفروع، وأنتم تخالفوننا في الأصول؛ ما هو الإيمان عندكم؟ أنتم مرجئة في الإيمان، أنتم لا ترون، أن الأعمال من الإيمان؛ فكيف نناقشكم في هذا الأمر؟ وأخذ الحوار والكلام، في تعريف الإيمان ومسمى الإيمان، وأن العمل ليس من الإيمان – كما يقولون هم – ولا رددنا عليهم في ذلك.

وتفرعوا في بعض الأشياء، عند كلامهم على الجيش والشرطة، وأن هؤلاء الجيش والشرطة، ليسوا بكفار؛ واستدلوا بحادثة حاطب بن أبي بلتعة، فقالوا أن حاطب خان الله ورسوله، هكذا لفظوا هذه اللفظة؛ قلت: "سبحان الله، أنتم لا تتورعون ولا تتحرجون، أن تقولوا عن حاطب بن أبي بلتعة، أنه خان الله ورسوله؛ وتتورعوا وتتحرجون أن تصفوا هؤلاء، حتى بالظلم والجور".

عندما قلت لهم: "هؤلاء ليسوا كفار، حسنًا هم ظلمة هم جورة"، قالوا: "لا، وربما يكون أحدهم ظالمًا جائرًا، بسبب أفعاله؛ أما لأجل أنه شرطي، وأنه كذا؛ لا، لا نقول عنه أنه ظالمًا جائرًا، ليس لأجل وظيفته، ولكن لأجل تصرفاته، ولأجل سلوكه هو". فقلت: "سبحان الله، تتحرجون أن تصفوا هؤلاء، الجيش والشرطة وأنصار الطواغيت، بأنهم ظلمة فجرة؛ ولا تتحرجوا من وصف، بعض أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم –، بأنهم خانوا الله ورسوله؟".

فكانت هذه نقطة، حصل فيها خلاف شديد، واحتدت الأصوات، وانقطع النقاش عندها تقريبًا؛ وكان بعض إخواننا، يسجل الملاحظات أثناء النقاش، لم يكن هناك مسجلات نسجل بها؛ فلما رجعنا إلى الغرفة، قام أحد الإخوة، بتلخيص ما استذكره من النقاش؛ قالوا وقلنا، قالوا وقلنا، قالوا وقلنا، المناظرة هكذا، وأطلعني عليها، فذكرته بأشياء نسيها فوضعها؛ وعدلنا أشياء ظننا أنها، لم تكن وفقًا لما قالوا، وأردنا أن لا يقولوا، بأنا تقولنا عليهم؛ يعني اجتهدنا، بأن يكون ما نسخه الأخ، وما سجله الأخ مشابهًا، أو قريبًا مما حصل.

مرت الأيام وأفاجأ أنا، بأن أحد هؤلاء التحريريين، وكانت له معنا علاقة حسنة؛ قبل أن يأتي عطاء أبوالرشتة، كان هو أميرهم، قبل أن يأتي ذلك الرجل؛ جاءني وسألني، قال: "يا أبومحمد، أنت النقاش الذي جرى بيننا، كتبته ونسخته؟"، قلت له: "والله أنا ما نسخته، ولكن أحد إخواننا، كتبه ونسخه ولخصه".

فقال لي: "هل وزعته وأخرجته؟ قلت له: "اسمع، أنا كل شيء ينسخ، ويكتب عندي هنا في السجن، أخرج منه نسخة، إلى بيتي؛ وأنا قد أخرجت نسخة، من هذا الحوار، الذي ذكرته أنت، وسألت عنه أنت، إلى بيتي؛ ولكن أخرجته مع أحد أقربائي، من أهل بيتي يعني؛ فأنا مطمئن وواثق – لأنه سألني: هل انتشر؟ –، أنه لم ينتشر، لأنه أحد من أهل بيتي، سيذهب ويضعه في المكان، الذي أنا أطلب أن يخبؤوه؛ لكن بخلاف الأشياء الأخرى، التي ربما أنا أخرجتها مع زواري، مثل "أوراق شبيلات"، أخرجتها مع صديق زارني، من شباب أزبرد".

فقلت: "هذا الشاب لا أضمن، ربما صور نسخة لنفسه؛ فلو سألتني مثلًا عن تلك الأوراق، قلت لك لا أظن؛ بينما أوراقكم، الأفضل أنها لم تنتشر". قال: "أنت متأكد من هذا؟"، قلت له: "أنا متأكد، أنا لم أنشرها". فأخرج من جيبه دفترًا، عليه عنوان "دحض شبهات التحريريين" أو عنوان هكذا، ناري بخط جميل؛ وفتحت الصفحات، إذا هو بالحوار، الذي كان قد جرى بيننا، ولخصه الأخ وأنا أخرجت منه نسخة، دون هذا العنوان، الناري البارز الذي يغيظه.

ففوجئت بهذا الدفتر، حقيقةً فوجئت به، قلت له: "هذا الدفتر لا أعرفه، هو ليس لنا، يا فلان تعال، أين دفترنا؟" قلت له: "هذا دفترنا"، قال: "وهذا؟ هذا يوزع بين المساجين ويقرؤونه، وأنتم تستفزوننا، وأنتم وعدتم ألا توزعوه"؛ قلت: "والله نحن ما وزعناه، وهذا دفترنا الوحيد، أما هذا فلا أعرف الدفتر هذا"؛ فنظرت تأملت في الدفتر، فتذكرت أن لنا أخا مصريًا، كان مسجونًا في القضايا الجنائية الأخرى، يحبنا ويكره حزب التحرير.

وهذا الأخ كلما كتبنا رسالة، أو مسألة في التوحيد، أو في رد شبهات المجادلين، عن تكفير أنصار الطواغيت، أو غير ذلك؛ كان يأخذ هذه الأوراق، يستأذنا أو لا يستأذنا، نحن نسمح له، يأخذ هذه الأوراق، وينسخ منها نسخ، ويوزعها في مهجعه بين المساجين؛ فكنت أعرف خطه، لأني كنت أحيانًا، أكلفه بأن يخط لي بعض الأشياء، خطه جميل جدًا، هو يعرف أنواع الخطوط كلها؛ فكنت أحيانًا أكلفه أن ينسخ لي بعض الكتابات، أخرج منها نسخ إلى الخارج، فعرفت أن هذا خطه.

فمباشرة ناديناه وطلبناه أمام هؤلاء، وهو من مهجع آخر، من مهاجع القضايا الجنائية، فجاء الرجل – وهو يبغض التحريريين، ويحبنا –؛ فلما سألناه، واسمه عامر مصري: "يا شيخ عامر، هذا الدفتر لك؟"، قال: "نعم هذا دفتري"، قلنا: "متى نسخته؟"، قال: "يا شيخ عذرًا، أنا لم أستاذنكم، كما هو شأني، في نسخ ما ينفعني، من دعوتكم وما تكتبونه؛ أنا جئت وقلبت الدفاتر، هنا عندكم في المهجع، مع الكتب (نضعها بين الكتب)، فوجدت هذا الدفتر بين الدفاتر، فأخذته كعادتي دون أن أستاذنكم، ونسخته أنا حبًا في دعوتكم، وكرهًا لهؤلاء الناس – وأشار إلى التحريريين –؛ ووضعت عليه هذا العنوان الذي ترون، من تلقاء نفسي "دحض شبهات التحريريين" (أو شيء من هذا القبيل)، فلم يكلفني بذلك أحد؛ وأنتم لا تعرفون، فأنا إذا كنت تسببت بمشكلة، فأنا أعتذر، أنتم لا تعرفون، وأنا أخبر الجميع الآن، أنني فعلت هذا بمحض إرادتي".

فأنا قلت للأخ: "يا أخي، أنا أستأذنك، هذا دفترك؟" قال: "نعم، أنا أعرته لبعض الناس – يبدو هم الذين أعطوه للتحريريين، وأروه للتحريريين –؛ كان يناقش بعض الناس، في حبهم للتحريريين، وكان هو ينتقد التحريريين؛ فلذلك أعطاها لهؤلاء، وهؤلاء أوصلوه للتحريريين"، فقلت له: "أنا أستاذنك يا عامر، وأمزق هذه الصفحة الأولى، التي فيها عنوان استفزازي"؛ قلت له: "بعد إذنك، أنا أمزق هذه الصفحة؛ لأننا لا نريد أن ندخل، في معارك جانبية مع الإسلاميين، معركتنا مع الطواغيت، فبعد إذنك".

قال: "لا يا شيخ، والله أنا سألصقها هذه الصفحة، وأصر على ذلك؛ لأن هؤلاء هذا حق، ويجب أن يقبلوا بالحق، وكذا وكذا"، وأصر على رأيه؛ هذا الموقف حصل أمامنا الجميع، حصل أمام أبوالمنتصر، كان ما زال آن ذاك، لم يذهب ولم يطرد إلى التحريريين، حصل أمامه هذا الموقف؛ وحصل أمام التحريريين كلهم، ورأوه كلهم بشهادة هذا الأخ عامر، شهد بذلك أن هذا الأمر، كذلك تم، وكذلك كان.

ذهبت الأيام، وإذا بنا نفاجأ؛ أولًا: ادعى التحريريون، أنني وزعت رسالة شبيلات؛ لأن أنا في أثناء حواري مع الرجل، قلت له: "أنا يعني لو شئت أخاف، أخاف على ورقة شبيلات، لأني أعطيتها لأخ يوصلها لبيتي؛ بينما أوراقكم أعطيتها لأقربائي، فلا أخاف أن تنشر"؛ فالخصوم أخذوا هذه العبارة، سبحان الله، عندما تتكلم مع الناس، مع خصومك، لا تتكلم ببراءة، وتخبرهم بمعلومات زائدة؛ لأنهم هم هؤلاء ليسوا سليمين، يعني نواياهم ليست سليمة، حتى تكلمهم أنت بنوايا سليمة، وهكذا يستغلون هذه العبارة.

فأخذوا هذه العبارة، وذهبوا إلى شبيلات، لم يقولوا أنه السياق كان؛ أنا إذا كنت خشيت على شيء أن يوزع، فربما قلت: "أنها كانت مع أخ، فربما اجتهد وصور نفس النسخة؛ أما نسختكم، فأنا متأكد أنها لم توزع"، في هذا السياق جاء. فذهبوا وأخذوا يقولون: "أنه وزع النصيحة، التي وجهها لك، وهذا غير صحيح؛ لليوم النصيحة التي وجهتها للمهندس ليث شبيلات، لا زالت ضمن الأرشيف الذي أحفظ به مخبأً، قد أكلت بعضه الأرض، لم ينشر.

وأكبر دليل، أنه لم ينشر في موقعي لليوم، وأنا لست حريص على نشر مثل هذا؛ لأنه هذا أمر مختصر، غير مفصل في بيان التوحيد، الذي نحن قد فصلناه وأصلناه، في كتاباتنا الأخرى الموسعة؛ فلم أكن حريصًا على ذلك، أن أنشر هذا الأمر، وما زال لهذه اللحظة لم ينشر؛ مع ذلك ادعى هؤلاء، أني قد نشرته وعليهم البينة، لا يوجد بينة.

وثم بعد ذلك، أخذ أبوالمنتصر هذه المعلومة، من إخوانه التحريريين، وأضاف إليها كذبه؛ وذكر في كتاب "الجيل الثاني للقاعدة"، الذي كتب به تحامله عليّ، وعلى أخي أبومصعب؛ "ذكر أنني كنت أنا قد كذبت، ووزعت ما نسخناه على التحريريين، وعندما سألني هؤلاء: "هل وزعته؟" وقلت: "لا"؛ فأخرجوا لي هذا الدفتر، فصعقت وفوجئت، وكان الجميع يعرف أني كاذب"؛ هكذا صور الصورة، ناقصةً مشوهةً غير حقيقية، بخلاف الحقيقية التي ذكرتها.

ثم ادعى وقال أيضًا: "أضف إلى ذلك، أنه وزع رسالة ليث شبيلات"؛ وادعى أنني وزعتها، وأنا لم أكن قد وزعتها، كل ذلك من تحامل هذا الرجل؛ بل ادعى أن أبومصعب كان معه في ذلك، وأيده في ذلك بأنني قد كذبت، وأنني قد وزعت أوراق التحريريين هذه، مع أن الموقف كان أمام الجميع.

وكل من تسأله اليوم ممن كان معنا في السجن، عن هذا الموقف، يتذكره جيدًا، ويخبرك بتفاصيله الدقيقة؛ بأن هذا الموقف، أسقط بيد التحريريين، وعرفوا أنه لا دخل لنا بهذا الدفتر؛ والأخ أصر، وأخذ هذه الأوراق، وألصقها على الغلاف؛ وعندما أفرج الله عنه، ترك هذه الأوراق لي وذهب، وكنت مرتبطًا بعهد قريب بهذا الدفتر.

في أيضًا من الشخصيات التي جاءت، في فترة من الفترات إلى السجن؛ هو هذا مؤلف كتاب "الزرقاوي الجيل الثاني للقاعدة" الصحفي فؤاد حسين؛ كنا قد التقيناه أنا وأبومصعب، في مكتب ليث شبيلات، ونحن قبل حبسنا، كنا فارين مطاردين؛ فأخذنا صديق لنا، على علاقة بالمهندس ليث شبيلات، أخذنا إلى مكتبه، كي نستشيره.

قال: "هذا رجل، عنده خبرة مع الحكومة مع النظام، وهو معارض، تعالوا زوروه"؛ فذهبت أنا وأبومصعب إلى هذا الرجل، لكي نسمع رأيه، هل نبقى مطاردين؟ هل نخرج من البلد؟ هل نفعل شيء؟ لم نستفد شيئًا من تلك المقابلة؛ ولكن قدر الله، أنه كان عنده هذا الرجل "فؤاد حسين"، وعرفنا به بقوله: "هذا صديق فؤاد حسين، هذا

صحفي بعثي"، هكذا قال؛ كان ذلك آنذاك بعثيًا، أيام العز أيام البعثيين، ثم بعد ذلك تغير وترك بعثيته.

فهذا رجل ممن اعتقلوا، في فترة "ثورة الخبز"، كما سميت في ذلك الوقت؛ أحداث الخبز، حصلت مصادمات في البلد، ضد النظام وضد الناس، الذين اعترضوا على رفع أسعار الخبز؛ فحبس من حبس من البعثيين، الذين شاركوا في تلك المظاهرات؛ فكان هذا الرجل، يأتي ويذهب إلينا، وكان بعض الشباب – كان حليقًا، وصوته وطريقته وهكذا فيها ميوعة – يستهزئون به من خلف لخلف، من وراء لوراء، أسمعهم هكذا؛ وأنا كانت نظرتي، إلى أنني حقيقةً صاحب دعوة، وحريص على أن تظهر دعوتنا دائمًا، بصورتها المشرقة.

كنت أُسمِع هؤلاء الناس مباشرةً دعوتنا، وأكره أن يسمعوها من المخالفين لنا، من بينه وبين إخواننا احتكاكات، ربما يشوهوها؛ فكان عندما يأتيني مثل هذا الشخص، ويحب أن يسمع، أقول له: "تعال"، وأُجلسه على سريري، وآتيه بكاسة شاي، وأجلس أُسمِعهُ، وأجيبه على كل تساؤلاته؛ فكان يذهب ويأتي على الغرفة عندنا، لم يكن له احتكاك بأحدٍ غيري، فأظهرت له دعوتنا، بأسلوبٍ جيد؛ حتى أنه أعطاني أسئلة وأجوبة، بعضها منشور، منشورة الآن في كتابه، في آخر صفحات الكتاب الذي طبعه "الزرقاوي الجيل الثاني القاعدة"، منشورة ومخطوطةً خطًا.

سألني أسئلة وأجوبة، عن جماعتنا وعن هذه الجماعة، وعن منهجها؛ وعن التكفير، من تكفرون، وعن أشياء، أجبته عن كل ما سأل؛ ونشرها في آخر الكتاب، وأظنها منشورة أيضًا، في موقعنا. فهذا الرجل من خلال مقابلتي له في هذه الجلسات، خرج بانطباع جيد؛ حتى إنه حاول أن يثني علي، ويثني على الجماعة، التي كنت معها، ويثني على أبي مصعب؛ كل ذلك من هذه الجلسات والمدلولات التي أسمعته.

"كان المقدسي هوعبارة عن، الأب الروحي والمنظر، والعقل المفكر، لهذا الفكر؛ ولهذا التنظيم الذي يسموه "فكر التوحيد"، الذي أطلق عليه في الأردن اسم "بيعة الإمام". المقدسي عبارة عن رجل موسوعي، مكتبة متنقلة؛ ملم بكل العلوم، متخصص في العلوم الشرعية؛ إنسان مرن قابل للنقاش في أي موضوع، صاحب أفق واسع، شخصيته جميلة، طويل القامة، أبيض عيونه ملونة، شعره أشقر وسابل؛ وبالتالي يعني حقيقةً، شخص تستطيع أنك أنت تحبه وتحترمه".

ولو أني تركت لأولئك، بعض الشباب ذوي العقول الصغيرة؛ أن يواجهوه بالاستهزاء، الذي كانوا يستسرون به، أو يواجهوه بالإساءات؛ التي كانوا يفعلونها بينهم وبين بعض، يقلدون صوته ونحو ذلك؛ لأخذ عنا انطباع، ربما أننا أناس زعران، لا نحسن أن نخاطب أو نستوعب الناس؛ ولكن بفضل الله – عز وجل –، كان لذلك أثر.

ولذلك تجد هذا الرجل، ليس من دعوتنا وزارنا، فقط زيارات عديدة؛ وتجده يعني – سبحان الله –، سخَّر هذا الكتاب كله، أغلب الكتاب مدح وثناء على أبي مصعب، وعلى دعوتنا وغير ذلك؛ ولم يسيء في هذا الكتاب، إلا من استعان بهم، من أمثال أبومنتصر في كتاباتهم؛ هوالذي أساء غالبًا، لا أذكر عهدي بالكتاب، ما قرأت الكتاب كامل.

وأحيانًا يسألني بعض الشباب، يقول: "كيف يعني صنفت هذه الكتب؟ بعضها كتب كبيرة مثل كتاب "الثلاثينية"، كتاب مجلد؛ كيف صنفت هذه الكتب في السجن؟ هل كانت هناك مراجع كافية؟"؛ حقيقة يعني الله – عز وجل – ألهمني، من بداية حبستي، وأثناء مروري على سجون عديدة؛ أنني خطر في بالي، أنني كلما أقرأ كتاب، في سجن من السجون، أختصر الفوائد المهمة، التي تعنيني، والتي دائمًا أنا أدور وألف حول مواضيعها.

فمثلًا وعلى سبيل المثال: عندما كنت في سجن قفقفا في الشمال، كنت وحدي؛ كان هناك كتاب "زاد الميعاد"، كان هناك بعض الكتب

في المكتبة، المكتبة صغيرة، ولكن المراجع الأصيلة فيها قليلة؛ فعملت على أن أجرد الكتب الموجودة، المتوفرة المهمة، وألخص ما فيها من فوائد؛ لأنني ربما عندما أذهب إلى سجن آخر، لن أجد مثل هذا الكتاب هناك، ما الذي يجعلني أضمن وجود مثل هذا الكتاب والمرجع، في السجن الآخر؟

وبالفعل وجدت ذلك كما توقعت، فما اختصرته في هذا السجن، من الكتب التي قرأتها؛ مثلًا: قرأت "المجلدات الخمسة"، "مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام"، الخمس مجلدات، الطبعة المصرية، قرأتها كلها؛ ولخصت الفوائد، التي مرت عليّ فيها، قرأت الكتب الأخرى هناك، ووجدتها في سجن قفقفا؛ وهذه الدفاتر كانت تتنقل معي، مع عفشي وملابسي إلى السجن الآخر؛ فعندما ذهبت مثلًا بعد ذلك، إلى سجن سواقة، وجدت كتب أخرى.

فكنت ما أقرؤه وألخصه من فوائد أخرى، تجمعت لدي مجموعة من الدفاتر، كانت فيها ملخصات، أعزوا إلى الصفحات والمجلدات التي قرأتها؛ كل المقتطفات التي كانت تعنيني، وأظن أنني سأحتاجها، في يوم من الأيام، في المسائل المهمة، التي أنا أعرفها؛ مسائل الإيمان والكفر وغير ذلك، في مسائل التي كنت أظن أنني سأحتاجها، كنت ألخصها.

بقيت على هذه الحالة، في كل سجن أنتقل إليه؛ في سجن معان، كذلك لخصت بعض الكتب، في سجن جويدة، لخصت بعض الكتب؛ هذه الدفاتر بعضها كان يسقط، ربما كان يصادر، في بعض المداهمات، والمشاكل مع الأمن الوقائي والسجن تصادر؛ وبعضها كنت أتمكن في إخراجه إلى البيت، لم أكن أفكر أني سأحتاجه للتصنيف؛ وبعضها بقي معي.

ففي خاتمة المطاف، في أثناء ذلك كنت عندما أكتب؛ لما كتبت مثلًا: "تبصرة العقلاء"، استفدت من هذه الملخصات، ومن بعض الكتب، التي كانت موجودة في تلك الفترة، التي صنفت بها كتاب "تبصير

العقلاء"؛ وهكذا شأن الكتب الأخرى، كنت أستفيد من الكتب، الموجودة في هذا السجن، ومن هذه الملخصات؛ كانت هذه فيها مادة غزيرة ومهمة، مما لخصتها في السجون الأخرى.

فلما كانت خاتمة المطاف، في سجن الجفرا الصحراوي، وكانت الكتب قليلة عندنا؛ انتقلت معي هذه الدفاتر، وكانت خلاصة ما نظرت به في تلك السجون، وتيسر الله – عز وجل – دخولها معي؛ فعكفت عند ذاك إلى ترتيب هذه المسائل، وترتيب هذه الأمور، في الكتاب الذي أخرجته "كتاب الثلاثينية" طبعًا؛ لهذا الكتاب قصة، لأنه نحن كنا قبل ذلك، عندما نكتب كتاب، نتمكن من إخراجه؛ سواءً من خلال بعض الشرطة، الذين كانوا يتساهلون معنا فنخرجه معهم، أو من خلال الثقوب، التي صورتها من قبل، صفحة صفحة تكون الكتب صغيرة.

ولكن أحيانًا يكون الكتاب كبير، "تبصير العقلاء"؛ كان كتاب كبير وأوراقه كثيرة، ولم يكن هناك ثقوب في سجن السلط، لأخرج هذا الكتاب، فبقي هذا الكتاب عندي؛ احترت كيف سأخرج هذا الكتاب، حتى سنحت فرصة، بأنهم بنوا كبائن للسجن زائدة؛ كانت ثلاثة كبائن فقط للسجن، وكان عدد المساجين قليل، وعليها ضغط؛ فزادوا أربعة كبائن أخرى، داخل حوش السجن، فاضطروا لأن يعملوا بابًا للإدارة، يمر على هذه الكبائن؛ ويخرج على حوش السجن، إلى المطبخ وإلى غرف المساجين.

وعادةً نحن إذا أردنا أن نخرج، إلى الإدارة أو إلى الطبيب، أو إلى أي مكان؛ لا نمر من جهة الكبائن، يعني لا نمر على الكبائن من جهة الزوار؛ ولو كُنا كل يحصل لنا هذا، لكان هذا خلل أمني، يستطيع الزائر أن يترك شيء، من جهته، فإذا ذهبت أنا آخذه؛ فلما زادت هذه الكبائن الأربعة، ودخلت إلى الحوش، وأصبحنا أن ندخل للإدارة ونخرج من خلالها؛ خطر في بالي، أن أستغل هذا الأمر.

فجئت أنا في غفلة من الحراس، في يوم كان فاتح الحرس الباب، وداخل إلى المطبخ لأخذ حاجة، باب الكبائن؛ فذهبت أنا وقست المسافة، التي أسفل الرخام، التي يوضع عليها التليفون ونتكلم عليها، فقست المسافة بالأشبار هكذا بالتقدير؛ ودبرت قطعة خشب من الصيانة، الذين كانوا يشتغلون بالصيانة وكذا؛ وأخفيتها وجئت وحشرتها أسفل هذه الرخامة، أصبحت كالرف المعلق، لا يراه إلا القصير؛ الذي ينحني وينظر، يعني لو طفل صغير يراه.

وحصلت حقيقةً نكته من هذا الأمر، أنه عندما بدأت أستعمل بهذا الأمر؛ عندما صرت أنا آتي مثلًا بكتاباتي، وفي غفلة من الحراس، وفي ليلة الزيارات، غدًا صباحًا سيزوروني أهلي مثلًا؛ آتي وأضع الأوراق التي أريدها، على هذا الرف، وتبقى ليلة كاملة؛ فإذا جاء زواري، جئت على هذه الكبينة، وكتبت لهم "ودي لكم تحت الرف، وخذوا الأوراق" فيأخذوها، وتخرج الأوراق إلى البيت.

ومثل ذلك كانوا يفعلون هم، مثل الذي كانوا يفعلون، إذا كانوا يأتون بأوراق، أو بجرائد مهمة، أو ببعض الفوائد والكتب؛ كانوا يضعونها في الزيارة هناك، وعندما يذهبون وتنتهي الزيارات، ويغلق الباب الخارجي ويفتح الباب هذا؛ أذهب أنا وأستلمها، في غفلة من الشرطة، هذا بفضل الله – عز وجل –، الله هداني إليها، في هذه المرحلة مثلًا.

حتى أنه في المرات، كنت تارك رسالة، واضعها على هذا الرف؛ ولم أتمكن أن آتي على نفس الكابينة، التي صنعت فيها هذا الرف، كان عليها أخًا آخر؛ وحاولت أن أقنعه، بأن يأتي مكاني وأبدل معه، لم أرد أن تنكشف، لأن هذه كنت أنا أتعامل بها وحدي، أنا وأهلي؛ ولم يكن يطلع على هذا الباب، الذي فُتح لي أحد آخر، لأن كثرة التعامل فيه يفسده؛ وأنا لي حاجة ضرورية، أنا أخرج أوراق وأدخل أوراق؛ لم يكن همي إدخال راديو، أو إدخال جهاز، أو إدخال أشياء سخيفة؛ مما كان يطمح به ربما مساجين آخرين، من المخالفين لنا، فلذلك كنت حريص، على أن لا يعرف، بهذا الأمر أحد.

فقدر الله فوجئت في يوم، كان أخ قد سبقني إلى هذه الكابينة، يزور عليها أهله؛ وكان عنده بنات صغار، وجئت أنا وأهلي وزواري، على الكابينة التي بجانبه؛ فبدأت أنا أحتار، أريد أن يأخذوا الرسالة، التي وضعتها لهم؛ فقلت للأخ: "ممكن تبدل معي؟"، فقال لي: "لماذا؟ خلاص نحن واقفين، كل واحد مكانه"؛ فقلت له: "أنا مضطر لحاجة ولكذا"، أنا لم أرد أن أُظهر له هذا، فقال: "خلاص ابقى مكانك، وأنا مكاني، لا داعي لهذا الأمر".

ففوجئت وأنا أكلمه، إذا ابنته من الجهة الأخرى، تقفز وفي يدها الأوراق، تريد أن تري أبوها وهكذا؛ البنت قصيرة، فرأت الرف ورأت الأوراق فأخرجتها؛ فقلت: "أنا لأجل ذلك، أنا أريد أن آتي هنا، أنا هذه الأوراق أنا وضعتها"، ففوجئ هو بهذا الأمر؛ فقلت له: "إنه دع ابنتك تعطي الأوراق لزواري"؛ وبالفعل هذا الذي جرى، فعرف بذلك الأمر هذا الشاب، وعرف معه بعض الآخرين، قبل أن ننقل إلى سجن الجفر.

في سجن الجفر، وعندما كتبت "كتاب الثلاثينية"، هذا كان كتابًا كبيرًا؛ كان دفتران من النوع السميك، فكيف سأخرجهم؟ هنا الأمور مشددة جدًا، والحرس في هذا السجن، كانوا حرس بادية؛ يسمونهم "البادية"، كانوا مخلصين حتى النخاع للنظام، ولا يمكن أن تتعامل معهم ليساعدوك، أو يخرجوك أو شيء؛ وكانت كابينة الزيارة ليست كبيرة، كان شبكين بينك وبين زوارك، مثل ثلاثة متر تقريبًا أو نحوها؛ لا تستطيع أن تصل إليهم، من خلال ثقوب الشبك، بعيدين جدًا، وهناك حراسات تقف قريبة منك.

فلذلك أيست من أن أخرج هذا الكتاب، بهذا الحجم الكبير؛ من خلال شبكة الزيارة، أو من خلال الشرطة، فبقيت محتارًا، كيف سيخرج هذا الكتاب؟ الذي هو خلاصة تعبي، والملخصات التي لخصتها في السجون السابقة؛ فاحترت ما الذي أريد أن أفعله، فكان عندي مطرة ماء؛ لأن المنطقة كانت صحراوية، وكان كل أحد، يأتي بمطرة ماء

ظهرها فلين، يعني تحافظ على البرودة قليلًا؛ ففكرت أنا، ونزعت طبقتي الفلين هذه، وحفرت بهما، ووضعت مجلد من مجلد الكتاب هنا، ومجلد آخر وأعدت لصقهُما، حتى إذا أصبحت هناك مداهمة.

لأني يئست من إخراج الكتاب، بهذه الطرق العادية؛ الطرق السابقة التي كنا نتخذها، فأخفيته في هذا المكان، وأنا أستعمل هذا المطرة في الماء، يبقى مخفيًا احتياطًا؛ حتى إذا أصبح هناك مداهمة، أو مشكلة مع الإدارة، لا يذهب جهدي وتعبي؛ أبقيته إلى أن يحين وقت، أجد سبيل في إخراجه، لم أعرف، لم يكن في ذهني طريقة معينة؛ ولكني بعد مدة – سبحان الله –، رأيت رؤيا في المنام، أشرت إليها في هامش المراجع، في الكتاب نفسه.

رأيت في المنام، أنني أقطع مفازة وصحراء، أنا وشيخ الإسلام ابن تيمية؛ أنا أخذت شيخ الإسلام ابن تيمية بيده، وقطعنا فلاة ووصلنا إلى البيوت؛ والناس خرجوا فرحين، يستقبلون شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فلما صحيت أتدبر في هذا الأمر، قرأت كان عندنا كتاب هكذا عن الرؤى والأحلام؛ فيقول يعني قطع المفازة أو الصحراء، فوز ونجاة للسجين، أو شيء من هذا القبيل.

قلت: "طيب شيخ الإسلام ابن تيمية ما شأنه؟" قلت: "شيخ الإسلام ابن تيمية، هو هذا الكتاب؛ لأن جل وأكثر النقولات في هذا الكتاب، كان من كتب شيخ الإسلام، مثل: الصارم المسلول، والفتاوى ونحوها"؛ فأولت هذا التأويل؛ وقلت: "هذا الكتاب، سيخرج معي بيدي، لن يخرج بطريقة أخرى؛ هكذا ظننت وهكذا ترجح لدي، فأبقيته مخفي.

ثم بعد ذلك بمدة، وقبل العفو بأسابيع، أو بأسبوعين تحديدًا؛ رأيت رؤيا أخرى، أولتها بأن العفو سيكون بعد أسبوعين، أو الفرج سيكون؛ لم يكن هناك أي إرهاصات بهذا الأمر، أولتها وحدثت بها بعض الشباب، أنه بعد أسبوعين سيخرج؛ يعني الرؤيا، كنت رأيت رؤيا قديمة، "أنني يفرج عني وأنا صائم، في يوم عرفة"، هذه قديمة جدًا،

وكنا على أبواب عيد الأضحى؛ فقلت: "كلما جاء عيد الأضحى، كل سنة تمر على وتيرة، أتفاءل بتلك الرؤيا القديمة؛ هذا أولًا".

قبل أسبوعين من عيد الأضحى هذا، ورأيت رؤيا أخرى، بأنه يزوني ابن أبوسياف، وكان فتًى صغيرًا – كان يزورني أبوسياف أحيانًا، على سجن الجفر، لأني في قلب معان –؛ فرأيت في المنام، أن هذا الولد الصغير يزورني؛ سياف كان صغيرًا آن ذاك، وعلى شبك الزيارة كان وحده؛ في المنام أقول له: "أين أبوك؟"، فقال: "أبي مسجون"، فقلت: "ماذا مسجون؟"؛ فقال: "معلش ليست مشكلة، سيفرج عنه معكم بعد أسبوعين"، هذا في المنام؛ رأيت هذه الرؤيا فصحيت.

حدثت بها بعض الشباب، وحسبنا ووضعنا دائرة، وجدناه يوم الأضحى أسبوعين، كان يوم الأضحى؛ فازداد تفاؤلي، وهيأت أموري، والكتاب أبقيته مكانه، ولم يكن أبدًا أي معلومة، عن صدور عفو. فجأة بدأت الأمور تظهر هناك عفو، ويتكلمون عن العفو، وسيفرج عن العفو؛ وهناك استثناءات، وسيستثنوا الإرهاب، وأمور كثيرة جدًا بدأت تثار؛ فقلت: "سبحان الله، لما أثير الأمر، أصبحت مطمئن أني سأخرج قريبًا، مع هذا الكتاب يوم عرفة؛ وسيشملنا العفو"، مع أن الإشاعات، كانت آنذاك أنه لن يشملنا.

وبالفعل يوم الأضحى، نودي على أسمائنا؛ خرجت أنا وأبومصعب، والإخوة الذين كانوا في قضيتنا؛ وكان عفشي معي، وكانت هذه المطرة، وكانت حجة إخراجها معي ظاهرة؛ لأنه اليوم عرفة، ونحن صائمون والجو حار، فإخراج الماء معنا كان طبيعيًا؛ وقد فتشوا كل ملابسنا وعفشنا، حتى إن كتبنا، التي كانت دخلت معنا رسميًا، المصرح بها أخذوها؛ وقالوا: "لا ممنوع تخرج، لا بد أن نفتشها"، قلنا لهم: "إذن نعيدها لإخواننا، الذين بقوا بعدنا؛ لأن هناك من لم يشمله العفو"، فأعدنا كتابنا.

بينما كتابي المهم، الذي كنت أحارب، بقي في المطرة؛ لأنهم فتشوا العفش ونسوا أن يفتشوا هذه المطرة، فخرجت معنا بفضل الله –

عز وجل –، ومنه وكرمه؛ و ها هي قد طبعت وانتشرت، نسأل الله – عز وجل –، أن ينفع بها، وأن يبارك فيها.

18- ما بعد الافراج؛ البقاء في البلد للدعوة وتثبيت أركانها والحديث عن الطالبان وقضية الالفية

الحمد لله رب العالمين، وصليِ الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين:

في الفترة ما بعد الإفراج عنا من السجن، رجع الإنسان إلى بيته وإلى أهله، طبعًا بعد انقطاع طويل؛ كانت عندي هناك بحوث، وأوراق أصبحت قديمة استخرجتها من مخابئها، فوجدت الأرض قد أكلت بعضها، والرطوبة قد أسالت الأحبار؛ فبدأ الإنسان يرجع إلى أوراقه القديمة، وبدأ يحاول يعيد استكمال بحوثه وكتاباته، وإصلاح أموره، التي غاب عنها مدة طويلة؛ ويسر الله – عز وجل –، وقيض إخوة لنا، في إقامة هذا الموقع المبارك، الذي عرف اليوم ب"منبر التوحيد والجهاد".

فبدأت أجمع شتات كتاباتي كلها، وأحشدها في هذا الموقع المبارك؛ طبعًا عندما خرجت، وجدت أن هناك بعض كتاباتي، قد طبعت ونشرت على شبكة الإنترنت؛ مثل كتاب: "إمتاع النظر"، مثل كتاب: "كشف شبهات المجادلين، عن عساكر الشرك وأنصار القوانين"، الذي كتبته في السجن؛ وجدت بعض الأشياء الرسائل الصغيرة، مبثوثة في مواقع فجمعناها؛ وقمنا بطباعة الكتب، التي كتبتها في السجن وخارج السجن، وبدأنا ننزلها أولًا بأول.

حتى تيسر وتوفر، هذا الموقع الطيب المبارك؛ وتطور بعد ذلك، ولم يعد خاصًا بكتاباتي، بل كما هو مشاهد اليوم، أصبح مرجعًا لكافة مشايخ، هذا المنهج المبارك. وجدت ثمار تجربة السجن، واضحة خارج السجن؛ كثير من الناس قد تأثر بهذه الدعوة، وكثير من الشباب، قد التزموا بخط التوحيد والجهاد؛ فرأيت أنه لا بد من البقاء في البلد، لرعاية هذه الدعوة، ولنشرها وتقوية هذا التيار؛ فيما رأى أخونا وحبيبُنا أبومصعب، السفر إلى أفغانستان.

وهذه المسألة بدأت عنده أصلًا، ونحن في سجن الجفر؛ كان عندنا راديو، وكنا نتسمع إلى أخبار انتصارات الطالبان، وانتشارهم في أفغانستان؛ وكنا فرحين بهذه الأخبار ونَتَتَبَعَها. وذات يوم، سمعت بعض الأخبار أزعجتني؛ سمعت خبر مفاده، أن الطالبان يطالبون، بمقعد في الأمم المتحدة، وبعد أيام سمعت بتعزية لهم، لملك الأردن لوفاة أبيه؛ سمعت هذه الأخبار وحدي، فذكرت هذا الأمر للإخوة، فتعجبوا جدًا منهُ واستغربوه.

فكان رأيي أن لا يتعجلوا، بالذهاب إلى تلك الساحات؛ لأننا تعودنا من الأفغان، من تجربتنا السابقة، مع الأحزاب السبعة، والجهاد في أيام الأحزاب السبعة، وجماعة سياف، ورباني، ومجددي، وحكمتيار وغيرهم؛ تعودنا هذه المفاجآت، وتعودنا هذه التناقضات، فلذلك دعوت الإخوة إلى التريث؛ ولكن أخانا أبومصعب، كان متحمسًا للسفر، وذكر لي مبررات كثيرة؛ أنه إذا خرجنا ومكثنا في البلد، فإن المخابرات ستبدأ تطلب الشباب للمراجعة، وتستفزهم وتضغط عليهم.

فالأولى أن نخرج إلى تلك الأرض، نعبد الله – عز وجل –؛ كما نريد لا ضغوط علينا، ولا مخابرات تستدعينا، ونحو ذلك. فلم يكن التخطيط للخروج، كما سمعتُ بنفسي من الأخ أبومصعب؛ لم يكن التخطيط ابتداءً، للقتال مع الطالبان؛ لأن هذه الأخبار، جعلت هناك شيء من التحفظ؛ ولذلك لما ذهب أبومصعب إلى أفغانستان، لم يقاتل أصلًا مع الطالبان، ولم يشارك في القتال؛ لما شاهد ما كان قد سمعه قبل، من بعض الملاحظات أو شيء.

وأنا طبعًا هذا عندي تحفظ عليه؛ لأنه أهل السنة والجماعة، يرون جواز القتال مع الأمير الفاجر؛ فكيف إذا لم يكن فاجرًا؟ ولكن هنالك بعض الملاحظات، التي سمعنا فيها بعد؛ أن الملا عمر كان صدره واسعًا، وكان يتقبل النصح، بل إن بعض الإخوة الذين نعرفهم، ذكروا لنا: أنهم ذهبوا إليه، ونصحوه في موضوع، مطالبة الطالبان بمقعد الأمم المتحدة؛ فأقر بنصحهم، وأظهر إنكار تلك المطالبة؛ وقال لهم:

"انصحونا دائمًا وذكرونا"، فرأينا فيه الخير، الذي يستدعي نصرته ونصرة الطالبان

طبعًا الطالبان في أفغانستان، أحوالهم لم تبق كما هي؛ يعني كانت تبلغنا أخبار طيبة، عن الملا عمر وعن الطالبان، وأنهم يسددون ويقاربون، وأنهم يقبلون مناصحة العرب لهم، في أشياء كثيرة؛ ولذلك أنا عندما أثارت الدنيا عليهم ضجة، لما أرادوا أن يكسروا صنم بوذا، وأثارت الدنيا الضجة عليهم، وتطاول عليهم بعض علماء السوء؛ كتبت لهم "مناصرة ومناصحة" هكذا عنوانها كان للطالبان، وأيدتهم في كسرهم الأوثان.

وناصتحم في قضية مطالبتهم للأمم المتحدة؛ وقضية مطالبة الأمم المتحدة بالاعتراف بهم، ودعوتهم أن لا يعترفوا هم أصلًا بالأمم المتحدة؛ لأنها منظمة كفرية، يجب البراءة منها ونحو ذلك؛ يعني ناصرتهم بأشياء وناصحتهم بأشياء، وهذا كان الواجب علينا؛ لأنهم الحقيقة أظهروا نصرة الدين، وأظهر الملا عمر مواقف طيبة ومباركة، سُجِلت له، سجلها له التاريخ، لا ننساها له.

وحقيقةً وقتها صدر كتاب في أفغانستان، كان من بعض الشباب، الذين يتردد عليهم الأخ أبومصعب الزرقاوي؛ ويبدو أنه تاثر بهم، في قضية الإصرار على عدم القتال مع الطالبان، الذي هو الأخ أبوعبد الله الموحد، ألف كتابًا سماه "رد شبهات المجادلين، عن من قاتل تحت راية، من أخل بأصل الدين"؛ هذا كتاب ألفه في بيان، أن الطالبان لا يجوز القتال معهم.

والعنوان يدل على أنهم، قد أخلوا بأصل الدين؛ والغلاف كان مرسوم عليه، بعض سيارات الصليب الأحمر عليها صليب؛ وأن هؤلاء يتجولون عند الطالبان، وأشياء حقيقة لا تصل بالطالبان إلى حد الكفر، وحتى إن كانت مخالفات، لا تصل إلى حد الكفر؛ ولذلك رد عليه الشيخ أبي قتادة – فك الله أسره –، في كتابه الذي سماه "جؤنة المطيبين".

وقدمت أنا بهذا الكتاب، المقدمة المعروفة المشهورة، التي استنكرها بعض الناس آنذاك؛ قدمت لأبي قتادة، لكتاب الشيخ أبي قتادة بتلك المُقدمة، وأيدت وجهة النظر، وأيدت وجهة نظر الشيخ أبوقتادة؛ في الدفع عن الطالبان، وعدم تكفيرهم؛ وأكدت على أنه يجوز، القتال تحت راية الطالبان، وإن كان فيها بعض المخالفات الشرعية، التي لا تصل إلى الكفر؛ وهذا هو الحق، الذي يعتقده أهل السنة والجماعة.

فنحن وقفنا مع الطالبان، وناصحناهم وناصرناهم، فيما نعتقد أنهم على الحق فيه؛ ناصرناهم فيما رأينا أنهم على حق فيه، وناصحناهم في الأشياء، التي رأينا فيها ملاحظات؛ وكان يصلنا في كثير من الأوقات، أخبارًا طيبة عن الملا عمر، وتحسين الأوضاع، وإزالة لمواضع الشرك، أو منع لشرك القبور، ونحو ذلك، استبشرنا به خيرًا.

حتى إن مرحلة الطالبان هذه، كانت مرحلة مباركة، أظهرت معالم طيبة للجهاد؛ حتى إن الكفار، أو فلنقل بصيغة أدق الغربيين، من أسلم منهم اليوم ولم يسلم، ممن ذهبوا إلى أفغانستان، في مرحلة الطالبان؛ شهدوا شهادات طيبة لصالح الطالبان والملا عمر، فليس أدل على ذلك من الصحفية البريطانية، التي اعتقلها الطالبان، وهي متسترة بلباس امرأة أفغانية؛ وكانت معها كاميرة تصوير.

فكانت أثناء التفتيش على الحدود، سقطت الكاميرا منها، وفضحت أمرها؛ فاعتقلها الطالبان، وظنوا أنها جاسوسة، ومكثت عندهم عشرة أيام سجينة؛ وكانت تستفزهم، وتتطاول عليهم، وتتفل على بعضهم؛ ومع ذلك احترموها، ولم يؤذوها، ولم يمسوها بسوء أبدًا؛ لأنها امرأة، عملًا بوصايا النبي – صلى الله عليه وسلم –، بعدم قتل النساء والأطفال.

حتى إنهم عندما احتاجوا لتفتيشها، بشهادتها هي كما تذكر؛ جاؤوا بإمرأة وفتشتها، بمكان لحالها مستور؛ فهذه المعاملة وهذه الأخلاق، أثمرت ماذا؟ أثمرت أن هذه الصحفية، أول ما أفرج عنها؛ تكالب عليها صحفيوا العالم كله، ليستمعوا طعنها في الطالبان، وإذا بهم

يفاجؤا بأنها قالت: "لقد عاملوني معاملة حسنة"؛ فأُلجم كل الصحفيين، وطووا أوراقهم، وأسقط في أيديهم.

وما لبثت هذه الصحفية، أن أعلنت إسلامها؛ والآن لها موقع على الإنترنت؛ تدافع به عن غزة، وعن المسلمين، وعن الطالبان، وعن الحجاب؛ ولا زالت ترتدي الحجاب، الذي أعطاها إياه نظام الطالبان، وتقول كلما ألقت محاضرة ودرس؛ تقول: "إنني أكلمكم في هذه المحاضرة، وأنا أرتدي اللباس الشرعي، الذي أهداني إياه الطالبان؛ وأنا أحمد الله – عز وجل –، أني وقعت في الأسر في أيدي نظام الطالبان، الذي يوصف بأنه شرير؛ ولم أقع بأيدي الأمريكان، الذين يتبجحون بالديمقراطية، إذًا لكانوا عروني، في جوانتانمو أو أبوغريب؛ وألقوني أرضًا أرضًا، ووضعوا في رقبتي قيدًا، وسحبوني كما تسحب الكلاب.

فهذا الموقف لا شك أنه، من بركات التزام الطالبان، بوصايا النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ بالتعاون مع غير المقاتلين، بقي الثناء عليهم بعد السقوط. الآن سنوات صار لها، وما زال موقع هذه الصحفية موجود، ولا زالت كلما حاضرت، تقول هذه الكلمات؛ فهذا من بركات الالتزام، بسنة النبي – صلى الله عليه وسلم –.

كذلك حدثني، رئيس بعثة اللجنة الدولية، للصليب الأحمر في الأردن هنا؛ كنا نتكلم عن أفغانستان، فقال لي: "إن أفغانستان لها مكانة في قلبي"؛ وهذا الرجل نصراني سويسري، هو رئيس البعثة، هنا في الأردن"؛ قال: "لها مكانة في قلبي، والملا عمر أنا أكن له احترامًا كبيرًا"؛ فقلت: "لماذا؟"، فقال لي: "أنا كنت رئيس بعثة، الصليب الأحمر في أفغانستان، أيام حكومة طالبان؛ وكنت أنا وثلاثة من الغربيين، ومعنا قرابة العشرين، من المساعدين الأفغان؛ في قافلة إغاثة، للصليب الأحمر في أفغانستان".

"فأحاط بنا من ظنناهم أنهم مجاهدون – لأن الناس كلها، كانت تلتحي أيام الطالبان –؛ فاعتقلونا وأسرونا، وصادروا ممتلكاتنا وسياراتنا،

وكل ما هو معنا؛ وساقونا إلى مكان، ومكثنا عندهم مدة، تحت تهديد السلاح، والتخويف والترهيب والترويع؛ حتى إنهم كانوا يضعون، الخنجر والخناجر على رقابنا، ويحاولون حزها؛ إيهاما لنا بأنهم سيقتلوننا، ووضعوا المسدس، مرارًا وتكرارًا على رأسي هكذا؛ ويسحبوا الزناد، وأنا خلاص أسلم للموت، وإذا به المسدس فارغ".

يعني لاعبوا أعصابنا مدة، هذا بالإضافة إلى الضرب، والأذى والإهانة؛ ثم بعد ذلك فوجئنا، بأن الطالبان قد حاصروا الموقع، وبالميكروفونات نادوا على هؤلاء الخاطفين؛ وتبين لنا بعد ذلك، أن هؤلاء الخاطفين، لم يكونوا مجاهدين، بل كانوا قطاع طريق؛ فحررونا منهم، وقادونا إلى الملا عمر، فقابلنا الملا عمر، واعتذر منا، وقال: "انتم ضيوف، ونحن لا نعامل الضيوف بهذه الطريقة؛ وهؤلاء ليسوا مجاهدين، ونحن نحترم الضيوف، وهذا وزير الصحة، سوف يأخذكم، ويتفقد أحوالكم الصحية".

فيقول: "أنا هذا الموقف لا زلت أستحضره"، هذا الرجل السويسري النصراني يقول: "لا زلت أستحضر هذا الموقف"، وأنا لا أنسى، هذا الموقف للملا عمر؛ فهذه المواقف كلها، تظهر للعالم كله، أن هذه الدولة، التي رموها بقوس العداوة، وحاولوا تشويهها؛ وإلى اليوم، يحاول كثير من الكتاب، والصحفيين المأجورين؛ الذين يقتاتون على فتات هذه الأنطمة، يحاولون تشويه هذا النظام، الذي سعى جادًا، لإقامة شرع الله في الأرض؛ هذا النظام حقيقةً، كانت محاولة مباركة، لإقامة الدين في الأرض.

ولكن قدر الله وما شاء فعل، قدر الله لهذا النظام أن يسقط، ولعل في ذلك خير؛ لعله مثلًا ونسأل الله ذلك، أنه إذا عاد يعود أحسن تمكينًا، وأكمل وأفضل، ويكون قد تعلم، من تجربته السابقة؛ فيسدد ويقارب، ويكون – إن شاء الله –، يمثل ما يطمح إليه المسلمون، من حكمٍ إسلاميٍ نظيف"؛ حكمٍ إسلاميٍ يرضي الله – عز وجل –، على هدي النبوة.

فالشاهد من هذا، أنه أنا الذي أردت أن أقول؛ أن الخروج ابتداءً لإخواني، الذين ذهبوا إلى أفغانستان، لم يكن للجهاد، وإنما كان نوع من الهجرة؛ ولذلك يعني دعاوي، هم يدعون من المخالفين والخصوم، أنني خالفت الإخوة، وخذلتهم عن الذهاب إلى الجهاد؛ هذا مردود عليهم، لأن الإخوة عندما خرجوا ابتداءً من هنا، لم يخرجوا للجهاد، إنما خرجوا للهجرة.

حتى إن عبد الهادي دغلس – رحمه الله –، نسأل الله – عز وجل – أن يتقبله في زمرة الشهداء، قبل سفره بأيام؛ جاء زارني ليودعني، وأخذ يذكرني ويقول: "اذهب معنا ونسافر، ويذكر لي المبررات الكثيرة"؛ فقلت له: "لماذا أنتم تريدون أن تسافروا؟"، فذكر لي تمامًا، نفس كلام الأخ أبي مصعب؛ حتى إنني أذكر عبارة له، قال: "إلى متى نبقى هنا؟ تداهم المخابرات بيوتنا، وتفتش ملابس نسائنا، وتلعب في غياراتهم، وملابسهم"، يعني في الخزانات وفي الأماكن هذه؛ يعني هذه من باب أنها غيرة، وكيف نقبل لأنفسنا، أن نبقى تحت ذل هؤلاء؟

فكانت هذه هي كل المبررات، التي ذكرها الإخوة؛ بمعنى أنه كان الأمر، خروجًا من الضغط، الذي يمارسه أعداء الله، على أصحاب هذه الدعوة، خروجًا من هذه الضغوط؛ ولا أريد أن أقول فرارًا، لأن الإنسان أين ما كان فهو داعي؛ لكنهم آثروا الهجرة، وعدم البقاء تحت سلطان هؤلاء الناس، وهذا يُشرع لهم.

ولكن أن يعيبوا على الآخرين؛ ما دام الآخرون مظهرون لدعوتهم، مظهرون لتوحيدهم، لا يخضعون لاستفزاز أعداء الله، ولا يدخلون في دين أعداء الله؛ ما دام حال من بقوا هنا كذلك، وكان لبقائهم تأثير، على هذه الدعوة ونشر لها، ورفع لراية التوحيد، ومراغمة لأعداء الله؛ فأنا أعتقد وأدين لله، أن هذا من الرباط؛ لأن الرباط كما ذكر، شيخ الإسلام ابن تيمية: "أن تكون في المكان، الذي تخاف العدو، ويخافك

العدو"؛ يعني أنت تحاذره وهو يحاذرك، أنت تراغمه وهو يراغمك، هذا هو الرباط".

فنحن وأنا أعتقد وأدين لله أن المسلمون، في كل بقاع الدنيا اليوم؛ خصوصًا بلاد المسلمين، التي تسلط عليها الطواغيت، سواءً كان هؤلاء الطواغيت، من المحتلين الذين جاؤوا من خارج بلاد المسلمين؛ أو من المنتسبين للإسلام، من حكام هذه البلاد أنفسهِم، ما داموا متسلطين، يحكمون بغير ما أنزل الله؛ فمادام هؤلاء الإخوة، أو مادام المسلم في هذه البلاد، ثابتًا على عقيدته، وعلى دينه وعلى توحيده، يدعو إلى هذا الحق ويظهره.

ما دام ثابتًا على ذلك، فأنا أعتقد وأدين الله، أنه مجاهدٌ في سبيل الله، وأنه من الطائفة المنصورة؛ التي ذكرها النبي – صلى الله عليه وسلم –، أنها لا تزال قائمة بأمر هذا الدين، ظاهرة على الحق، لا يضرها من خالفها، ولا من خذلها، حتى يأتي أمر الله؛ فالإخوة خرجوا إلى أفغانستان، كما قلت وأشرت هنا؛ أنهم خرجوا ابتداءً للهجرة، لم يخرجوا للقتال أو للجهاد؛ ولذلك مقولة من يقول: "بأنني خذلت أو خالفت الأخ أبومصعب، في خروجه للجهاد إلى أفغانستان؛ أو أنني كنت أنهى، عن الذهاب إلى أفغانستان؛ ويُستنبط من ذلك، أنني أنهى عن الجهاد"، هذا كله باطل، افتراه علي من افتراه من المخالفين.

أنا لما رأيت أن الإخوة خرجوا هجرةً، وعندهم ما عندي؛ كان آنذاك من التحفظ، على بعض تصريحات الطالبان، بل أثمر ذلك فيما بعد، أنهم لم يقاتلوا مع الطالبان أصلًا، وإن كان هذا محل نظر كما قلت؛ لأنه يجوز القتال مع الأمير، ولو كان عنده مخالفات، لا تصل إلى حد الكفر؛ فعلى كل حال، الخلاصة أنهم خرجوا إلى أفغانستان، وهذا يجوز لهم (جائز)؛ ومُكوثُنا أيضًا نحن هنا، ما دمنا مُظهرين لدعوتنا، ولديننا ولعقيدتنا، مراغمون لأعداء الله، بالثبات على هذا المنهاج، فهو أيضًا جائز.

والجهاد ونُصرة هذا الدين، فرض عين على المسلم، في كل مكان في هذا الزمان؛ في كل بلاد المسلمين، التي كانت دار إسلام، وتحولت بتسلط أعداء الله الخارجيين أوالدخليين، تحولت إلى ديار كفر؛ أي أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم؛ فبعض البلاد وصل الجهاد فيها، إلى مرحلة التمكن من السلاح، والمواجهة بالسنان؛ لسقوط المركزية في الاحتلال الأجنبي فيها، لتفكك هذه البلاد، لتيسر البيئة التي تصلح لذلك؛ من الغابات أو الجبال أو التضاريس التي تصلح، لتوفر السلاح، بسبب سقوط النظام.

لعدم مركزية النظام، والفوضى العارمة التي في بلد، تُمَكِن المجاهدين، وتوصلهم إلى مثل هذه المرحلة؛ البلدان الأخرى، لا يستطيع المسلمون فيها المواجهة، ولم تأتِ هذه المرحلة، فيشتغلون بالمواجهة العقائدية، والثبات على هذا المنهج؛ والمواجهة بالكلمة وباللسان، وبالكتابة وبالدعوة إلى الله – عز وجل –، وفي كلٍ خير، وفي كلا العملين خير؛ والنبي – صلى الله عليه وسلم –، كماً أنه مدح المجاهد، الذي يُعقَر جواده، ويراق دمه في سبيل الله؛ فكذلك أثنى على العالم المجاهد، أو الرجل الذي يقوم إلى سلطانٍ جائر، فيأمره فينهاه فيقتله، فكلاهما من المجاهدين.

بل في الحديث، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب"؛ وحمزة صنديد من صناديد المسلمين، ومجاهد وفارس مغوار، جاهد بسيفه وبسنانه؛ وذكر معه أيضًا مثله، قال: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجلٌ قام إلى أمامٍ جائر، فأمره فنهاه فقتله"؛ فهذا من سيد الشهداء، وفي حديثٍ آخَر: "أفضلُ الجهاد، كلمةُ عدلٍ عند سلطان جائر"؛ فهذا الحقيقةً الكثيرِ من الإخوة لا يستوعبونه، ويتنقصون عمل الدعاة؛ والثبات في ظل هذه الأوضاع، الثبات على المنهج الحق، مراغمة أعداء الله، بالثباتِ على التوحيدِ، وعلى هذا المنهاج الحق.

يستخفون بهذا الأمر، ويُخرجونه من دائرةِ الجهادِ في سبيل الله، فرضُ العين على المسلمين كما قلنا، في كل مكان في هذا الزمان؛ منهم من وصل إلى مرحلة المواجهة بالسنان، ومنهم من لم يصل إلى ذلك؛ ولكن كلهم يسعون في تيارٍ واحد، وإلى هدفٍ واحد، وهو إقامة شرع الله في الأرض، وإبطال هذه الطواغيت، التي أدخلت الناس في دينها؛ فنحن نعمل لإخراج الناس من عبادة الطواغيت، إلى عبادة الله وحده، ولتحقيق التوحيد بجهاد الطواغيت.

وللجهاد مراحل، وللجهاد درجات ومراتب ومراحل؛ كلٌ ينظر في المرحلة التي هو فيها، ويعمل بحسبها؛ فإخواننا بهجرتهم، لا ينكر عليهم هذا؛ وكذلك في المقابل، لا ينبغي على الآخرين، أو على إخواننا ان ينكروا علينا مكوثنا؛ ما دمنا مُظهرين ديننا، ومُعتقدين ثابتين على الحق، مراغمين لأعداء الله، بهذا المكوث نرفع راية التوحيد وندعو إليها؛ وهذا الأمر لم يكن فيه أي آثار خلاف، بيني وبين الأخ أبومصعب؛ عندما هاجر أو عندما سافر، هو ومن معه.

إنما افتعل ذلك، من افتعله في ما بعد، الخصومات التي ظهرت حديثًا؛ أخذوا يدعون بأننا اختلفنا، وبأن أبومصعب ذهب إلى الجهاد، وأنني أنا كنت أثبط الناس، عن الذهاب إلى الجهاد؛ فأنا بينت هنا، أن أبومصعب ومن معه، لم يذهبوا إلى الجهاد، وإنما ذهبوا للهجرة إلى تلك البلاد؛ لكي يعبدون الله بها بأريحية، ولا يجدون من يطاردهم ونحو ذلك؛ وأنا لم أنكر عليهم هذا، والدليل على ذلك، أن علاقاتي مع أبومصعب، استمرت على ما يرام بعد ذلك.

فاتصل بي مرارًا من أفغانستان، أكثر من مرة؛ اتصل بي مرة، أخبرني بأن الشيخ أسامة بن لادن يسلم علي، وأنه أوصل إليه أغلب كتاباتي، الموجودة في الإنترنت؛ وأنه أراه قصيدتي، في الرد على من مدح آل سعود، قصيدتي التي هي بعنوان "إلى حارس التنديد ورهبانه"؛ وأن الشيخ سُر بها، وضحك عندما كانت تُقرأ عليه، وبلغني سلام الشيخ؛ وأيضًا كان يتصل بي مرارًا، يخبرني عن بعض الأشياء.

اتصل بي مرة، وذكر لي أنهم طبعوا بعض كتاباتي في باكستان؛ حتى أنه ذكر لي، على ما أذكر أنه طبع كتاب "القول النفيس، في التحذير من خلية إبليس"، وأنها طبعت طبعة جميلة جدًا، أثنى عليها كثير، وقال سأحاول أرسل لك نسخة؛ واتصل بي مرات أخرى، حاول أن يخطب ابنتي للشيخ أبي وليد الأنصاري – حفظه الله –؛ كلمني هو، وكلمني الشيخ أبوالوليد، أكثر من مرة، ووعدتهم بأن أرى الأمر، بأن أعرض الأمر، على البنت وعلى أمها؛ ولكن لم ييسر الله – عز وجل – ذلك.

تكررت اتصالاته من أجل ذلك، أكثر من مرة، ثم بعد ذلك؛ وكان أبومصعب في هذه الاتصالات، يتوسط للأخ أبي الوليد، فأنا قلت للشيخ أبي الوليد: "أنه أنت لا تحتاج إلى واسطة، وأنت يعني يشرفنا أن نُزوِجُك"؛ ولكن يعني كانت البنت صغيرة آنذاك، كان عمرها 13 سنة، فقدر الله أنها لا تريد، الزواج في هذا العمر؛ وكذلك اتصل بي مرة أخرى الأخ أبومصعب، وكان معه الأخ أبوعبد الله المهاجر؛ وهو طالب علم مصري، تكلم معي طويلًا على التليفون.

وذكر لي أن عنده، خطة عمل بحث أو كتاب، يوجه فيه مجموعة من الأسئلة، إلى رموز التيار السلفي الجهادي، ومشايخهم وعلمائهم؛ وأن هذه الأسئلة، سيبعث بنسخ منها إلى المشايخ، أبي قتادة وأيمن الظواهري وغيرهم ومنهم أنا؛ ليجيب كل شيخ على نفس الأسئلة، ثم يجمعها الشيخ أبي عبد الله المهاجر في كتاب؛ يعني لتمثل أفكار وتوجهات هذا التيار، كانت هذه فكرته؛ وبالفعل بعث لي بالأسئلة على الفاكس، وما زلت أحتفظ بصورة هذا الفاكس عندي.

أرسل إليَّ هذه الأسئلة، وقدر الله إني اعتُقلت، بعد أن أرسل إليَّ هذه الأسئلة بقليل؛ في قضية ما سميت بـ"الألفية" أو سميت بـ"القاعدة"، مع مجموعة من الشباب؛ زج النظام بي بهذه القضية، ومكثت قرابة السنة، حتى أفرج عني بالبراءة؛ وكانت حيثيات هذه القضية، أن مجموعة من إخواننا، المتأثرين حديثًا بهذه الدعوة، وهم

حديثي عهد بها؛ لم يكونوا راسخين، بمسائل العلم والخبرة فيها، ولكن كانوا ممن يحبون هذه الدعوة، ويتحمسون لها.

أنهم اجتمعوا وخططوا، للقيام بأعمال مادية في البلد، بمناسبة الألفية؛ وأن هذه المناسبة، سيأتي بها السياح بكثرة فيها إلى البلد، فهي فرصة لكي يقوموا، بمهاجمة هؤلاء السياح؛ وذكروا المغطس الذي سيفتتحه الباب، وأشياء من هذا القبيل؛ فقدر الله أنني كنت أتردد، على بعض هؤلاء الإخوة؛ فشاورني أكبر هؤلاء الإخوة، أو من كان الشباب يعتبرونه شيخًا لهم، شاورني وفاجئني بهذا الأمر؛ بأنه ينوي مهاجمة السياح، في البلد بمناسبة الألفية واستنصحني.

فأنا نصحته آنذاك، وقلت له: "يا أخي، إن تجربة مهاجمة السياح، واضحة للعيان في مصر؛ كان الإخوة يبالغوا في مصر، كان الإخوة في الجماعة الإسلامية يبالغون، في أهمية هذا العمل، ويذكرون أنه يؤثر على اقتصاد النظام، وأنه وأنه وأنه؛ ثم بعد ذلك فوجئنا، بأنهم تراجعوا عن ذلك كله، وخطؤوا أنفسهم، وبينوا أنه لم تحدث أي نكاية؛ بسبب هذه العمليات، التي قاموا بها؛ وأن السياح لا يعدوا، كونهم نساء عجايز وكبار بالسن، ونحوذلك؛ فلا تحصل نكاية عظيمة في الكفار، باستهداف أمثال هؤلاء".

فنصحت الأخ، فقلت: "لماذا نحن نكرر هذه الأخطاء؟ ما دام الناس قد قطعوا، شوطًا كبيرًا في هذا الأمر؟"؛ وأنا نظرت إلى الأخ ومن معه، فوجدت أن إمكانياتهم بسيطة جدًا، لا تكاد تقارن، بجزء من إمكانيات، الجماعة الإسلامية في مصر؛ وعدد أفراد الجماعة الإسلامية في مصر، ومع ذلك وصلت الجماعة الإسلامية، إلى هذه النتيجة".

فقلت: "لماذا أنت تكرر نفس التجربة، ما دامت هذه النتيجة، قد وصل إليها من هم أكثر منك عددًا، وأطول منك خبرةً؛ ألا تتعلم من تجربة الآخرين؟ ما الفائدة من استهداف هؤلاء؟ إلا أن تزج بهذه المجموعة، من الشباب في السجون، بمؤبدات ونحو ذلك؛ أنا أنصحك

أن تُعلم هؤلاء الشباب دينهم، وأن توجههم للدعوة إلى التوحيد؛ فهذا أنفع ما نتمناه في هذه المرحلة، في هذا البلد، وإمكانياتكم لا تسمح بمثل هذا العمل؛ والسعيد من وُعِظ بغيره، ووفر وقته وماله وجهده، ولا يكرر ولا يجتر نفس الأخبار.

يبدو أن الأخ لم يعجبه كلامي، ولم يأخذ به؛ فواصل ترتيباته، أحضر سلاح إلى البلد، وعملهُم معه في تزوير بعض الجوازات، والذهاب إلى لبنان؛ حتى إنه فيما أعتقد، ارتُكِبت مخالفات شرعية واضحة، وذلك كله كان من قلة العلم؛ فمن المخالفات التي ارتُكِبت وأنكرتها، على هؤلاء الإخوة في السجن؛ أرجو أن يكونوا قد تعلموا، ونسأل الله أن يعجل في فك أسرهم.

من المخالفات: أنه كان يبعث شبابًا صِغارًا بالسن إلى لبنان، ليتدربوا عند حزب الله؛ وحزب الله معروف أو "حزب الشيطان"، يعني هذا حزب شيطاني رافضي خبيث، يستغل قضايا المسلمين، لدغدغة عواطف المسلمين وكسبهم؛ يُظهر أنه من المناصرين لقضية فلسطين، الذي يكتسح التشيُع في بلاد المسلمين، ويكتسح فلسطين؛ كما هو حاصل الآن في غزة، كثير من الناس قد تشيعت تشيعًا سياسيًا، يحبون حزب الله، ويهتفون له، ويرفعون أعلامه؛ وإن كانوا ربما يكرهوا التشيع العقائدي، ولكن ولاؤهم ظاهر لهذا الحزب، وتشجيعهم له؛ لأجل أنه يظهر مناصرة قضية فلسطين.

فأن نبعث ببعض الشباب الصغار، الذين لم يرسخ المنهج بعد في قلوبهم، إلى هذا الحزب ليتدربوا، بدعوى التدريب العسكري؛ هذا زلل عظيم وخطأ، كيف تأمن أنت على هؤلاء الشباب، أن لا يتشيعوا؟ وأن لا يؤثر فيهم هؤلاء الروافض؟ ويُسمِعوهم الطعن بصحابة النبي وأزواج النبي – صلى الله عليه وسلم –؟ كيف يعني هذا؟ هذا أنا استغربت جدًا منه، عندما علمت به بعد ذلك؛ لم أكن أعلم به، عندما كنا خارج السجن، ولكن تكشف لي عندما رأينا أوراق التحقيق، واعترافات الشباب وسُجنا معهم.

ومن الأخطاء أيضًا، التي ارتكبها بعض الشباب؛ أنهم كانوا بحجة جمع المال للعمل العسكري، الذي هم يجمعون عليه، ارتكبوا مخالفات شرعية؛ مثلًا على سبيل المثال: سمعوا بأن هناك امرأة بغي تروج للزنا ونحو ذلك؛ فذهبوا متنكرين، حلقوا لحاهم وذهبوا مُتنكرين، على أنهم أمن وقائي، ومن الجهات الأمنية (الأمن)؛ فذهبوا إلى بيتها، بدعوى أنهم جاءوا يفتشوا عن السلاح، ودخلوا البيت وانتشروا؛ وأخذوا يفتشون بحثًا عن الذهب لهذه المرأة؛ يعني يريدون أن يأخذوا ذهبها، بدعوى أنهم يستعينون به، على الجهاد في سبيل الله!!!

فكيف يجوز للمسلم، أن يستحل مال العصاة، حتى لو ثبت؟ أولًا: لم يثبُت عندهم، سمعتها هكذا المرأة، أنها متبرجة، سمعتها أنها تروج للبغاء؛ ليس هناك بينة عند الشباب شرعية، وهو مجرد كلام، فبنوا على ذلك، أنهم استحلوا مال هذه المرأة؛ وهذا حتى لو ثبت عندنا مثل ذلك، لا يبيح مالها؛ النبي – صلى الله عليه وسلم – رجم الزُناة، وصلى عليهم، لم يخرجهم من دائرة الإسلام، ولم يستبيح أموالهم؛ فهذا من الأخطاء الشرعية، التي ارتكبها الإخوة.

كذلك من الأخطاء التي ارتكبوها؛ أن بعضهم قيل له، أن هنالك من النساء التي يجلسن ويبعن في الأسواق، الاختيارات العجائز المعروفات يبعن في الأسواق؛ تجد أن أمامهن بسطات، من المشوط والأشياء والحنة؛ قيل لهم أن واحدة من هؤلاء النساء، أيضًا تُروج لمثل ذلك؛ فجاء وأعطاها عصير، كهدية أو كصدقة، امرأة عجوز هي؛ كان قد حقن هذا العصير بالسم، فأعطاها إياه كي يقتلها؛ فهي كانت تصرفات من بعضهم، وقدر الله أن هذه العجوز، بعد أن شربت العصير ما ماتت.

ولكن هذه الأعمال، التي قام بها الإخوة متأولين، أشياء عجيبة وغريبة؛ كل ذلك أنا أظن سببه، قلة العلم الشرعي، والحماس الأجوف؛ الذي لا يظله العلم الشرعي، ولا تضبطه ضوابط الشرع؛ يجب أن نعرف، أن المسلم مهما طغى، مهما فجر، مهما عصى؛ لا

يحل فجوره وعصيانه دمه وماله، إلا بحسب نصوص الشرع؛ فهذه أخطاء مورست، وأنا كل هذه الأمور، تنبهت لها بعد اعتقال الشباب.

كان المحققون يواجهونني بهذه الأشياء، فكنت أنكرها، قلت: "مستحيل يصدر هذا عن فلان أو فلان"؛ ولكن كانوا يقولون: "سترى عندما تجتمع معهم في السجن سترى"؛ وبالفعل عندما اجتمعت معهم في السجن، فوجئت عندما راجعتهم، بأن ذلك كله، قد كان وقد حصل؛ وهذا حقيقةً ساءني كثيرًا، بأنه يكون مثل هذا يصدر عن بعض الشباب قليلي العلم؛ أنا ذكرت في بداية كلامي، أنهم كانوا حديثي عهد بهذه الدعوة، وحاديهم الحماس الأجوف، من غير علمٍ شرعي.

وهذا من الآفات، التي نحاول اليوم، أن ندفعها عن هذا التيار؛ قلة العلم الشرعي، والحماس الغير منضبط بالضوابط الشرعية؛ لأن كما نقول ونكرر دائمًا، أدبيات هذا التيار، أدبيات هذا المنهج؛ هي أدبيات تعبئ وتحث على الجهاد، وعلى الولاء، وعلى البراء، والعداوة لأعداء الله، وعلى تكفير أعداء الله، وعلى قتالهم؛ فهذه التعبئة الدائمة، تبث الحماس في الشاب، وتحفزه ليقوم ويعمل ويجاهد.

فأنت تعبى تعبئ تعبئ دائمًا، فإذا ما ضبطت هذه التعبئة بضوابط الشرع، بأن تعلمه الترجيح بين المفاسد والمصالح، أن تعلمه فقه المآلات؛ أن ينظر بالعمل الذي سيعمله، هل هو مناسب في هذا التوقيت؟ هل ما يؤول إليه هذا العمل فيه مصلحة للإسلام والمسلمين؟ هل فيه مصلحة أن أختاره؟ هل يترتب على ذلك مفسدة أعظم؟.

دراسة هذا الأمر، بكل هذه الجوانب، النظرة الماورائية كما يُقال؛ هذه يجب أن يتعلمها الشاب، ويفهمها جيدًا، نُوعي الشباب في هذا الأمر؛ يعني لا ينبغي أن نتعاطى مع هذه الحرب، التي يشنها أعداء الله، مع الجهاد والمجاهدين، ومع دعوة التوحيد والجهاد، نتعاطى معها بنظرة سطحية؛ هم يحاربوننا على أعلى المستويات، يحاربوننا على

المستوى الإعلامي، وعلى المستوى العسكري، وعلى المستوى حتى الآن الفكري.

ينشئون جماعات إسلامية، يسمونها "جماعات مُعتدلة"؛ ويجعلون رموز هذه الجماعات، يبرزونهم ويصدرونهم للفضائيات ووسائل الإعلام؛ ليواجهوا هذا التيار، فيفرحون أشد الفرح حينما يرون بعض الشذوذات، وبعض الأخطاء التي تصدر، عن هؤلاء الشباب، الحديثي عهد بهذا التيار؛ فيطيرون بها ويفرحون، وينشروها تشويهًا لهذا المنهج، ويظهروا وكأن كل أبناء هذا المنهج، على هذه الأخطاء.

وهذه لاشك أنها أخطاء نادرة، ولكننا ننبه عليها، وكنا دائمًا ننبه عليها؛ وكلفنا التنبيه على أشياء من ذلك، أننا شاركنا إخواننا في هذه القضايا، ودخلنا في السجن معهم، ولم نكن أصلًا قد أيدناهم في هذه العمال؛ ولكن لأجل مناصحتنا لهم، زج بنا، يعني مثلًا: هذه القضية "قضية القاعدة"، كان سبب زجي معهم؛ أن الأخ الذي استفتاني في قتل السياح، ونصحته بأن يشتغل في طلب العلم، وأن يترك هذا الأمر؛ وأن هذا الأمر لا فائدة فيه مرجوة، وقد جرب غيرنا، اعترف بهذه التفاصيل كلها في التحقيق؛ فزج بي كأنني مفتي لهذا التنظيم.

رغم أنني كنت غير مؤيد على هذا، فزج بي وجلست سنة، حتى خرجت براءة؛ فمناصحتنا لهؤلاء الإخوة، ومتابعتنا لهم، وتوجيهنا لهم إلى الأفضل؛ كلفنا ما كلفنا من البلاء، ومن السجن وغيره؛ لا يحق لنا أن نسكت عن هذه الأخطاء، أو نُغمض أعيُننا مخافة أن يطالنا العقاب؛ ونقول دعهم يفعلوا، كلا . نحتسب عند الله – عز وجل – ما أصبنا؛ والغاية كانت تصحيح هذا المنهج، وتوجيه الشباب لأحسن ما يحبه الله، ولأقوم ما يريده الله – عز وجل – منا؛ وهذا كان دَيدَنُنا في أكثر القضايا، التي زج بنا في السجن لأجلها.

20- ما بعد سبتمبر من أحداث وقضية المفرق[6]

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين:

بطبيعة الحال بعد أحداث نيويورك وواشنطن، والغزو الأمريكي لأفغانستان، ثم العراق بعد ذلك؛ كل هذه الأحداث لا شك أنها ألهبت مشاعر الشباب، وبدأ أكثر إخواننا – في الأردن وفي غير الأردن – يُفكّرُون بالأعمال الجهادية، أو بالأعمال المادية كما تسمى عندنا في الأردن.

وهذا أمر لا تستطيع أن تنكره بإطلاق على الشباب؛ لأن الشاب عندما يرى النيران تلتهم بلاد المسلمين؛ يعني على سبيل المثال: عندنا نحن في الأردن يرى المآسي التي تجري في غزة، وقتل اليهود لإخوانه المسلمين ليل نهار، والانتهاكات التي يقومون بها في المسجد الأقصى وغير ذلك، ثم يرى كلّ ذلك ثم يرى في العراق الغزو الأمريكي، ويرى كيف يمارس الأمريكيين ديمقراطيتهم؛ بالدعس على رؤوس المعتقلين وبتعريّتهم والعبث بعوراتهم وغير ذلك ...، ثم يرى إخوانه في أفغانستان يقتلون ويذبحون؛ كل هذه النيران المشتعلة حوله وتريده أن يبقى نائمًا ساكنًا هادئًا! هذا أمر غاية في الصعوبة.

ولذلك الشباب يعذرون، لأن طبيعة الشاب أنه تجري في عروقه دماء الغيرة والمروءة والحميّة، ويريد أن يثأر لدينه. فليس الحل في أن تُقتل هذه المروءة وهذه الحمية، وأن تطفأ جذوة هذا الجهاد وهذه الحرقة لنصرة الدين، ليس الحل هذا. وهذا الحل كان يطرحه علماء السلطان وعلماء الانكسار وعلماء الاندحار وعلماء الطواغيت، الذين وقفوا في وجه هذا التيار الجهادي؛ ليوقفوه وليصدّوه بشبهاتهم وبأساليبهم الخبيثة، تلبيةً لطلبات الطواغيت بل تلبيةً لتوصيات مؤسسة (راند) والأمريكان من وارئها؛ هذا ليس هو الحل.

---

[6] **الحلقة رقم 19 لم تصدر من منبر التوحيد والجهاد إلى الان.**

وكذلك ليس الحل أن ننساق خلف حماس هؤلاء الشباب، فنترك مشاريعنا الدعوية التي بذلنا من أجلها أوقاتنا وأعمارنا سعيًا لإقامة هذا الدين وحتى نصل لإقامة دولة الإسلام.

فمن كان عنده مشروعًا دعويًا، فلا يجوز له أن يهمله ويتركه ويدفنه انسياقًا وراء حماس الشباب.

فلا إفلاط ولا تفريط في هذا المقام، فلا نقف في وجه هذا التيار ولا ننساق خلف حماسه، يجرنا حيث يشاء ببساطة فهمه وسطحيّة نظرته للأمور؛ ولكن الأمور حقيقةً يجب أن يكون فيها توسط. من لم يكن له مشروعًا إسلاميًا في بلده وكان عبئًا على الدعاة، له أن يخرج وينصر إخوانه المجاهدين في أي بقعة من بقاع الأرض.

ولكن من كان قائمًا بهذا الدين، مرابطًا في إظهار التوحيد في بلده، ويدعو على بصيرة، ويتصدى لشبهات أنصار الطواغيت من علماء السوء، بل يتصدى للطواغيت بثباته على هذا التوحيد؛ من كان لديه مشروعًا من هذا القبيل، وكان راعيًا لهذا التيار في بلده، متصديًا للطواغيت، مرابطًا ثابتًا على هذا الأمر، فلا ينبغي له بكل سهولة أن يهمل هذا المشروع وأن يخرج.

وفي الحقيقة رأيت بأم عيني بعد هذه الأحداث من فعل مثل هذا، فأنا أعرف بعض الإخوة والمشائخ، ممن كان لهم أثر بالغ في هذه الساحة؛ يعني كانوا يمسكون بزمام الأمور ومسؤولين عن طائفة كبيرة من الشباب، لهم دروسهم الدعوية في المساجد وفي الجمعيات التي افتتحوها، ولهم نشاطاتهم الدعوية في أكثر من مدينة في هذه البلد، انهارت هذه المشاريع تمامًا عندما رؤوا انهيار البرجين؛ تركوها وبدؤوا يفكروا مباشرةً باللحاق بالمجاهدين بأرض أفغانستان لنصرة المجاهدين؛ مع أن المجاهدين أنفسهم آنذاك – كما بلغنا – أصبح العرب في ساحة أفغانستان عبئًا على الطالبان، وبدأ الكثير منهم يفكرون في إخراج زوجاتهم وأولادهم؛ بل منهم من خرج، كما حصل مع أخينا أبي مصعب والطائفة التي كانت معه، جميعهم خرجوا

من أفغانستان إلى إيران وبدأوا يفكرون في ملاذ آخر لهم، أو بساحة أخرى يذهبوا إليها.

وكان الآخرون في بلادنا يفكرون بالذهاب واللحوق في تلك الأرض من غير تبيّن، ومن غير تبصّر، ومن غير نظر في الأمور، ومن غير نظر في العواقب، ومن غير نظر إلى حاجة المجاهدين في ذلك؛ بل نحن أنفسنا تأثرنا بذلك وبدأنا نفكر، يعني أنا بدأت أفكر أنا وابني ونقدم خطوة ونؤخر خطوة؛ هل نذهب لأفغانستان لنصرة إخواننا، وكنّا نتتبع الأخبار، فتارةً يقال الطريق مفتوحة، وتارةً يقال الطريق مغلقة.

حتى أذكر حادثة جرت لي في هذه المرحلة، كنت أتصل مع بعض الإخوة على (البالتوك) ممن كان له اتصال في إيران، فتارةً يقول فتحت الطريق وتارةً يقول أغلقت الطريق، وكنا نعيش في هذه الأجواء في تلك الفترة؛ لا نعرف ماذا نفعل؛ بسبب هذه الاضطرابات الكثيرة، وهل نذهب لنصرة إخواننا؟ أو نبقى في أماكننا؟

ومن اتصالنا بالشباب ومتابعتنا أقول سيطرت هذه الأجواء على كثير من الشباب، ولا نكتم أنها أثرت حتى في طريقة تفكيرنا نحن في تلك المرحة؛ يعني أنا فكرت في مرحلة من المراحل أن أخرج أنا وابني عمر، الذي سبقني بسبب الإقامة الجبرية التي وضعت علي في تلك المرحلة في فترة رمضان، فلم أتمكن من الخروج؛ لأن الخروج كان يجري وقتها عبر الجوازات الرسمية، ولم تتيسر لنا وسائل أخرى آنذاك، فخرج ابني وحده مع من خرج في تلك الفترة ليذهبوا إلى أفغانستان، ووجدوا الطريق مغلقة فرجعوا إلى كردستان آنذاك.

فحقيقةَ هذه الأحداث؛ لعظمها وكبرها وتفاجئ المسلمين بها، وحشد العدو لضرب أفغانستان، أصبح الإنسان لا يحسن التفكير والتدبير والصواب في مثل هذه النوازل - كما قلت آنفًا -، أنه من كان عنده مشروعًا رياديًا، مشروعًا حقيقيًا لإقامة دين الله، وعنده دعوة -يحترم جهود أصحابها -، وعنده مشروع متكامل الأطراف؛ فلا ينبغي له أن

يهدم هذا المشروع ويبادر بأي اختيار آخر، فيصبح كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثًا، والله – سبحانه وتعالى – نهانا أن نبطل أعمالنا. أن يكون الإنسان عنده عمل طويل الأمد قدّم التضحيات والجهود، ثم بعد ذلك من أجل حادث يحدث أو تطور على الساحة، ينقض هذه الأعمال ويُبطل هذا العمل الذي أعد له عدة طويلة وجهود كثيرة.

يعني حقيقةً هناك أناس لا شغل لهم ولا مشاريع عندهم، فأمثال هؤلاء لو نفروا إلى مثل تلك الساحات دون ترتيب ودون تدبر في ظل تلك الفوضى التي كانت قائمة، فلا ينبغي أن يعاتبون، ولا ينبغي أن يلامون؛ لأن نصرة المسلمين واجبة، وإن كان معالم هذه النصرة لم تكن واضحة بعد؛ يعني هناك من يخرج لأفغانستان وهناك من يسعى إلى أفغانستان، ولم يكن الفرد يعرف ماذا يريد أن يفعل في تلك الفترات، فلو تصرف بعض الشباب الغير مرتبطين بأعمال وبمشاريع دعوية، لو انطلقوا إلى مثل تلك الساحات بدون ترتيب فلا يلامون ولا يعاتبون؛ ولكن أن يترك المشائخ الذين كانت لهم دعوة تحترم نفسها، وكانت لهم مشاريع أعمالهم، ويهدموا أعمالهم كلها، وينطلقوا يبحثون عن طريق، دون دراسة للوضع ودون نظر ودون تمحيص ودون مشورة؛ فهذا ممّا يعاب على أولئك المشائخ وأولئك الدعاة.

في ظل هذه الأوضاع، كان هذا هو حال الشباب عندنا، وهذا سبق القضية التي اعتقلت على إثراها بعد ذلك، مما سميت بقضية (المفرق)؛ كانت مجموعة من الشباب في محافظة المفرق تخطط بالعمل داخل البلد هنا؛ لاغتيال بعض الأمريكان أو بعض أفراد الجيش الأمريكي، الذين كانوا يتواجدوا في القواعد التي كانت تُمهِّد لغزو العراق، وكان هؤلاء الشباب من عشائر أردنية.

وأنا حقيقةً طوال فترة وجودي في الأردن كان لي اهتمام مُحدّد في أبناء البلد (أي العشائر)، والمخابرات كانت متنبهة لهذا الأمر، فكانت متنبهة وتشعر وتتهمني أنني "أضحك" على أبناء العشائر كما تدعي،

وأنا لاشك أن نظرتي كانت تتركز على أن نشر هذه الدعوة، وتحميلها لأبناء البلد من العشائر فيه مصلحة عظيمة للدعوة.

فكون الدعوة بين المحافظات وبين عشائر البلد، ويتكلموا فيها هم يتصدّوا لنشرها هم، أولى من أن يقال – كما هي النظرة الجاهلية عند القوم – أنه أنتم حاقدين ومتحاملين على البلد، حتى كانوا في مرحلة متقدمة، عندما كنا في السجن في أوائل دعوتنا، كانوا يدعون بأنه لا يحمل هذا الفكر – الذي يسمونه تكفيريًا – أحد من شرقي النهر؛ فيقسمون بيننا ويقولوا أن الذي يحملون هذا الفكر أغلبهم فلسطينيين حاقدين على البلد، وأن هناك خلفية خصومات وأحقاد سابقة، هكذا كانوا يقولون.

حتى أنهم كانوا يحاولون أن يستميلوا الأخ أبي مصعب من هذه الزاوية، يقولون له: "هؤلاء فلسطينيون وأنت أردني، وأنت ابن البلد وهؤلاء لم يشربوا من مياه البلد"، وكلام من هذا القبيل. وطبعًا كان – نسأل الله أن يرحمه ويتقبله – كان يسمعهم ما يسوؤهم من الردود الطيبة التي كان يفتخر فيها بتوحيده، حتى أنه كان يقول أحيانًا – كان يمثل بأقلنا شأنًا عندهم، فهم كانوا ينظرون إلى بعض الشباب نظرة استعلاء –، فكان يقول: "أنا عندي حذاء فلان يَسوَى العشيرة الفلانية"، أو شيء من هذا القبيل؛ اعتزازًا بإسلامه ودينه وتوحيده، وبيانًا لما نعتقده بأن هذه الفوارق لا قيمة لها عند أهل التوحيد وأهل الإسلام عمومًا.

فهم كانوا ينظرون لهذا الأمر بحساسيّة معيّنة، وأنا كنت حقيقةً أحب أن يتبنّى هذه الدعوة ويحملها أناس من أبناء البلد؛ حتى يخاطبوا النظام وأنصار النظام بلسانهم، وكنت أستهدي فيه هذا الأمر بقول الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ}، فينبغي أن يتصدى لهؤلاء القوم أبناء جلدتهم؛ حتى لا تختلط الأوراق، وحتى لا يقال أنتم حاقدون على أبناء البلد وأنتم وأنتم وأنتم ...

فعندما نكفرهم يفهم أن هذا حقد شخصي، أن هذه خصومات شخصية وخصومات جاهلية، ونحن نريد أن نُنقِّي هذه الدعوة من كل هذه الشوائب ونبين لهم أن الأمر ليس كما يزعمونه؛ بل أنه كما كان أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - يقاتلون أقوامهم وعشائرهم وآباءهم وإخوانهم، فالأمر كذلك؛ نحن ورثة أولئك الأطهار، وليس عندنا من هذه الوشائج الجاهلية شيء.

فكنت أذهب تارة إلى معان وتارة إلى الصلت وتارة إلى المفرق، ويدعونني من هؤلاء الإخوة شباب، فأبدي اهتمام لهم وأذهب إلى مناطقهم، فمن هؤلاء الأشخاص كان أولئك الشباب في منطقة المفرق؛ حاولت أتواصل معهم وزرتهم مرات، ولكن تبين لي فيما بعد - وهذا كان بعد أحداث نيويورك وواشنطن - أن هؤلاء الشباب متأثرين بهذه الأحداث تأثر شديد.

ورغم أن بعضهم كانوا خريجي كليات شريعة، وكانوا يعملون أئمة مساجد وخطباء، ويستطيعون أن يستغلوا هذه الامتيازات في الدعوة بين عشائرهم وفي مناطقهم؛ ولكنهم كانوا قد تركوا هذا الجانب تمامًا ووضعوه جانبًا، وبدأوا يفكرون بأي عمل مادي في البلد يتمكنون فيه من قتل أمريكي أو أمريكيين أو بضع أمريكان، وربما ذكر لهم بعض أقاربهم أن هناك أمريكان يترددون من هذا الطريق؛ فأصبح في ذهنهم ويسيطر على أفكارهم، كيف يتمكنوا من قتل بعض الأمريكان؟ استجابةً - كما ذكر لي أحدهم - لنداء الشيخ أسامة ونداء القاعدة بالجهاد، والعمل على قتال الأمريكان في كل مكان.

وحقيقةً ربما لو كان هذا الأمر صدر من أشخاص عاديّين، ومن بعض الأشخاص الذين ليس لهم نشاط دعوي، ومن الناس الذين لا شغل لهم ولا عمل؛ لما ثبطتهم ولما وقفت في وجههم، إذا كان العمل مشروعًا سديدًا واختياره فيه مصلحة للإسلام والمسلمين.

ولكن لما صدر ذلك عن هؤلاء الشباب، وكان فيهم اثنين من طلبة العلم المتميزين، وكانوا يتولون مناصب الخطابة والإمامة في

مناطقهم، حزنت أن يتورط هؤلاء في عمل تحديدًا لأنه لا خبرة لهم فيه، ويزجوا بأنفسهم مع إخوانهم الآخرين في السجون؛ لأنني كنت أنظر للعشوائية التي يتصرفون بها، ولذلك حرصت كل الحرص أن أوجههم إلى ما هو أنفع لمناطقهم ولعشائرهم.

وكنت أقول لهم أنه: "أنتم غير محروقين وغير معروفين عند المخابرات، بل ربما تصنف بعضكم على أنه تبليغيًا والآخر على أنه سلفيًا؛ ومناطقكم مناطق بكر ليس لأي دعوات بدعية فيها نشاط، وأنتم عندكم من المناصب ما تستطيعون أن تستغلونه للدعوة"، حتى أنّي عرضت عليهم أن أستعين ببعض الإخوة الذين عندهم تراخيص لجمعيات قرآن ونحوها، أن نأتي بفرع بهذا الترخيص ويفتحوا جمعية للقرآن ينشطوا من خلالها للدعوة؛ فالنساء تنشط في الدعوة النسوية، والرجال ينشطون في مجالهم، وينشروا هذه الدعوة في ظل هذه الجمعية وتحت ستار هذا الترخيص، ولا أظن أنه كان سيمانعهم أحد في تلك الفترة؛ لأنهم لم يكونوا محروقين ولم يكونوا قد حسبوا بعد على هذا التيار.

وكنت أنا أطمح أن يفعلوا ذلك، وترددت عليهم وحاولت أن أقنعهم أن البداءة بهذا الأمر هو الأولى؛ نشر هذه الدعوة وإيجاد موطئ قدم لها في مناطقكم وبين عشائركم، وأن تكبروا رأس مالكم قبل أن تعملوا أي عمل آخر.

يعني أنتم الآن خمسة أو ستة تقوموا بعمل، فتستأصلوا وتنتهي الدعوة في مناطقكم؛ فانشروا الدعوة في مناطقكم وحمّلوها لبعض أبناء عمومتكم وأقاربكم، ثم بعد ذلك إذا شئتم أن تقوموا بشيءٍ تقع عليكم تبعاته أو شيء من هذا القبيل، تكونوا قد تركتم بذرة في مناطقكم.

ولكن كان العمل المادي مسيطر عليهم كل السيطرة مع قلة الخبرة العسكرية؛ فلم يكن فيهم واحد ذهب لأفغانستان مرة من المرات، بل لم يكن فيهم واحد اعتقل قبل هذه المرة وخاض تجربة الاعتقال

في أقبية المخابرات أو التعذيب بساحات التعذيب؛ ولذلك كنت أصر على تجنيبهم لهذا الأمر، وكنت أقول أن هذه المجموعة تصلح للدعوة وينبغي أن تفرغ إليها.

يعني ربما تتساهل أنت في السماح لبعض الشباب بخوض غمار تجربة مادية، إذا رأيت أنهم لا يصلحون للدعوة ولا يصلحوا إلا لهذا العمل، أو إذا كانوا محنكين في مجال العمل التنظيمي أو العمل المسلح، أو لهم خبرة سابقة في ساحات القتال.

فهؤلاء يصلحون لهذا الأمر؛ أما شباب حديثي عهد بالعمل الجهادي، لم يخوضوا أي تجربة جهادية، ولم يخوضوا حتى تجربة سجن، وحاديهم فقط هو الحماس، وليس لهم أي خبرة حتى في الناحية الأمنية؛ فكانوا يظهروا السلاح الذي معهم، وأنت تعرف أن الشاب في النظرة العشائرية أن يحمل السلاح شيء عادي، ولكن أن يحمل القنابل اليدوية أو (أر بي جي) ليس شيء عادي؛ فتجد الواحد منهم يضع (الأر بي جي) في السيارة وينطلق من منطقة إلى منطقة يريه لصديقه، والإنسان معرض في أي لحظة أن توقف سيارته وتفتش، ولو حصل معه أي حادث سير ثم اكتشف هذا السلاح معه؛ يقضي على جماعته كلها، ويسحب التنظيم كاملًا في بدايات عمله.

وهو حقيقةً هكذا كان؛ كانت ذلات بسبب كثرة عرض السلاح على بعضهم البعض، وتسرب هذه المعلومة لأناس ربما كانوا سبب في الإيقاع بهم بعد ذلك، والزج بهم في السجون؛ ثم في السجون بعضهم أسر إلي فقال: "لو سمعنا نصيحتك لكان ذلك خيرًا لنا وللدعوة".

والحمد لله أن أحكامهم لم تكن قاسية، يعني سبع سنوات لمن اقتنى (أر بي جي) وقنابل يدوية وسلاح، واعترف أنه كان يريد أن يقوم بأعمال ضد الأمريكان، هذا يعتبر حكم مخفف في واقعنا.

وربما السبب في ذلك أنهم كانوا أبناء عشائر، وربما يكون السبب في ذلك أنهم لم يكونوا معروفين بحمل الفكر الإرهابي التكفيري كما يسمونه؛ فخفّفت المحكمة لهم هذه الأحكام، في الوقت الذي حكم

على أشخاص كانوا جانبيين في القضية بأحكام قاسية، ربما لأنه يحمل هذا الفكر أو محسوب على أبناء على هذا التيار؛ مثل أبي سياف حكم بخمسة عشر سنة، مع أنه لم يكن في هذه القضية، ولكنه اتصل بالشباب اتصال جانبي وأعطوه قنبلة وكذا، فمع أنه لم يكن متهمًا أساسيًا حكم خمسة عشر عامًا؛ لأجل أنهم يعرفون أنه يحمل هذا الفكر وينشط في هذا التيار.

كذلك آخرين حكموا 10و12 سنة؛ لأنهم فلسطينيين مثلًا في هذه القضية، أو أنهم لهم سابقة عمل تنظيمي وجهاد في الشيشان؛ وهؤلاء لم يكونوا في صلب الموضوع، ولم يقتنوا السلاح ولم يحملوه، وسلم ولم يطلعوا عليه.

فالأحكام دائمًا هكذا في المحاكم، يكون فيها موازين جاهلية، ويكون فيها نظرة إلى أن هؤلاء يحملون هذا الفكر الذي يسمونه تكفيريًا إرهابيًا أو لا يحملونه.

فخاض الشباب هذه التجربة وسجنوا، وفي مكاتب التحقيق والمخابرات، ما كنّا نتحدث لهم به من قبل ونناصحهم به عاينوه بأنفسهم؛ يعني كيف يعترف الشباب على بعضهم البعض بسهولة ويسر، بل بعضهم دون أن يُضرب ودون أن يُؤذى يعترف على إخوانه؛ وفي المحاكم إذا لم يكن هؤلاء أصحاب عقيدة راسخة، ستجد المواقف متباينة ومتضادة.

يعني في هذه القضية – على سبيل المثال – أحدهم اعترف اعترافات كاملة، وتعاون مع المحقّقين عندما وعدوه أن يخرجوه من القضية؛ وبالفعل وهذه من الفتن التي حصلت، أنه خرج من القضية تمامًا، مع أنه حكم مثل بقية إخوانه سبع سنوات ونصف، لكنه لم يمضي يومًا واحدًا في السجن، بل أخرجوه بحجة أنه تعاون.

والشباب داخل قفص المحكمة – فهو لم يسجن أصلًا –، عندما كان يحضر للقضية كانوا يتهمونه بالعمالة، وبأنه هو الذي باعهم وهو الذي سلمهم، وحتى أنهم مدّوا أيديهم عليه وضربوه في قفص المحكمة؛

وهذا الرجل كان هو رأس الجماعة تقريبًا، وكان هو الذي جاء بالسلاح وهو الذي أحضر المتفجرات و (الأر بي جي)، وكان هو صاحب الفكرة تقريبًا؛ يكاد يكون هو من الرؤوس الأساسيين من أصحاب الفكرة، ثم بعد ذلك أصبح عند هؤلاء الإخوة عميلًا، وأصبح هو الذي باعهم والذي فضح هذا العمل.

وهذا طبعًا من الاختلالات التنظيمية، يعني إنسان تتهمه أن دينه ضعيف، وهو حقيقةً لم يكن يحمل هذا الفكر؛ ولكن القضية قضية حماس، بسبب الأحداث التي تدور في العالم، يريدوا أن يعملوا أي عمل ينصروا فيه المجاهدين، دون أن يكون لهم خبرة كافية لإتمام هذا العمل، ودون أن يكون لهم أي خبرة تنظيمية حقيقية؛ لدرجة أنهم كانوا يظهرون هذا السلاح لشخص يلتقون به لأول مرة أو لثاني مرة، فيرونه القنابل والأسلحة.

فهذه عينة ومثال مما كان يحصل عندنا في الساحة الأردنية؛ ولذلك كانت المجموعة تلو المجموعة يزج بها في السجون بأبسط الأعمال؛ يفكرون بعمل أو يجتمعون على شراء سلاح، وربما وهم يشترون السلاح، يبيعهم السلاح عميل فيزج بهم في السجن؛ وآخرون قبل المراحل الأولى للتنفيذ، ربما تتسرب معلومة أو يرتكبوا خطأ؛ فكانت أكثر التنظيمات أو محاولات القيام بعمل تنظيمي مادّي في البلد من هذا القبيل.

ولأنني كنت أعرف شباب هذا البلد، ولم أكن بمعزل عن هؤلاء الشباب؛ فلذلك كنت أتفرس بالشاب الذي يفكر بالعمل المادي، وأعرف مستواه العسكري والتنظيمي وسابقته؛ فمن كانت حالته لا تصلح، كنت أقول له: "اترك عنك هذا العمل واشتغل في الدعوة، اطلب علم، اشتغل في الدعوة للتوحيد، هذا أنفع لدين الله".

وربما في المرحلة الأولى عندما كنت أقول هذا، يفهم بعض الشباب أن هذا تخذيل وصد عن الجهاد؛ ولكن أكثر من وقعوا في هذه المسائل بعد ذلك – بفضل الله عز وجل – اعترفوا بأنهم كانوا

مخطئين، ويا ليتهم قبلوا نصائح الشيخ أبي محمد، كما قالوا لي لأنفسهم؛ لأنني أنا لا أصد عن الجهاد والعمل المادي، ولكنني أصد من لا يحسن ذلك أن يقع في أخطاء، تكلفه قسطًا كبير من حياته وعمره، وتحرم الدعوة من طاقاته، التي كان يمكن أن يفيد بها لو وجهها لهذا الاتجاه، ما دام لا يحسن ولا يتقن العمل المادي، ولم يأتي بأسبابه الكافية.

وهذا مثال والأمثلة حقيقةً كثيرة، أكثر إخواننا الآن الذين في السجون تجدهم عينة من هذا المثال الذي ذكرته.

طبعًا هذا الشاب الذي اعترف على إخوانه، لو كان اعترافه بسبب الأذى والفتنة والعذاب، لا نستطيع أن نطلق عليه أحكامًا شرعية، بأن نقول عنه أنه خائن أو شيء نحو هذا؛ ولكن المشكلة أن ما جرى في هذه الحادثة مثلًا، وفي حوادث شيبهة أخرى أيضًا، أن الرجل يعترف بمحض إرادته دون أن يعذب.

يعني تكتشف المخابرات طرف خيط، وتواجهه ببعض الحقائق، فيحس أنهم يعرفون الموضوع كاملًا، ويشعر بأنه تورط، دون أن يكون عندهم معلومات كافية؛ ولكن ربما يكونوا قد سمعوا بأطراف، بأن هذا يهتم بالسلاح أو أنه قد سأل عن أمريكان، من هذا القبيل، فيحس أنه قد تورط دون أن يكون عنده خبرة سابقة؛ ويمنُّونه ويعدونه بأنهم لن يفعلوا به وبمن معه شيء، وأنهم سيطلقون سراحه - والرجل ليس له خبرة، يثق بوعودهم -، ويحلفون له أيمان مغلظة، ويقولون له: "أنتم أولاد البلد ولم نفعل بكم شيئًا؛ فيخادعونه.

فلقلة الخبرة في التعاون مع هؤلاء الناس، وقلة استبانة سبيل المجرمين، ومعرفة أن هؤلاء يمكرون بأهل هذا الدين ويكيدون له ليل نهار؛ تجد ربما هذا الشاب يثق بهم يخرج لهم كل ما في جعبته، ممّا لم يكونوا يعرفونه من قبل، ثم يفاجأ بعد ذلك بأنه يأخذ ويساق ويدار به على بيوت الشباب ليجمعهم ويعتقلهم.

وربما يفون له بالوعد، فيخرجونه وحده من القضية، وهنا تبدأ المصيبة؛ ويفتخرون هم بهذه الآثار ويسمونها "تفكيك التنظيم"، بأن يقوم بعض الشباب باتهام هذا الرجل بأنه عميل وبأنه مخبر، وبأنه تعاون مع أعداء الله، والقضية ربما تكون كذلك وربما لا تكون كذلك.

ربما تكون من قلة الخبرة ومن التفكير السطحي في هذه الأعمال، ومن قبول وعود هؤلاء الناس والوثوق بوعودهم، والسطحية في التعامل مع هؤلاء الناس، وعدم معرفة الحكم الشرعي في لهؤلاء الناس، وحكم التعاون معهم.

يعني بعض هؤلاء الشباب دخلوا معنا السجن، ولم يكونوا يكفروا أنصار الطواغيت؛ وبالتالي عندما يأتيه واحد من هؤلاء، ويجده يصلي في مكتب التحقيق، ثم يعطيه أيمان مغلظة، بأنه لن يضره وبأنه لن يضر إخوانه وبأنهم سيساعدونهم وسيطلقون سراحهم، وأنهم يريدون مصلحتهم، وغير ذلك من الوعود؛ فهذا الشاب البسيط الذي ليس عنده اعتقاد واضح في هؤلاء الناس يأخذ بهذه الوعود، ويأخذ بهذه الأيمان ويغتر بها فيعطيهم ما يريدون.

ثم بعد ذلك يفاجأ بأنه أصبح دميةً في أيديهم، يدار به على بيوت الشباب ليعتقلوهم، وربما يوفون له بالوعد – كما حصل في هذه الحادثة – فيطلقون سراحه؛ لتشتعل بعد ذلك المعركة بين هؤلاء الشباب وبين الرجل بأنه عميل وكذا.

وأمثال هذا الشاب إذا كان متعاونًا بالفعل مع أعداء الله، فهذا يكون قد خان الله والرسول، أما إذا كان قد غرر به وكان جاهلًا بسبيل المجرمين، وظن أنه سيجنب إخوانه شرًا عظيمًا – هكذا أوهم –، أو ظن أنه مكشوف أمرهم، أو ظن أنه سيخفف عن نفسه وعن إخوانه؛ ربما نقول أنه غبي ولا نقول أنه خائن الله ورسوله، كونه وثق بهؤلاء الناس وقبل وعودهم وعهودهم.

فالمسألة لا تستطيع أن تصل في النهاية إلى حقيقية هؤلاء الأشخاص، وتجزم بحكم شرعي عليهم؛ لأن كلًا يتهم الآخر، وعادة تفرح

المخابرات بهذا الأمر؛ ولذلك تجد التعبيرات تنزل في الصحافة، يقولون "نجحت الجهات الأمنية في تفكيك هذا التنظيم"، ولا يقولون "بإلقاء القبض عليه" بل يقولون "بتفكيك".

والتفكيك: يعني أن يخرج هذا التنظيم الذي كان متحدًا تحت إمارة واحدة؛ يخرج أفراد متفرقين يطعن بعضهم ببعض ويتهم بعضهم بعضًا؛ وهذا التفكيك هو أعظم ما يحققه هؤلاء الأعداء، بأن يخرج الشباب يتهم بعضهم بعضًا ويطعن بعضهم ببعض، ويتهمون بعضهم بالعمالة والخيانة وبأنهم أذناب للمخابرات. وهذا حصل كثيرًا في السجون، بسبب السطحية التي تعامل بها هؤلاء الشباب مع العمل المسلح والعمل التنظيمي؛ فهم ليس لهم سابقة وليس لهم خبرة في هذا المجال، ويتورطوا في هذا العمل.

يعني هؤلاء الشباب وأمثالهم كثير كانوا دراويش، أنا أعدهم في العمل العسكري دراويش؛ ومن الخيانة لله ورسوله أن أزج بشباب لا يحسنون العمل العسكري بالعمل العسكري دون خبرات؛ وكأنني أسلمهم لأعداء الله، وكأنني أزج بإخواني في السجون، وكأنني أضيع وأهدر هذه الطاقات.

يعني أنا أرى هؤلاء الشباب يصلحون للعمل الدعوي، طلبة علم، يصلحون لأن يكونوا خطباء في مساجد، وأئمة يعلمون الناس ويدرسون الشباب وينشرون الدعوة بينهم، أراهم يصلحون لهذا المجال؛ ولا أراهم عندهم الخبرة العسكرية الكافية؛ فيجب علي – وهي أمانة في عنقي – أن أوجههم لما ينصرون به دين الله وينفعون به أمتهم، وإذا وجهتهم لما لا يحسنون صنعه فأكون قد غررت بهم.

ولذلك من لا يفقه هذه المسائل، ولا يعرف حقيقة الشباب الذين نتكلم عنهم؛ يفهم الأمر أنك تصد عن الجهاد، وأنك تخذل عن الجهاد، وأنك ترفض الجهاد. لا، فليكن الرجل المناسب في المكان المناسب؛ فإذا رأينا من يحسن العمل التنظيمي، ويحسن العمل العسكري، ويعرف كيف يختار الأهداف النافعة لدين الله، ويعرف التوقيت

المناسب الذي ينصر به دين الله، ويكون عنده وضوح واستراتيجية حقيقية للعمل المادي الذي سيقوم به؛ عند ذلك لن نخذّله ولن نصدّه عن هذا العمل الذي أتقنه، بل ربما نشجعه وربما نكون من أجناده ومن أنصاره.

وهذا سبب من أسباب هذا الذي ذكرناه في هذه الحادثة، وهذه التجربة هي عينة من عينات الفشل، التي تتكرر عندنا في التجربة الأردنية؛ يعني أكثر من يقوم بمحاولات إقامة أعمال مادية وتنظيمات مسلحة في البلد، – أغلب الظن – كانوا من هذه العينات، شباب قليلي الخبرة في المجال العسكري والتنظيمي والمادي، وبعضهم ربما لم تعركه تجارب الحياة، وشباب لم يخوضوا تجارب السجون من قبل، وبعضهم لم يخض تجربة فيساحة من ساحات الجهاد، ويريد أن يبدأ بتجربة في العمل المادي.

فكانت الأمور دائمًا تجد أنهم يُخترقون بسهولة جدًا؛ فتضع المخابرات في الساحة لها عملاء يحاولون أن يروجون السلاح، فيأتي شاب متحمس للجهاد ويعرض عليه قطعة سلاح، أو يعرض عليه إيصاله لساحة من ساحات الجهاد؛ وهذا تكرر مرارًا مع بعض الإخوة الذين التقيناهم في السجون، فالشاب من حماسه يريد أن يشتري سلاح فيشتري السلاح، فيعتقل مباشرةً قبل أن يفعل أي شيء.

فهذه الأخطاء من شراء السلاح من شخص لا تعرفه إلا ليوم أو يومين؛ الوثوق بشاب يعرض عليك أن يخرجك لساحة من ساحات الجهاد وأنت لا تعرفه، فتثق به مباشرةً وتكشف له كل أوراقك؛ فهذه من المصائب التي وقع بها كثير من الشباب، وزجت بكثير من إخواننا في السجون.

وكنا نناصح دائمًا إخواننا فيها؛ وهناك من كان يقبل منا – بفضل الله عز وجل –، فيكون حاجزًا دون وقوعه في أيدي الطواغيت، والزج به في السجون لأوقات طويلة؛ يعني حدث من تقبل منّا ذلك، – وبفضل الله عز وجل – نجاه الله من الوقوع في مثل هذه الحوادث.

وهناك من لم يستمع إلى نصائحنا، ونظر إلينا كمن يخذل عن الجهاد، ونرى كثيرًا منهم الآن مازال في السجون؛ ونحن نسأل الله أن يفرج عن إخواننا، ولكن حقيقةً هذه تجارب نتكلم فيها ونذكرها؛ على أنه يجب على الشباب حدثاء العهد في هذه الدعوة، وحدثاء العهد في العمل العسكري والتنظيمي، أن يستفيدوا من تجارب إخوانهم الأقدم منهم، وأن يتقبلوا من مشائخهم النصائح، ولا يسيؤوا بهم الظن بأنهم يخذلونهم عن الجهاد، أو أنهم يصدونهم عن العمل لنصرة دين الله؛ بل يجب عليهم أن يستفيدوا من تجارب من هم أقدم منهم، وأن يحسنوا الظن بإخوانهم؛ أنهم يريدون الخير لهم، ويردون الخير لهذه الدعوة، ويريدون أن يحققوا أعظم المكاسب لهذه الدعوة، ولا يريدوا أن يخسروا إخوانهم دون فائدة مرجوة ودون فائدة تذكر لهذا الدين.

21- أساليب المخابرات (الجزء الأول)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معز أوليائه ومذل أعدائه، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين:

فهذا بيان وكلمة أحببت أن أسجلها؛ فضحًا لأعداء الله وتبيينًا لأحداث حصلت معي منذ أن خرجت من المعتقل إلى تاريخ اليوم؛ وذلك أن أعداء الله حينما أفرجوا عني، وكان ظنّي في محله، عندما ظننت أنهم لم يفرجوا عني رحمةً بي أو حبًا بهذا المنهج، أو – كما يدعون – إظهارًا لحقوق الإنسان ونحو ذلك من السخافات؛ وإنما أفرجوا عني لأسباب كنت أعرفها جيدًا، فكان في ظنهم أنهم بالإفراج عني سيحصلون على تراجعات، لم يحصلوا عليها من قبل في القيد والضيق والتعذيب.

فربما ظنّوا أنهم بالإفراج عني سيحصلوا على شيء من هذه التراجعات في الرخاء، وأنني عندما أعافس الأهل والأولاد وأرى الحياة الدنيا وسعتها، فربما أعطيهم بعض هذه التراجعات التي لم يظفروا بها في القيد والضيق والأسر، فكنت أعرف هذا جيدًا.

وكان أيضًا في حساباتي أيضًا أنهم ربما أخرجوني ليشقّوا هذا التيار المبارك، ببعض الكلمات التي ربما يستخلصونها مني، والتي ربما تكون حق؛ ولكنهم سيستعملوها وسيوظّفوها في غير مكانها، هذا كله كان في حساباتي ولم أكن غافلًا عنه.

تنبهت لذلك منذ أول لحظة قرروا فيها الإفراج عني، حينما وضعوا علي شروط من أهمها؛ أن لا أقابل أي وسيلة من وسائل الإعلام؛ لا صحافة، ولا تلفاز، ولا جرائد، ولا صحف، وأن لا أقابل أحد، وهذا شرط اشترطوه، وفي البداية لم يكن مكتوبًا.

والشرط الثاني: أن لا أتكلم في الدولة السعودية، يعني لم يشترطوا علي أن لا أتكلم في الدولة الأردنية، ولكنهم اشترطوا عليّ أن لا

أتكلم في الدولة السعودية؛ وهذا عجيب، ولكن يبدو أنه كما قيل لي، أنني كنت محبوسًا على حساب أمريكا والدولة السعودية، فكانوا يريدون أن يرضوا هذه الدولة.

وأيضًا اشترطوا علي أن لا أتنقل ولا أذهب إلى أماكن أخرى في المحافظات التي خارج منطقتي؛ حتى لا يكون هناك نشاط، وحتى أبقى تحت رقابتهم، واشترطوا علي أن يكون عندي هاتف معلوم لديهم؛ ليسهل عليهم أيضًا مراقبتي ومتابعتي.

هذه هي الشروط التي اشترطوها، ولم يشترطوا علي تراجعات صريحة لأنهم – ولله الحمد – ملّوا أو يئسوا من ذلك وأنا في القيد، فلم يشترطوا علي أن أتراجع عن كتابي (الكواشف الجلية)؛ كما طلبوا مني قبل ذلك، عندما كان والدي في النزع وكانوا يساومونني، اشترطوا عليّ أن أنسف لهم – كما كان لفظهم – كتاب (الكواشف)؛ وقالوا: "إن إخواننا في السعودية منزعجين جدًا من هذا الكتاب، فيجب أن تجد له حل، انسفه نفسًا".

هذا كان في القيد، أمّا عندما خرجت لم يشترطوا مثل هذا الشرط، ولم يقولوا تراجع عن كتاباتك، وإنما أرادوا فقط مبدئيًا تكميمي؛ وأنا أعرف أنه بهذا التكميم سأبقى أنا مُكمّم مُقيّد عن وسائل الإعلام وعن الكلام، وفي نفس الوقت وسائل أعلامهم وهم وأذنابهم أحرار يتكلمون بما شاؤوا؛ فعرفت أن هذا سيكلفني الكثير، وأنهم ربما نسبوا إلي أشياء أنا لا أقولها، في الوقت الذي هم مكممين لي، لا أستطيع أن أنكرها و لا أستطيع أن أبينها ولا أستطيع أن أظهر باطلها؛ فعرفت أن المرحلة التي أنا مقبل عليها مرحلة صعبة، وأن هناك سياسة جديدة من النظام اتجاه هذا التيار واتجاه مَرْجِعيّاته تحديدًا.

فمنذ أن خرجت بدؤوا هكذا؛ أولًا: أُطلب مرارًا وتكرارًا لدائرة المخابرات، تقريبًا بمعدل كل أسبوعين أطلب مرة، وأحيانًا كل أسبوع؛ وهذه المراجعات كانت غالبًا لمتابعة نشاطاتي: من زارك؟ وأين ذهبت؟ حضرت العرس الفلاني؟ حضرت الوليمة الفلانية؟

ونشاطاتي كانت محدودة في لقاءات اجتماعية؛ كوني ممنوع من أي نشاط صحفي أو نشاط دعوي أو نشاط إعلامي، فكانوا يتابعون حتى النشاطات الاجتماعية التي تصلهم؛ وهم لا شك أنه يكون في جُعَبهم أشياء، وعندما يقابلونني يواجهوني فيها أو بأطراف منها، ويرون هل سأكذب أم سأقول وفقًا لتقاريرهم التي وصلتهم.

على كل حال كانت هذه المراجعات دورية ودائمة؛ ثم بدأت بعد ذلك المطالبات، ولكن بصيغة وبصفة ترغيبيّة، وليس كالصفة الترهيبيّة التي كانت تطلب مني وأنا في الزنازن؛ يعني مثلًا: يضربوا على وتر أن ابنك في سجون العراق، ألا تريد استرجاعه؟

وبدؤوا يأتوني بالأدلة والدلائل أن ابني ليس مقتول، كما قد نشرت الصحف من قبل، بل هو مسجون عند الأمريكان؛ فأتوني بصور حديثة لابني، ثم أخذوا مني عينات دم، وأخبروني بعد ذلك أن ابني حي وأن عينات الدم مطابقة.

ثم بدؤوا في كل مراجعة يقولون لي: "ألا تريد ابنك؟ ألا تريد أن نحضر لك ابنك؟ ابنك الآن في طريقه إلى هنا، وسترى أنّا صادقون معك"، ونحو ذلك من المرغبات.

وعرضوا علي أشياء أخرى، عرضوا علي أموال، وعرضوا عليّ أن يفتحوا لي محطة فضائية؛ ولذلك بعد ذلك عندما كنت أسمع أن بعض الدعاة فُتحت لهم محطات فضائية أصبحت أعرف مصدرها؛ لأن المحطة الفضائية – كما هو معلوم – لا يقدر عليها فرد عادي، فلها ميزانية ضخمة؛ فلذلك عندما سمعت أن الحلبي وريس الريس وآخرون فتحت لهم محطات، علمت – في أغلب الظن – مصدر هذه المحطات.

وعرضوا علي أن يفتحوا لي أيضًا جمعيات دعوية وجمعيات خيرية مُرخصة، وأن تدعم بالأموال؛ عرضوا عليّ أن تسخر لي برامج دورية، وعرضوا علي أن أطبع كتب، وأعمل مقابلات في الصحافة والإعلام ومحطات عالمية كما ذكروا.

وفي مقابل كل هذا لم يطلبوا مني تراجعًا صريحًا، كما كانوا يطلبوا من قبل في القيد؛ وإنّما طلبوا مني الآن – في السعة – أشياء يقولون عنها: "أنت تعتقدها وهي مكتوبة في كتبك، ولكن نريد منك أن تكتبها باختصار؛ لا يستطيع الواحد أن يرجع إلى (الثلاثينية) ويقرأها كلها، ولا يستطيع أن يرجع إلى (وقفات مع ثمرات الجهاد) حتى يطلع على نصائحك؛ فنريد منك أن تتكلم بكلمات جديدة واضحة مختصرة، توجهها إلى هؤلاء الذين يقتلون النساء والأطفال؛ لأنهم يرتكبون أخطاء شرعية، فتبيّن لهم أن هذه جرائم لا تجوز".

فكانوا يطلبون منّي كلام غير مخالف للمنهج؛ ولكنّني كنت أعرف جيدًا أن هؤلاء يريدون بهذه الكلمات شقّ التيار، وشق صف المجاهدين، واستخدام هذه الكلمات – التي ربّما أراها شرعية – في مقام وأماكن وفي توقيت سيء؛ ويجيّروها – كما يقال – أو يوجهوها التوجيه الذي يريدوه.

والإنسان البعيد عن الحدث، والذي لا يعرف كيف خرجت هذه الكلمة وهذه الفتوى ولا يعرف أبعادها، ربّما يغتر بتمويههم وإخراجهم، وبالسيناريو الذي سيخرجوا فيه هذه الفتوى وهذه الكلمة؛ ومن ثمّ كنت أرفض أنا رفضًا باتًا أن أعطيهم أي شيء، ولو حتى فيما أعتقد أنه حق.

وكنت أقول لهم دائمًا: أنا لم أقصر في النصح للمخطئين والمتجاوزين، وأنا كتبت كتاب (الوقفات في النصح للمجاهدين) عمومًا، وهذه أمانة حمّلني الله إياها، فلا أنتظر من أحد أن يوجهني بمثل هذه الأمانة؛ لأن هذه أمانة في رقبتي اتجاه أبناء هذا التيار، أعتقد أنه واجب علي أن أنصح لهم؛ ليبقى الجهاد مصونًا من الأخطاء، وليبقى الجهاد في صورته المشرقة، ولا ينفذ إليه الدخلاء، ولا يستغل الأخطاء فيه أعداء الله؛ ومن ثمّ كنت أرفض رفضًا باتًا أن أعطيهم أي شيء.

ومرت الأيام على هذا النحو، وفي كل مرة يطلبونني يظنّون أنّني سأتنازل وربّما سأعطي شيء، وأحيانًا يذكرون لي بعض الأحداث فيسألوني: "هل سمعت بالحدث الفلاني؟ هل رأيت القتلى الذين كانوا في التفجير الفلاني؟ هل رأيت كذا ...؟".

كل ذلك دفعًا لكي أتكلم بأي بكلمة، ولو كانت كلمة بسيطة لا تسعفهم ولا تنفعهم، وإن كانت بمعتقدي الذي أدين الله فيه، وكنت – بفضل الله – أرفض؛ لأنّني أعتقد أنه ليس هذا هو السبيل، وأن النصح المجاهدين لا يكون من خلال الدوائر الأمنية، ولا يكون من خلال أعداء الله؛ لأن هؤلاء الأصل فيهم أنهم كما أخبرنا الله – عز وجل – عنهم: {لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً}، وهم كما قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ}.

هذه هي الأصول التي علّمنا إياها الله – عز وجل – عن أعداء الله، وهذه هي الصورة التي فهمناها {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ}؛ حذرنا الله – عز وجل – منهم، وحذرنا من أساليبهم، وحذرنا من خطوات الشيطان، وهم أيضًا شياطين إنس، فلهم خطوات؛ يأتوك ذات اليمين ويأتوك ذات الشمال ويأتوك من بين يديك؛ المعنى يأتوك بأساليب شتّى وطرائق مختلفة؛ ليوقعوك وليذلوك وليوهنوك وليستخدموا هذا في حرب الجهاد والمجاهدين.

استمرت هذه المحاولات طويلًا، ثم بعد فترة بدؤوا يطلبون مني صراحةً أن أرد على بعض كلمات الشيخ أيمن الظواهري – حفظه الله –؛ لا أذكر في أي كلمة من كلماته طلبوا منّي ذلك، ولكن طلبوا مني صراحةً أن أرد على الشيخ أيمن الظواهري، وكان المطلوب: أن أبيّن أنه عنده غلو في التكفير، وأنه يكفر بالعموم، وأنه ليس عنده علم، وأشياء من هذا القبيل، طلبوا مني ذلك صراحة.

فأنا رفضت هذا، وكنت أحاول أن أكسب وقت قدر الإمكان؛ لأستفيد من هذا الوقت خارج السجن، ولأحاول أن أسعى في إيجاد مخرج لي

من هذا الأمر؛ سواءً خارج البلاد أو أي اتجاه آخر، فكانت الإجابة دائمًا أنّي أقول لهم: "أنا من حتى أرد على أيمن الظواهري، لا أيمن الظواهري تلميذي ولا أنا شيخه، يعني شيخه سيد إمام ردّ عليه، فلماذا أنتم تريدون منّي أن أرد؟".

فقالوا: "لا أنت لك ثقلك ولك مرجعيتك وكلامك معتبر فنريد منك أن ترد".

وهذا الطلب – على سبيل المثال – لم يكن في جلسة واحدة وانتهى، بل كان يستمر في عدة جلسات؛ فتجدهم يتركونني ثم يستدعونني بعد أسبوع فيقولون: ماذا فعلت، هل رددت؟

فأجيبهم بأجوبة مماثلة بأنني لم أرد وأنا غير متفرغ أو أتعذر بأعذار أخرى وهكذا؛ أحاول أن تكون ردودي نوع من المدارة والمماطلة حتى أكسب أطول وقت، وكان كثير من الأخوة قد وعدوني بأشياء، فقالوا لعل الله ييسر لي طريق إلى هنا أو هناك وأخلص من هذا المأزق، وأخرج من هذه الضغوط، التي هي علي منذ أن خرجت؛ ولذلك كانت موضوع المدارة والمماطلة معهم ديدني.

وهم كانوا يتغابون ويعرفون أنني أماطلهم، ولذلك كانوا يقولون: "أنت تماطل وأنت تسوّف ودائمًا تأتي ليس معك شيء، وأنت تضحك علينا"؛ يعني هم يعرفون أنّني أتغابى عليهم وهم يتغابون علي ونحن نمشي الأمور هكذا كما قيل:

ليس الغبي بسيدٍ في قومه *** ولكن سيد قومه المتغابي

يعني أنا أتكلم معهم بهذه الطريقة، وأعرف أنهم يعرفون جيدَا أنني لن أعطيهم شيئًا لأنهم جرّبوني من قبل.

ثم بعد ذلك خرجت كلمة الشيخ أسامة – حفظه الله ونصر به الدين – الأخيرة، التي تكلم فيها عن قضية فلسطين وذكر فيها خطوات تحرير فلسطين؛ وذكر فيها الأردن تحديدًا، وقال أن الأردن هو الطريق إلى

فلسطين، وذكر فيها المنبر (منبر التوحيد والجهاد) وأثنى عليه، ودعى الناس إلى قراءة ما ينشر فيه من كتب.

فعلى إثر ذلك أو ثاني يوم مباشرةً طُلبت، ونسوا موضوع أيمن الظواهري تمامًا، وطلبوا مني هذه المرة تحديدًا أن أرد على الشيخ أسامة – حفظه الله –، خصوصًا في الأمر الذي انزعجوا منه؛ وهو أن الأردن لا ينبغي أن تكون ساحة قتال، وتحديدًا كانوا يقولون تخرج فتوى في ذلك ردًا على الشيخ أسامة، أنه لا يجوز العمل المادي في الأردن.

فضحكت وقلت إذا كان العمل المادي لا يجوز، فلماذا نحدده بالأردن؟ هل هذه الفتاوى محدودة بحدود سايكس – بيكو؛ فإذا كان العمل المادي لا يجوز، فالأولى أن يقال لا يجوز مطلقًا، وليس محدود في الأردن؛ فهذه فتوى محدودة بالحدود القانونيّة، وحدود سايكس – بيكو وليست محدودة بحدود شرعية وبكلام الله وكلام الرسول.

فالمهم أنّهم شدّدوا وقالوا معك مهلة أسبوع، والأسبوع القادم إذا جئت وليس معك رد فسيغلق عليك الباب هنا، ولن تخرج من هنا حتى تكتب فتوى بالرد على الشيخ أسامة بن لادن؛ فخرجت من عندهم وعرفت أن الأمور بدأت تضيق، وأن الأمور تتجه الآن إلى اتجاه الضغط الحقيقي، وأنه ربما اقترب وقت الرجوع إلى لزنزانة.

وكنت مصمّم من اللحظة التي خرجت فيها أنّني لن أكتب رد، يعني هذا أمر ليس لي فيه خيار؛ حتى لو كان الشيخ أسامة قد أخطأ، فلن أعطي هؤلاء ما يشاؤون؛ فكيف وأنا لا أرى في كلام الشيخ أسامة أي خطأ شرعي، هذه استراتيجية اختارها، وله أن يجتهد في ذلك وفقًا للمعطيات التي يراها أفضل للجهاد والمجاهدين.

فمكثت أسبوع أنتظر الموعد المحدد في الأسبوع القادم، وكنت قد أطلعت إخواني كلهم على ما حصل معي؛ حتى إذا اعتقلت يكونوا في الصورة ويذكروا ذلك لإخوانهم. وأطلعت بعض الخواص على هذا الكلام، وبعثت رسائل لبعض الإخوة المتصلين معي على الإيميل

احتياطًا؛ لأني كنت أظن أنّني سأعتقل، حتى أنّ بعض الإخوة حاولوا أن يتعجلوا في إيجاد مخرج لي من هذا الأمر ولم يسعفهم الوقت، وذكروا أن الأمور الآن صعبة ويجب أن تصبر قليلًا.

فقدّر الله حصلت أحداث معينة أخرت الموعد إلى أسبوعين، فبدل أسبوع تأخر الموعد لأسبوعين، لا أعلم ما هي الظروف التي حصلت عندهم؛ يبدو أنه كان مسؤول عندهم مسافر أو شيء كهذا، كذا أخبرني بعض الإخوة المراجعين.

فقدر الله بعد أسبوعين لما طلبوني ذهبت إليهم خالي الوفاض، ليس عندي لا رد على الشيخ أسامة ولا على الدكتور أيمن – حفظهما الله –؛ فطبعًا استقبلوني بغضب شديد وبتهديد ووعيد، وذكروا أنك هذه المرة ستبقى عندنا مدة طويلة، وغير ذلك من الكلام، أخذت وأعطيت معهم وحصل حوار طويل، والله – عز وجل – أخرجني من هذا الأمر بمنّه وكرمه، ولكن لم يتركوني.

فوجئت بأنهم في هذا اليوم تحديدًا كأنهم كانوا متوقعين بأنّني لن آتي بشيء؛ ففوجئت بأن كبيرهم قال لي: "اليوم ستبقى عندنا كثيرًا، ليس لأننا سنحيلك إلى السجن، ولكن لأن عندنا عالم دكتور شيخ سيقابلك ويريد أن يتحاور معك؛ ونحن سنجلس معك، وأخرج كل ما في قلبك وتكلم بكل أريحيّة".

تأمّلوا ...

في دائرة المخابرات يجلس على شمالي على طاولة مستديرة (طاولة اجتماعات) رئيس شعبة مكافحة الإرهاب، وعلى يميني نائبه، وفي مقابلي شيخ استخباراتي جاؤوا به ليحاورني؛ هو يدفع عنهم وأنا سأتكلم بمعتقدي، ويقول خذ أريحيتك وتكلم عن كل ما في قلبك.

طبعًا كنت أتوقع هذا، ولكن فوجئت عندما علمت أن هذا الشيخ لن يحاورني ولن يناقشني في كفر الأنظمة، ولا في كفر أنصار

الطواغيت، ولا في غير ذلك مما ربّما لا يحسنه، وربما تجده خاوِ على وجهه في هذه المسائل.

وعندما أدخلوني إلى هذا الشيخ، وجدت أن لهجته ولكنته جزائرية – وأنا أعرف اللهجة الجزائرية جيدًا –، وإن كانت مختلطة بكلمات سعودية دلالة على أنه مقيم – كما ذكر هو إن كان صادقًا – في المدينة؛ فكانت لكنته جزائرية، وكان ملتحيًا لو رأيت صورته سأعرفه، فقام وعانقني وكأنما أخ في الله.

ثم جلس مكانه وبدأ يتكلم، وأمامه ورقة فيها نقاط مسجلة، ينظر إلى هذه النقاط ويتكلم؛ وقال لي "ابتداءًا أنا جئتك لأتحاور معك، وعندي أمانة حاملها لك من كثير من المشائخ من شتى بقاع الأرض ونصيحة، فتفضل ابدأ أنت بالكلام".

فقلت له: "أنت تريد أن نتحاور، وأنا لا أدري ما هي النقاط التي تريد أن تتحاور فيها؟ فابدأ أنت".

وكنت أستذكر في هذا المقام وقوله تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}؛ فقلت دعني أسمع ما الذي سيلقيه، وما هي الثعابين التي سيخرجها حتى أرد عليها بعد ذلك؛ فكنت أريد أن أرى ما هي الثعابين وهذه الشبهات التي سيوردها لأرد عليها.

فبدأ يتكلم عن ما يجري في ساحات القتال، وركّز تحديدًا على الجزائر: "وأن فيها قتل للأطفال، وأن فيها قتل للنساء، وأن فيها تجاوزات لحدود الله، وأن فيها جهل وكذا"، ويتكلم عن أحداث وقصص هي كالأفلام.

حتى أنه ذكر لي حكاية يرويها عن شخص سمّاه (أبو عبد الرحمن الجزائري)؛ قال هذا كان الضابط الشرعي للجماعة الإسلامية

المسلحة؛ لا أدري في أي زمن، يقول أنه الآن تاب ويقيم في المدينة ويكتب مذكراته وتراجعاته.

فذكر لي قصة عنه، هي عبارة عن فيلم حقيقةً ولا تصدق عن المجاهدين – وهو لا يسميهم المجاهدين طبعًا –؛ قال أن هؤلاء جاؤوا إلى قرية من القرى، وكان معهم ولد ووالديه ورؤوا أخت هذا الشاب، وكانت تخرج لتستقي ماء من بئر وكان الحجاب حاسرًا عن بعض شعرها؛ فأمروا الشاب أن يذهب ويأمر أخته بأن تغطي شعرها وأن تضبط حجابها.

فذهب هذا الشاب أو هذا المجاهد إلى أخته وقال لها: "غطّي هذا الجزء الظاهر من شعرك"، وهي لم تكن سافرة؛ فهو يصور لك أن أهله كانوا مسلمين طيبين، ومع ذلك سترى ماذا سيفعل بهم.

فقال لها: "غطّي هذا الجزء الظاهر من شعرك".

فقالت له: "اذهب عنّي أنا مشغولة".

فقال له الأمير: "هذه رفضت حكم الله ورفضت أمر الله، فيجب عليك أن تقيم عليها الحد؛ اقتلها".

فخرجت أم هذا الشاب وقالت له: "يا بنيّ نحن لا نعترض على حكم الله، ولكن ليكن غيرك هو القاتل فلا تقتلها أنت".

وانظر حتى الناس يريد أن يصورهم بأنهم منساقون لحكم الله، ومع ذلك فعلوا بهم ما سترى. وجاء أبوه الذي هو أيضًا مع المجاهدين وقال له نفس الكلام أيضًا: "يا بني نحن لا نعترض على حكم الله، ولكن فليقتلها غيرك".

فجاء الأمير وقال: "الآن يظهر الولاء البراء، والآن تظهر العقيدة الصحيحة، والآن يظهر تحقيقك لقوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}؛ فالآن نرى هل ستطبق هذه الآية؟ أم أنك ستقدم الأخوة والروابط الأخرى؟

فقام ذلك الشاب بعد تردد وقتل أخته، ثم جاء الأمير وقال له: "أمك وأبوك اعترضوا على حكم الله، فيجب أن تقيم عليهم الحد أيضًا".

فقام فقتل الأم وقتل الأب أيضًا.

ثمّ جاؤوا هم وقالوا له: "أنت تلكأت والولاء والبراء عندك غير صافي وغير نظيف، فيجب أن نقيم عليك الحد أنت"؛ فقتلوه.

هذه أعجوبة، أنا بدأت أنظر وأعجب، هذا الفيلم غريب؛ فعادةً البطل يبقى حي، ها هنا البطل مات، فبدأت أنظر إليه متعجبًا مستغربًا، وأقول: "هذا معقول؟!". فقال: "نعم"، وجعل يقسم الأيمان ويشهد الله أنّ ذلك قد جرى وقد حصل.

فأنا أمضيت طوال الجلسة معه ساعة ونصف تقريبًا أستمع إلى ما يقول، وفي النهاية قال لي: "أنت ما رأيك بهذا؟".

فقلت: "هذا إن كان صحيح، فمعاذ الله أن نقره، ومعاذ الله أن نؤيده؛ ولكن الأمر يكاد يكون كالخيال".

فأخذ يقسم الأيمان المغلظة أنه موجود، وضرب لي أمثلة أخرى وقصص غريبة وأفلام عجيبة.

المهم انفضّ هذا المجلس دون ضغوطات وذهبت لبيتي، وظننت أن المسألة انتهت؛ ثم ثاني يوم فوجئت يتصلوا بي ويقولوا لي تعال نريدك – مرة أخرى –؛ ذهبت فقالوا لي: "إن هذا الشيخ يريد أن يقابلك مرة أخرى قبل أن يسافر". فقلت: "هذا جزائري؟". فقال لي كبيرهم: "لا لا هذا من عندنا من البلد أردني، ولكنه يقيم في اليمن"؛ وطبعًا لم أصدق ذلك، لأنّي أعرف اللهجة الجزائرية جيدًا.

فدخلت، فإذا بالشيخ نفسه المخابراتي هذا، جالس في نفس الطاولة في نفس قاعة المحاضرات، وجلست مقابله، وجلسوا هم أيضًا بالترتيب نفسه؛ رئيسهم على شمالي ونائبه على يميني، وبدأ يظل يتكلم بنفس الطريقة التي تكلم بها بالأمس؛ فلم يناقشني بكلام علمي أو شرعي، ولم يتكلم حول معتقدنا في تكفير الطواغيت وأنصار الطواغيت ووجوب الخروج عليهم، لم يطرح أي شيء في هذه المواضيع؛ وإنما تكلم فقط عن الانحرافات التي لا تستطيع أن تجادله بها، ربما تجادله في صحة هذه القصص والروايات التي يذكرها؛ ولكن قضية أنك لا تقر قتل النساء والأطفال، ولا تقر استحلال دماء الأبرياء، هذا لا يستطيع أن يجادل فيها أحد؛ وبالتالي لم يكن دوري النقاش هنا، وإنما كان دوري دائمًا التشكيك بصحة القصص والروايات التي يرويها.

لأنه يذكر قصص وأحداث أنا كنت مسجون طوال تلك الفترة؛ وأنا طبعًا لا أشك طرفة عين بأن المجاهدين ليسوا بهذا الغباء، وبهذه السخافة التي يصورها هؤلاء، الذين يريدون أن يشوهون الجهاد ويقزمون الجهاد؛ وأعرف جيدًا أن هذه الترهات هي من نسج خيال هؤلاء؛ وتشويه المجاهدين.

ولذلك كنت كلما ذكر قصة أستغرب وأتعجب، ويقسم هو الأيمان ويشهد الله على أنها حق؛ وأنه سيظهر فيها كتاب من تأليف هذا الذي سمّاه (أبي عبد الرحمن الجزائري)، المقيم الآن في المدينة ويكتب مذكراته بعد التوبة.

22- أساليب المخابرات (الجزء الثاني)

الحمد لله مُعز أوليائه، ومُذل أعدائه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

فالشاهد هذه الجلسة انتهت بـطلب هذه المرة، قال لي: أنا أحمل أمانة من دُعاة كثيرين من الجزيرة ومن غير الجزيرة، أمانة لك ونصيحة أن تُظهر براءتك مما يجري في الساحة، يجب أن تُظهر براءتك مما يجري في الساحة من تشويه للدعوة والجهاد، ما دمتَ أنت تقول أنت لا تقر هذا وأنت لا تقر قتل النساء والأطفال ولا تقر سفك دماء المسلمين ولا تقر نهب أموال المسلمين، ما دمتَ تقول هذا فلماذا لا تتكلم؟ لماذا تصمت؟ نحن نحمّلك في رقبتك أمانة أن تتكلم فيها.

وبدأ يضغط في هذا الاتجاه، قال: أنا الآن أريد أن أخرج من عندك من هنا بتسجيل صوتي لك تتكلم بهذا الأمر، بماذا تعتقد أنت، بالصيغة التي تريدها أنت.

فنظرتُ إليه وقلت أنا: وكيف أثق بك؟ يعني أنا أين تعرفت فيك؟ هل ألتقيت بك في غير هذا المكان؟ -أشرتُ إلى الطاولة اللي جالسين عليها في المخابرات-

فارتبك وأخذ ينظر إلى الشخص الجالس على شماله وهو رئيس في مكافحة الإرهاب، ينظر إليه بارتباك وينظر إلي، قال: أنا أقسم لك بأنني لن أحرِّف كلامك ولن أغيره وسآخذه تمامًا كما قلتَ.

أنا لا أستطيع أن أعطيك شيء ربما تحرّف وربما تغير، وأنا حاولتُ جاهدًا أن أنسحب وأن أرفض هذا الأمر، وأنا تكلمتُ من قبل أن هذا كان على أثر مطالباتهم في الرد على الشيخ أسامة، وكان الأمر بالأمس للتو يعني أكاد أكون انتهيتُ من موضوع الشيخ أسامة وهم لم يكرروا ذلك علي ولكنني شعرتُ بأعجوبة أنهم نسوه وأنهم انشغلوا بأمر هذا الشيخ!

فكنتُ أتمنى ألَّا يرجعوا إلى مطلبهم في الرد على الشيخ أسامة؛ لأنني لن أتكلم في ذلك ولن أرد على الشيخ أسامة، وبالتالي سيترتب على ذلك ما قد يترتب عليه من أمور.

فالشاهد أن الرجل بدأ يضغط للحصول على شيء ولو عام -غير موجه لأحد-

قال لي: أنت تكلم نصيحة للمسلمين لكل من يقرأ كتاباتك ويفهمها ويحملها على غير محملها -نصيحة عامة-، لا توجه كلامك إلى فئة معينة إذا كنتَ متحرّج في ذلك، أليس هذا واجب شرعي؟

قلتُ له: نعم واجب شرعي وأنا فعلته، هذا موجود عندي في مجال الاعتقاد كـ (الثلاثينية) وفي مجال العمل في (الوقفات)

قال: هذا كتابين كبيرين وهما ليسوا موضوعين في واجهة موقعك، وقليل جدًا الذي يتمكن من قراءة الكتب كلها نريد بيان صغير تُبرئ الذمة به ووو..

وأخذوا يتكلموا هم عن يمينه وعن شماله أيضًا ويضغطوا بهذا الاتجاه، فأنا فكرتُ مليًا فقلتُ: دعوني أذهب إلى بيتي وأستخير الله ثم أكتب ذلك البيان -يعني بهدوء-، أردتُ أن أتخلص من هذه الجلسة ثم بعد ذلك أجد طريقة ولو بالفرار!

فقالوا: لا ما في، هنا تكتبه، الآن بدؤوا يتكلموا الجهات الأمنية وليس الشيخ فعرفتُ أن الأمر قد دُبِّرَ بليل.

فقلتُ لهم: حسنًا، أيش المطلوب؟ ما الذي سأكتبه؟

قالوا: اكتب ما تعتقده ما نريد نجبرك على شيء غير مقتنع فيه.

فجاؤوني بأوراق وقلم وكتبتُ، قال لي هو: حبذا لو تكتب هكذا (إبراءً للذمة) -العنوان- هو لقنني العنوان فقط.

فقلتُ: لا حرج، إبراءً للذمة! ثم كتبتُ البيان الذي نشرَتْه بعض الصحف بخط يدي، كتبتُ هذه الصيغة التي جعلتها عامة لم أوجهها إلى أي فئة من المجاهدين، بل بالعكس وجهتها إلى عموم من يقرأ كتاباتي؛ لأنني أنا أبرأ ممن يستخدم كتاباتي في استحلال دماء المسلمين وفي استحلال أعراض المسلمين وفي استحلال أموال المسلمين.

وأنني لا أخاف في الله لومة لائم من التبرِّي ممن يسيء استخدامها، وذكرتُ حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- وقوله: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) وتكلمتُ بكلام موجز حول هذا، ثم بعد ذلك تعمدتُ أن أذكر بأنني نصحتُ إخواني المسلمين عمومًا بكتابين: كتاب في مجال الاعتقاد وهو كتاب (الثلاثينية) تعمدتُ ذكر هذا الكتاب؛ لأن في هذا الكتاب تكفيرهم، في هذا الكتاب في موضع ذكرتُ أنه ليس من الغلو -الذي أنا أحذّر منه في هذا الكتاب- ليس من الغلو تكفير الطواغيت وأنصار الطواغيت وأصَّلتُ لذلك.

وذكرتُ كتاب (الوقفات) كنصيحة؛ لأنني نصحتُ الشباب عمومًا في مجال النواحي العملية، وأيضًا في هذا الكتاب أنا أُثني على المجاهدين بل أثني على القاعدة بالاسم وأثني على المجاهدين في العراق وفي الشيشان وفي مواضع كثيرة بالكتاب، يعرفها كل من يطالع الكتاب، سواء في الهوامش أو في مَتنى الكتاب، هذا واضح فأنا لم أعزو إلا لكتابين وإن كان ظاهرًا يظنه بعض السفهاء والجهال أنهما نقد مجرد للمجاهدين ولكن حقيقة هذين الكتابين هما -إن شاء الله- نصرٌ للمجاهدين؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا)

فبيّـن في الحديث وفي شرح الحديث أن تصحيح الأخ وتصحيح المنهج وتصحيح الأخطاء هي نصرة في حقيقتها وإن ظنها كثير من الناس طعن وذم، فتعمدتُ ذكر هذين الكتابين حتى أجعل كل سياق هذا البيان مُنصب وفقًا لما جاء بهذين الكتابين.

وتركوني بعد أن كتبتُ هذا البيان، طبعًا مجرد أن رجعتُ إلى البيت -هم طلبوا مني أن أُخرج هذا البيان في المنبر- أنا أراهم أنني كنتُ أرى أن البيان ليس فيه مخالفة شرعية ولكن لأن هذا البيان خرج تحت الضغط في دائرة المخابرات، لم أرتضي أن أضعه في منبري، لم أرتضي ذلك مع أنني أعتقد وأدين الله أن ليس بالبيان لا طعن بالمجاهدين ولا هو موجَّه لفئة معينه ولا فيه مخالفة شرعية، حتى إن بعض إخواننا وأحبابنا في المنتديات عندما نشره بعض المخابرات في بعض المنتديات تلقفوه مباشرةً ونشروه -يعرف ذلك بعض الإخوة- نشروه ظنًا منهم أنه كلامي بالفعل لأنهم يعرفون أسلوبي فنشروه.

حتى أن أحدهم بعث إلي رسالة يقول: يا شيخ، نشرتُ بيانك في المنتديات. فبادرتُ بالإرسال إليه وقلتُ: لا تنشر هذا البيان. وذكرتُ له اختصارًا القصة التي جرت معي، ومنهم الأخ الذي يكتب باسم تلميذ المقدسي -ثبته الله- ونحوه من الإخوة نشروا البيان لأنهم وعتقدوا ورأوا حقيقةً ليس فيه طعن بالمجاهدين وليس فيه مخالفة شرعية، هذا هو الحق عندما تقرأ البيان وتتدبر ما فيه ولكن لأنه خرج من دائرة المخابرات وخرج تحت الضغط وخرج بطلب من هذا الشيخ الاستخباراتي لم أحبه، مقتَه قلبي ولم أتعود على هذه الطريقة أنا.

قبل ذلك هم بعد أحداث أيلول عندما طلبوني لأكتب ردًا على الشيخ أسامة وعلى القاعدة في أحداث أيلول وأعطوني ورقة وقلم، بدأتُ أمدح الأحداث في عقر دار المخابرات، في عقر دارهم، بدأتُ أمدحها فجاؤوا وغضبوا وحولوني عالزنزانة وجلست مدة قصيرة ثم خرجتُ، هذا كان أيام أحداث الغزوات، بعد الغزوات مباشرةً.

فلم أكن أرتضي مثل هذا؛ لذلك أنا شعرتُ بألم شديد أني أعطيتهم مثل هذا حتى الذي ليس فيه باطل، حتى هذه الورقة التي لم يكن فيها باطل ولم يكن فيها أخطاء شرعية ومخالفات شرعية ولم تكن موجهة إلى فئة من المجاهدين شعرتُ بألم أنني أخرجتها، فلذلك بادرتُ بالتحذير منها لإخواني المنتديات ورددتُ عليها بإرسال رسائل

للإخوة والطلب منهم ممن يكتبوا بالمنتديات ألَّا ينشروها ويحذروا منها وأنه ما دام المنبر لم ينشرها فليس لها أي مصداقية.

ووقتها أنزلنا هذا البنر الذي ترونه اليوم الذي فيه تحذير أن منبر التوحيد والجهاد هي الجهة الوحيدة المتحدثة باسم الشيخ أبو محمد المقدسي وأي بيان يصدر في الصحافة والإعلام في ظل منع الشيخ من الصدور والظهور في وسائل الإعلام فهو فاقد للمصداقية ما لم يظهر أو يخرج في هذا المنبر.

وقتها أنزلنا هذا البنر احتياطًا، وأنا كنتُ أُطلع الإخوة في المنبر وأُطلع الإخوة الذين على اتصال بي والإخوة المقربين مني من كل ما يحدث لم أكن أفعل ذلك بالخفاء، لا بد أن أُطلع إخواني حتى لو قدر الله أن الإنسان جرَت له شيء أو أنه فارق هذه الحياة يكون إخوانه مُطلعين على مجريات الأمور.

فذهبت الأيام بعد ذلك ونُشر في بعض المنتديات ثم سُكت عن الأمر، كذَّبه إخواننا في المنتديات وذكروا أنه لم يُنشر في المنبر وبالتالي لا مصداقية له فاندثر في قديم المنتديات، ثم فوجئنا هذه الأيام في وسط الحملة التي يشنها النظام الجزائري على إخواننا في المغرب الإسلامي وعلى إخواننا المجاهدين في القاعدة في تلك البلاد، في وسط الحملة العسكرية وبين يديها جاؤوا المشايخ الفضائيات: عائض القرني، ومحمد حسان وغيرهم، جاؤوا بهم ليتكلموا كلام فيه تشنيع على الإخوة في وسط هذه المعمعة فوجئتُ بإنزال هذا البيان!

نشرَتْه الصحف الجزائرية، أول ما نشرته صحيفة النهار الجزائرية ثم نشرته صحيفة البلاد الجزائرية وتلقفه عنهم كثير من الصحف، سبحان الله! كأنما ينتظرون شيء من هذا العبد الفقير، طوال هذه المدة يتمنون شيء من التراجعات، وكان كما هو معلوم في تلك الفترة كلها كنتُ أتعرض لهجمة شرسة من بعض الحمقى والمغفلين عندنا من الذين لم يستوعبوا بعض كتاباتي يشنون حملة، حقيقتها أنها

كانت متناغمة تمامًا مع ما يرغب به الطواغيت ويسعى إليه من التراجعات.

كانوا يتهموني بأني متراجع وأن عندي تراجعات وأني أطعن بالمجاهدين قبل أن يحقق ذلك الطواغيت، يعني كانوا يذكرون ما يحلم به الطواغيت ويسعى إليه الطواغيت ويطلبه الطواغيت دون أن يصدر، وكانوا يبادرون إلى كتابة ذلك في المنتديات ورأى الإخوة كلهم.

وكان كثير الإخوة الطيبين يتصدون لهم ويتكلمون لهم وأنا كنتُ أعرض عن ذلك كله وأحتسبه عند الله، وأكتفي بأنني أعمل شيء وأكتب شيء نصرة لهذا الدين وأقول هؤلاء ما زالت عقولهم لا تستوعب ما نكتب، وعندما تنضج عقولهم ستستوعب وسيندمون على ذلك وسيعلمون أنهم كانوا يسيرون حقيقةً شاؤوا أم أبوا بالاتجاه الذي كان يرغب به الطواغيت وكان يفعله الطواغيت.

وكنت أدعو لهم بالهداية ولم أكن أنشغل كثيرًا بأمرهم، الشاهد بأنه نزل هذا البيان وسط هذه المعمعة واستُعمل كأنما هو موجه إلى القاعدة في بلاد المغرب العربي هكذا نزل البيان! نزل على أنه الشيخ المقدسي أنزل بيان أو يتكلم بكلمات يتبرأ فيها من القاعدة في المغرب العربي ومن أعمالها ومن ومن ومن، جُيِّرَ بهذا الاتجاه.

وهذا الأمر الذي كان في حسابي أنه سوف يُستعمل في يوم من الأيام، كنت أعرف هذا ولذلك حاولت جاهدًا أن أتخلص من ضغوطاتهم وأن أؤجل وأسوِّف في ذلك لأتمكن من الفرار أو نحوه، ولكنني لم أتمكن وتساهلتُ بأنني كتبتُ شيء لا أرى فيه مخالفات شرعية فمع ذلك تأملوا كيف استُخدم!

طبعًا هم عندما أنزلوا البيان هذا في الجزائر، فوجئنا بأنهم استخدموا اسم قالوا بأنه الذي انتزع...! حتى الصيغة يعني التي استخدموها تدل على الحقيقة والواقع الذي جرى في المخابرات، قالوا إن الذي انتزع هذا البيان أو هذه البراءة من الشيخ المقدسي هو شخص يدعى أبو

الوليد الجزائري، أنا عندما عرّفني المخابرات على هذا الشيخ قالوا الشيخ الدكتور عبد الله ولم يقل أبو الوليد الجزائري، اختيار هذا اللقب -أبو الوليد الجزائري- طبعًا من خبث في الجرائد الجزائرية وأتوقع بإملاء من المخابرات الأردنية؛ لأن كان هناك شخص معنا مسجون جزائري وكانت كنيته أبو الوليد الجزائري وهذا الأخ سُفّر وأنا في السجن ولم ألتقي به منذ أن خرجتُ من السجن إلى يومي هذا، لم ألتقي به ولم أتصل به أصلًا، فأرادوا أن يستخدموا هذه الكنية أيضًا، أبو الوليد الجزائري هو الذي أخذ هذا البيان وبثه هناك أنا أعتقد هذا من خبث المخابرات الأردنية عندنا؛ ليموهوا على ضعاف العقول في منطقتنا وفي مكاننا هذا أولئك الذين يشتغلون دائمًا في الطعن فيَّ وفي اتهامي في التراجعات وغير ذلك؛ ليوجدوا مصداقية لهذا البيان أنه في شخص بالفعل اسمه أبو الوليد الجزائري كان بالسجن هنا ويعرف أبو محمد المقدسي وبالتالي هذا البيان الذي يطعن في مجاهدي المغرب هو له مصداقية حقيقية، وسيستغل ذلك هؤلاء لو أني أنكرتُ ذلك فسيقال لا، هناك بالفعل شخص اسمه أبو الوليد الجزائري فلذلك البيان الذي أنزلناه ابتداءً والذي لم ننشره نحن في الموقع وإنما اكتفينا في الموقع بإنزال صورة كتاب أبي يحيى الليبي - حفظه الله- وهو (دفع الملام عن مجاهدي مغرب الإسلام) اكتفينا بذلك واكتفينا بإظهار البنر الذي يذكر أنه لا مصداقية لما يُنسب إلي ما لم يُنشر في المنبر.

اكتفينا بهذا الرد في المنبر، ووُزع بيان بالفعل باسم المنبر في المنتديات تداوله الإخوة ذكرنا بأنني لم ألتقي منذ أن خرجتُ بشخص اسمه أبو الوليد الجزائري وهذا صدق، وأني لم أوجه بيان إلى قاعدة الجهاد في المغرب العربي ولا في غير المغرب العربي، هذا الذي ذكرناه في المنتديات ولم نُنزل هذا البيان في الموقع لأننا أردنا وكان عندنا الأمر مقرر بأن نُظهر مثل هذا البيان المصور المفصل تحذيرًا لإخواننا المسلمين من كيد هؤلاء الطواغيت ومكرهم ومكر وسائل إعلامهم كيف تتربص بنا، وهذا درس لي ولسائر المسلمين بأنه حتى

لو ضُغِطت أن يختار الإنسان حقيقةً كما كنا نختار من قبل، نختار السجن ولا نختار أن نعطيهم شيء حتى لو كان هذا الشيء حق محض نعتقده.

يعني كثير من الإخوة كانوا يقولون لماذا لا تكتب ما يطلبون؟ لماذا...؟ وأنا كنتُ مُصر على ألا أعطيهم في المراجعات التي كنتُ أذهب وآتي عندهم عندما كانوا يطلبون مني أشياء يعتبرها كثير من الإخوة بل أنا أعتبرها عادية، كانوا يطلبون مثلًا أتكلم في فتوى في حرمة قتل النساء والأطفال ونحو ذلك فكان يقول لماذا لا تعطيهم هذا الشيء يعني ما الحرج فيه؟

فكنتُ أقول الحرج فيه أن أعطيهم هم، أن تخرج هذه الفتوى خاصة لهم كنتُ أتحرج من هذا بالفعل وكنت في السعة لا أعطيهم إياه وماطلتُ معهم سنة كاملة تحت ضغوطات المراجعات وتكرار الطلبات ولم أعطيهم شيء حتى جاءني مأزق الذي وضعوني فيه وهو الضغط علي بالرد على الشيخ أسامة فاستبدلتُ بالرد على الشيخ أسامة هذا البيان الذي لم أجد فيه مخالفة شرعية.

هذا هو حقيقةً الظروف التي خرج فيها البيان، أنني أردتُ التخلص من ضغوطهم بالرد على الشيخ أسامة -حفظه الله- في بيانه لم أكن أفكر أبدًا بالرد عليه، ولذلك اخترتُ أدنى المفسدتين لدفع أعظمهما، هذا هو كان الخيار تحت ضغوط شتى وتحت القصة التي ذكرتها لكم، ومع ذلك فقد رأيتم كيف استُغل هذا البيان استغلالًا شنيعًا وكيف مكر أعداء الله ليطعنوا في مجاهدي المغرب وطبعًا هذا لا شك أنه جزء من الحرب القذرة التي يمارسها النظام الجزائري ضد إخواننا المجاهدين هناك، يعني الأكاذيب معروفة عن هذا النظام.

وهو درس لي ولكل مسلم ألا يعطي أعداء الله حتى ما يعتقد أنه ليس فيه مخالفة شرعية؛ لأنهم لا شك أنهم غير مؤتمنين كما أخبرتُ أنا الشيخ الاستخباراتي كيف أأتمنك؟ هم غير مؤتمنين على دين الله وهم غير مؤتمنين على كتاباتنا، نعم قد يكون بإمكانهم أن يقتطعوا أي

كلام من كتاباتي ويسخروه لما يشاؤون، يقتطعوا أي بيان كما فعلت العربية من قبل في البيان الذي أنزلناه نحن والإخوة في الأردن براءة من الغلاة، غلاة حقيقيين، يُكفرون الناس بالعموم ويكفرون أئمة المساجد بالعموم لأجل عملهم في الأوقاف وغير ذلك، كما استخدموه أو حاولوا يستخدموه ولكن يبقى الأمر في النهاية أنني لا أرضى ولا ينبغي للمسلم أن يرضى بنفسه أن يعطي هؤلاء شيء.

أنا ما أرضى أن أعطي، لذلك بقيَت غصة في قلبي من هذا البيان وإن كان يعني هم أخذوه مني بالإحراج بالضغط بأي صورة من الصور، و-بفضل الله- لم يأخذوه يعني بصيغة مباشرة موجه لأي طائفة من الطوائف المجاهدة أو أي جماعة مجاهدة ومع ذلك بقيَت في نفسي غصة من هذه الأوراق ونبهتُ إخواني كما ذكرتُ ألا ينشروها ولم يتبناها الموقع ولم ينشرها على صفحاته.

في النهاية أنا أقول أن هذا الأمر هو جزء من الحرب المعلنة على هذا التيار، سعي في شق صفه، السعي في إيجاد وصناعة التراجعات كما هي توصيات مؤسسة راند وغيرها من المؤسسات الامريكية والصليبية يصنعوا ويفتعلوا تراجعات في صفوف هذا التيار، ظهرت تراجعات مُدَّعاة في السعودية وظهرت تراجعات مُدَّعاة في مصر ويقال أن هناك تراجعات ستظهر قريبًا أيضًا مُدَّعاة ومزعومة في المغرب وحاولوا إظهار تراجعات في الأردن ذهبوا إلى السجون وقابلوا بعض الشباب المسجون الذي تدين داخل السجون لا يحمل هذي العقيدة وأخرجوهم على صفحات الجرائد على أنهم من هذا التيار وأنهم تراجعوا وأنهم تبرؤوا، كلها صناعة تراجعات للفَتِّ من عضد أبناء هذا التيار ولردهم عن دينهم كما أخبر الله -عز وجل- عن أسلافهم في المكر لهذا الدين {وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آَمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آَخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} فهو أسلوب من أساليب أعداء الدين لرد أبناء هذا الدين عنه وللكيد له وإحداث الشروخ والشقوق والانشقاقات في هذا التيار الجهادي.

فأنا أحببتُ أن أتكلم بهذه الكلمة، تسجيل لما حصل وجرى معي ونبين أنني لم ولن أتكلم -بإذن الله- في يوم من الأيام عن أي طائفة من الطوائف المجاهدة في العالم، فهؤلاء إخواني وهم خير مني ما داموا يقدمون دماءهم لهذا الدين ونصرة هذا الدين، فلو كان عندي شيء وملاحظات على بعض ما يجري في الميادين فأنا أعرف الطريقة التي أستطيع أوجه بها مناصحاتي إليهم، لا تخرج هذه المناصحات من الدوائر الأمنية وبناء على رغبتهم وإنما ستكون خارجه بمحض إرادتي وبمحض اختياري وبالتوقيت الذي أنا أراه مناسبًا.

وأنا هنا في هذا المقام أحب أن أقول لإخواني المجاهدين سواء كانوا في المغرب الإسلامي أو كانوا في المشرق الإسلامي أو كانوا في أفغانستان أو كانوا في الشيشان، أو كانوا في كشمير أو كانوا في فلسطين أو كانوا في العراق أو كانوا في الصومال أنّا معكم ونحن أنصاركم -إن شاء الله- نذب عنكم ونحن إخوانكم الذين نبني ولا نهدم.

نبني لجهادكم ونربي الشباب الذين هم مدد لكم وسنكون يومًا -بإذن الله- نسأل الله -عز وجل- أنا يقدرنا أن نكون يومًا من أجنادكم ومن أنصاركم وأنتم خيرًا منا؛ لأنكم إذا كنا نحن ندفع عن الدين بمداد أقلامنا فأنتم تدفعون عنه بمداد دمائكم.

ونبشركم -بإذن الله- أننا ثابتون على العهد لن نبدل ولن نغير ولن نقيل ولن نستقيل والله لو قطعونا إربًا إربًا ولو أمضينا ما تبقى من عمرنا في السجون فلن نعطي أعداء الله ما يريدون من خيانة هذا الدين ومن خيانة الله ومن خيانة الرسول فالموت أحب من ذلك نسأل الله الثبات ونطلب من إخواننا أن يدعوا لنا بالثبات وحسن الخاتمة.

أسأل الله أن يثبتني وأسأل الله حسن الختام والثبات، وأقول والله لو ساوموني على أن أبقى في السجون ما تبقى من حياتي على أن أخون الله ورسوله وعلى أن أبدل وأغير وأن أبيع هذه الدعوة وأبيع

المجاهدين وأخون الله ورسوله فلن أختار إلا الزنازين والسجون ولن أختار إلا الموت في سبيل الثبات على هذا الحق وفي سبيل الله، وأن لا أشوه هذا الدين وأن لا أبدل وأن لا أغيّر، وأوصي إخواني بالثبات، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آلهِ وصحبه أجمعين.